

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

محمّد بن
محمّد بن الفضل بن حسين

دار النشر: دار الفکر للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء السادس عشر

دار النخبة للكتاب العربي
عيسى البابي الحلبي وشركاه



منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - ايران ١٠٤ هـ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد المتد

(١٩)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة :

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَنْشَارِ حَبْلِكُمْ وَتَقَابِكُمْ مَا لَمْ تَقْبُوا عَنْهُ ، فَفَوْتُ عَنْ
مُحَرِّمِكُمْ ، وَرَفَعْتُ السِّيفَ عَنْ مُذْهِبِكُمْ ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ ، فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ
الْأُمُورُ الرُّدِيَّةُ ، وَسَفَهُ الْأَرَاةِ الْجَائِرَةِ ، إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي ، فَهَذَا قَدْ قَرَّبْتُ
جِيَادِي ، وَرَحَلْتُ رِكَابِي .

وَلَيْنَ الْجَانُّونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَا وَفِينَ بِكُمْ وَفَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ
إِلَيْهَا إِلَّا كَلَمَقَةٍ لَا عِوَدَ ؛ مَعَ أَنَّ عَارِفٌ لِيذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلُهُ ، وَلِيذِي النَّمِيحَةِ
حَقُّهُ ، غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مُتَمَمًّا إِلَى بَرِيٍّ ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ .

الشرح :

ما لم تقبوا عنه ، أى لم تسهوا عنه ولم تنفلوا ، يقال : غيبتُ عن الشيء أغبى غباوة ؛ إذا
لم يظن ، وغبى الشيء على كذا إذا لم تعرفه ، وفلان غبى على « فصيل » ، أى قليل
الظن ، وقد تنابى ؛ أى تناقل ؛ يقول لهم : قد كان من خروجكم يوم الجمل عن الطاعة ،

وشرككم جبل الجماعة ، وشقاقكم لي ما لستم أغبياء عنه ، ففرت ورفعت السيف ،
وقبلت التوبة والإنابة .

والدبرها هنا : الهارب ، والقبيل : الذي لم يفر؛ لكن جاءنا فاعتذر وتدخل .

ثم قال : فإن خطت بكم الأمور ، خطا فلان خطوة بخطو ، وهو مقدار ما بين
القديمين ، فهذا لازم ، فإن عديته ، قات : أخطيت بفلان ، وخطوت به ، وهما هنا
قد عداها بالباء .

والردية : المهلكة ، والجائرة : العادلة عن الصواب . والمتابذة ، مفاعلة ، من نبذت
إليه عهداً أي ألقته وعدت عن السلم إلى الحرب ، أو من نبذت زيدا ، أي أطرحته
ولم أحظ به .

قوله : « قربت جيادي » ، أي أمرت بتقريب خيل إلى لأركب وأسير إليكم .

ورحلت ركابي ، الركاب الإبل . ورحلتها : شددت على ظهورها الرحل ، قال :

رَحَلْتُ سُمَيَّةَ عُدُوَّةَ أَجْمَالَهَا غَضَبِي عَلَيْكَ فَا تَقُولُ بِدَاهَا^(١)

كلعقة لاقق ، مثل يضرب لشيء الحقير التافه ، ويروى بضم اللام ، وهي ما تأخذه
المليعة .

ثم عاد فقال مازجا الخشونة باللين : مع أي طرف فضل ذي الطاعة منكم ، وحق
ذي النصيحة ، ولو عاقبت لما عاقبت البرى بالسقيم ، ولا أخذت الوفاء بالناكث .

خطب زياد بالبصرة الخطبة الغراء المشهورة ، وقال فيها : والله لأخذن البرى بالسقيم ،
والبرى بالثميم ، والوالد بالولد ، والجار بالجار ، أو تستقيم إلى قناتكم . فقام أبو بلال مرداس

ابن أدبة يهمس ، وهو حينئذ شيخ كبير ، فقال : أيها الأمير ، أنبأنا الله بخلاف ما قلت ،
وحكم بنير ما حكمت ، قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(١) ، فقال زياد :
يا أبا بلال ، إني لم أجهل ما علمت ؛ ولكننا لا نخلص إلى الحق منكم حتى نخوض إليه
الباطل خوفاً .

وفدواية الرباشي : « لآخذن الولي بالولي » ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدير ، والصحيح
بالسقيم ، حتى يلتقي الرجل منكم أخاه فيقول : أيجُ سعد فقد هلك سميد ، أو تستقيم لي
قناتكم .



مركز بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ ، وَأَرْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ
بِمَعَالَتِهِ ، فَإِنَّ لِلْمُطَاعَةِ أَفْلَامًا وَاضِحَةً ، وَسُبُلًا نَبِيْرَةً ، وَحُجَّةً نَهْجَةً ، وَغَايَةً مُطْلَبَةً ،
يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ ، وَيُخَالِفُهَا الْأُنْكَاسُ ؛ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ ، وَخَبَطَ
فِي النَّيْرِ ، وَغَيَّرَ اللَّهَ رِثْمَتَهُ ، وَأَحْلَى بِهِ رِثْمَتَهُ .

فَنَفْسُكَ نَفْسُكَ ! فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ ،
فَقَدْ أُجْرِبْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ ، وَنَحْلَةٍ كُفْرٍ ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا ،
وَأَقْحَمَتْكَ غِيًّا ، وَأَوْرَدَتْكَ لِلْمَعَالِيَةِ ، وَأَوْقَرَتْ عَلَيْكَ السَّالِكَ .

التبريح :

قوله : « وَغَايَةُ مُطْلَبَةٌ » ؛ أى مَسَاعِظُ لَطَائِبِهَا بِمَا يَطْلُبُهُ ، تقول : طَلَبَ فُلَانٌ مَتْنِي كَذَا
فَأَطْلَبْتُهُ ؛ أى أَسَمَفْتُ بِهِ . قال الراوندى : مُطْلَبَةٌ بِمَعْنَى مُتَطَلَّبَةٍ ، يقال : طَلَبْتُ كَذَا وَتَطَلَّبْتُهُ ؛
وهذا ليس بشيء ، ويخرج الكلام عن أن يكون له معنى .

والأَكْيَاسُ : العقلاء ، وَالْأُنْكَاسُ : جمع نِكْسٍ ؛ وهو الدُّنْيَى مِنَ الرِّجَالِ ،
وَنَكَبَ عَنْهَا : عَدَلَ .

قوله : « وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ » ، الأولُ أَلَّا يَكُونَ هَذَا مَعْطُوفًا وَلَا مُتَّصِلًا

بقوله ، فقد بين الله لك سبيلك ، بل يكون كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف : حيث أنت ، أى قف حيث أنت ؛ فلا يذكرون الفعل ؛ ومثله قولهم : مكانك ، أى قف مكانك .
قوله : « فقد أجريت » ، يقال : فلان قد أجرى بكلامه إلى كذا ، أى الناية التى يقصدها هى كذا ، مأخوذ من إجراء الخيل للسابقة ، وكذلك قد أجرى بفعله إلى كذا ، أى انتهى به إلى كذا . وروى : « قد أوحلتك شرًا » أو أوردتلك فى الوحل ، والنهي ضد الرشاد .

وأقحمتك غيًّا : جعلتك مقتحمًا له .

وأوعرت عليك السالك : جعلتها وفرة .



وأول هذا الكتاب :

أما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبي ، وتستقيح موازيتي ، وترحمي متعجيرا وعن الحق مقصرا ، فببحان الله ، كيف تستجيز النية ، وتستحسن المضية ! إني لم أشاغب إلا فى أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، ولم أنجبر^(١) إلا على باغٍ مارق ، أو ملحد منافق ، ولم آخذ فى ذلك إلا بقول الله سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ ﴾^(٢) ، وأما التفسير فى حق الله تعالى فعاد الله ! وإنما القصر فى حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة ، وركن إلى الأهواء المبتدعة ، وأخلد إلى الضلالة المحيرة ؛ ومن العجب أن تصف يا معاوية الإحسان ، وتخالف البرهان ، وتنكث الوثائق التى هى لله عز وجل حليمة ، وعلى عباده حجة ، مع نبذ الإسلام ، وتضييع الأحكام ، وطمس الأعلام ،

(١) ب « ولم أضجر » وما أثبتته عن « د » .

(٢) سورة المجادلة ٢٢

والجرى في الهوى ، والتهوس^(١) في الردى ، فاتق الله فيما لديك ، وانظر في حقّه عليك ...
الفصل المذكور في الكتاب .

وفي الخطبة زيادات يسيرة لم يذكرها الرضى رحمه الله ، منها :
وإنّ للناس جماعة يد الله عليها ، وغضب الله على من خالفها ، فنفسك تقسك قبل
حلول رمسك ، فإنك إلى الله راجع ، وإلى حشره مهطع^(٢) وسيبظك كرب ، ويحلّ بك
غمه ، في يوم لا ينفي النادم ندمه ، ولا يقبل من المعتذر عذره ، ﴿ يوم لا يغني مولى
عن مولى شيئاً ولا هم يُنصرون ﴾^(٣) .



(٢) المهطع : الذى ينظر في ذل وخشوع .

(١) التهوس في الردى : الوقوع فيه

(٣) سورة النخان ٤١ .

الأصل:

ومن وصيته عليه السلام للحسن عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند
انصرافه من صفين :

مِنْ أَنْوَالِ الْفَانِ ، الْمُفِرِّ لِلزَّمَانِ ، الْمُدِيرِ الْمُمْرِ ، الْمُتَكِلِمِ لِلدَّهْرِ ، الدَّامِ
لِلدُّنْيَا ، السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتِ ، الطَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا .
إِلَى الْمَوْتُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ؛ غَرَضِ
الْأَسْقَامِ ، وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ ، وَرَمِيَةِ الصَّائِبِ ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا ، وَتَاجِرِ الْفُرُورِ ، وَغَرِيمِ
الْمَنَايَا ، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ ، وَخَلِيفِ الْمُؤْمِ ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ ، وَنُصْبِ الْآفَاتِ ،
وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ .

مركز توثيق و نشر

الشرح :

[ترجمة الحسن بن علي وذكر بعض أخباره]

قال الزبير بن بكار في كتاب " أنساب قريش " : ولد الحسن بن علي عليه السلام
لنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله
حسنًا ، وتوفّي ليالي خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين .
قال : والروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله سمى حسنًا وحسينًا رضي الله عنهما
يوم سابعهما ، واشتق اسم حسين من اسم حسن .

قال : وروى جعفر بن محمد عليه السلام أن فاطمة عليها السلام خلقت حسنا وحسينا يوم سابهما ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة .

قال الزبير : وروت زيب بنت أبي رافع ، قالت : أتت فاطمة عليها السلام بابيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه^(١) الذي توفي فيه ، فقالت : يا رسول الله ، هذان أساك ، فورثتهما شيئا ؟ فقال : أما حسن فإن له هيبتي وسوددي ، وأما حسين فإن له جراتي وخودي .

وروى محمد بن حبيب في أسانيده أن الحسن عليه السلام حج خمس عشرة حجة ماشيا تقاد الحماث معه ، وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات ماله ، حتى أنه كان يعطي مالا ويملك مالا ، ويعطي حيا ، ويملك حيا .

وروى أبو حمزة محمد بن حبيب أيضا أن الحسن عليه السلام أعطى شاعرا ، فقال له رحل من حلماته : سبحان الله ! أنعم على شاعرا يعصى الرحمن ، ويقول البهتان ! فقال : يا عمدة الله ، إن خير ما بدلت من مالك ما وقيت به مرصك ؟ وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر .

وروى أبو حمزة ، قال : قال ابن عباس رحمه الله : أول دلّ دخل على العرب موت الحسن عليه السلام .

وروى أبو الحسن الدائني ، قال : سفي الحسن عليه السلام السم أربع مرات ، فقال : لقد سقيته مرارا لما شقّ على مثل مشقته هذه المرة . فقال له الحسين عليه السلام : أحيرني من سقائك ؟ قال : لتقتله ؟ قال : نعم ؟ قال : ما أنا بمخبرك ؛ إن يكن صاحبي الذي أظن بالله أشدّ بقة ، وإلا فما أحب أن يقتل في ربي .

(١) النكو : المرض .

وروى أبو الحسن ، قال : قال معاوية لابن عباس ، ولقيه بمكة : يا عجباً من وفاة الحسن ! شرب علة بماء رومة^(١) ، ففضى نحمة ، فوَحَمَ ابنُ عباس ، فقال معاوية : لا يحزنك الله ولا يسوءك ، فقال : لا يسوءني ما أبذلك الله ! فأمر له بمائة ألف درهم .

وروى أبو الحسن قال : أول من نى الحسن عليه السلام بالعصرة عبد الله بن سلمة ،
فما لزياد ، فخرج الحكم بن أبي العاص اثنتي عشرة ، فمعا ، فبكي الناس - وأبو بكر
يومئذ مريض ، فسمع الصيحة ، فقال : ما هذا ؟ فقال امرأته ميسة بنت سخام التميمية :
مات الحسن بن علي ، فالحمد لله الذي أراح الناس منه ! فقال : اسكتي ويحك ! فقد أراحه الله
من شر كثير ، وفقد الناس بموته جيلا كثيرا ، رحم الله حسنا !

قال أبو الحسن الدائمي : وكانت وفاته في سنة سبع وأربعين ، وكل من مر به أربعين يوماً ، وكانت سنة سبعاً وأربعين سنة ، دس إليه معاوية سماً على يد حمدة بنت الأشعث ابن قيس زوجة الحسن ، وقال لها : إن قصتيه ^(٣) بالنسم عليك مائة ألف ، وأروحك يريد أبي . فلما مات وقي لها المال ، ولم يزوها من يريد . قال : أحشى أن تصنع ما بي كما صنعت بأبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو حنيفة محمد بن حبيب عن السائب بن سبرة ، قال : سمعتُ أميرَ المؤمنين عليه السلام ، يقول : أنا أحدثكم عني وعن أهل بيتي ؛ أما عبد الله ابن أبي صاحب فهو وسّاح ، وأما الحسنُ فصاحبُ جَنَّةٍ وحيوان ، عني من فتيان قريش ؛ ولو قد التفتَ خلقتا اليرطاس^(٣) لم يُعِنَ عكم شئ في الحرب ، وأما أنا وحسين فجن منكم وأنتم منا .

(١) د : د عاء برومة . (٢) د : د عاء برومة .

(٣) مثل يصرب للأمر إذا اشتد وجور الحمد .

قال أبو جعفر : وروى ابن عباس ، قال : دخل الحسن بن عليّ عليه السلام على معاوية بعد عام الجماعة وهو جالس في مجلس صديق ، فجلس عند رجله ، فتحدث معاوية بما شاء أن يتحدث ، ثم قال : عجبا لعائشة ! تزعج أتي في غير ما أنا أهله . وأنّ الذي أصبحت فيه ليس لي بحق ، ما لها ولهذا ! ينمر الله لها ، إنما كان ينازعني في هذا الأمر أبو هذا الجالس ، وقد استأثر الله به ؛ فقال الحسن : أو عجب ذلك يا معاوية ! قال : إني والله ، قال : أفلا أحبرك عما هو أعجب من هذا ؟ قال : ما هو ؟ قال : جلوسك في صدر المجلس وأما عند رحلتك ؛ فصحك معاوية ، وقال : يا بن أخي ، بلغني أنّ عليك ديناً ، قال : إن لعلّ ديناً ، قال : كم هو ؟ قال : مائة ألف ، فقال : قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف ؛ مائة منها لديك ، ومائة تقسمها في أهل بيتك ، ومائة لحامّة نفسك ؛ فمكرّما ، واقبص ميّلتك . فلما حرح الحسن صممه (السلام) ، قال يريد بن معاوية لأبيه : تالله ما رأيت رجلاً استقبلك بمبا استقبلتك ؛ ثم أمرت له بثلاثمائة ألف ! قال : يا بني ، إن الحقّ حقهم ، فمن أذاك منهم فاحث له .

وروى أبو جعفر محمد بن حبيب ، قال عليّ عليه السلام : لقد تزوّج الحسن وطلق حتى حفت أن يشير عداوة ، قال أبو جعفر : وكلن الحسن إذا أراد أن يطلق امرأة جلس إليها ، فقال : أيسرك أن أهبّ لك كذا وكذا ؟ فتقول له ماشئت ، أو نعم ؛ فيقول : هو لك ؛ فإذا قام أرسل إليها بالطلاق ؛ وبها سمّي لها .

وروى أبو الحسن المدائنيّ ، قال : تزوّج الحسن بن عليّ عليه السلام هنداً بنت سهيل ابن عمرو . وكانت عند عبد الله بن عمرو بن كرز ، فطلقها - فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها على يريد بن معاوية ، فلقية الحسن عليه السلام ، فقال : أين تريد ؟ قال : أخطب هنداً بنت سهيل بن عمرو على يريد بن معاوية ، قال الحسن عليه السلام :

فأذكرني لها ، فأتاها أبو هريرة ، فأخبرها الخبر ، فقالت : احترق ، فقال : أختار لك الحسن . فتزوجته ، فقدم عبد الله بن عامر المدينة فقال للحسن : إن لي عند هند وديعة ، فدخل إليها والحسن معه ، فخرجت حتى جلست بين يدي عبد الله بن عامر ، فرق لها رقة عظيمة^(١) ، فقال الحسن : ألا أزل لك عنها ؟ فلا أراك بعد محمدا خيرا نسكاً مني ! قال : لا ، ثم قال لها : وديعتي ، فأخرجت سقطين فيهما حوهر ، ففتحتهما وأخذ من أحدهما قبضة وترك الآخر^(٢) عليها ؛ وكانت قبل ابن عامر عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ؛ فكانت تقول : سيدهم حميما الحسن ، وأسخطهم ابن عمر ، وأحبهم إلى عبد الرحمن بن عتاب .

وروى أبو الحسن المدائني ، قال : تزوج الحسن حمصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان المدر بن الزبير يهواها ، فأسمع الحسن صها شيئاً فطلقها ، فخطبها المنذر ، فأبت أن تتروحه ، وقالت : شتر بي ! فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب ، فتزوجها ، فأبلمه المنذر عنها شيئاً فطلقها ؛ فخطبها المنذر فقبل لها^(٣) تزويجه ، فقالت : لا والله ما أنتمل ؛ وقد فعل بي ما قد فعل مرتين ؛ لا والله لا يرأى لي من بعد !

وروى المدائني ، عن جويرية بن أسماء ، قال : لما مات الحسن عليه السلام ، أخرجوا جنازته ، فحمل مروان بن الحكم سريره ، فقال له الحسين عليه السلام : تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تحمعه الميظ ؟ قال مروان : نعم ؛ كنت أفضل ذلك بمن يوارن حله الجبال .

وروى المدائني عن يحيى بن زكريا ، عن هشام بن عروة ، قال : قال الحسن عند وفاته : ادفنوني عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر ، فلما أرادوا دفنه ، قال مروان بن الحكم : لا يدفن عثمان في حش كوكب^(٤) ، ويدفن الحسن هاهنا ،

(١) د : « خديعة » . (٢) د : « الباقى » .

(٣) حش كوكب ، جنح أوله وتشد يد ثابته : موضع عبد بنج النرقه ، اشتراه عثمان رضي الله عنه ، وزاده في البقيع ، ولما قتل ألقى معه .

فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية ، وأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم ، وجاءوا بالسلاح ، فقال أبو هريرة لمروان : أتعني الحسن أن يدفن في هذا الموضع ، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » ! قال مروان : دعنا منك ، لقد ضاع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله إدا كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سبيد الخدري ! وإنما أسلمت أيام خيبر ، قال أبو هريرة : صدقت ، أسلمت أيام خيبر ، ولكنني لزممت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم أكن أفترقه ، وكنت أسأله ، وعُييت بذلك حتى علمت من أحببته ومن أنفض ، ومن قرب ومن أمد ، ومن أقر ومن نفى ، ومن لمن ومن دماله ؟ فلما رأت عائشة السلاح والرجال ، وخافت أن يعظم الشر بينهم ، وتسبك الدماء ، قالت : البيت بيتي ، ولا آحد لأحد أن يدفن فيه ، وأبي الحسين عليه السلام أن يدفن إلا مع حده ، فقال له محمد بن الحنفية : يا أباي ، إنه لو أوصى أن يدفنه لنفاه أو نموت قبل ذلك ، ولكنك قد استنيتي ، وقال : « إلا أن يحاوها الشر » ، فأبى شر يرى أشد مما نحن فيه فدفنوه ^(١) في البقيع .

قال أبو الحسن المدائني : وصل نبي الحسن عليه السلام إلى البصرة في يومين وليتين ، فقال الجارود : بن أبي سبرة ^(٢) :

إذا كل شر سار يوماً وليةً وإن كان خير آخر السير أربماً

إذا ما برىد الشر أقبل نحواً يا حدى الدواهي الربد سار وأمرها

وروى أبو الحسن المدائني ، قال : خرج على معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصنع الحسن عليه السلام له فأرسل معاوية إلى الحسن عليه السلام يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج ، فقال الحسن : سبحان الله ! تركت قتالك وهو لي حلال لصالح الأمة وألقهم ، أفرأى أقاتل معك ! فخطب معاوية أهل الكوفة ، فقال : يا أهل الكوفة ،

أَتَوْنِي قَاتِلَتِكُمْ عَلَى الْعَلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَصَلُّونَ وَتَزَكُّونَ
وَتَحِبُّونَ ؟ وَلَكِنِّي قَاتِلَتِكُمْ لِأَتَأْتِرَ عَلَيْكُمْ وَعَلَى رِقَابِكُمْ ، وَقَدْ آتَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ
كَارِهُونَ ؟ أَلَا إِنَّ كُلَّ مَالٍ أَوْ دِمٍّ أَصِيبُ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ مُظْلُومٌ ، وَكُلُّ شَرْطٍ شَرْطُهُ
فَتَحَتِ قَدَمِي هَاتَيْنِ ؟ وَلَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا ثَلَاثٌ : إِخْرَاجُ الْمَطَاءِ عِنْدَ مَحَلِّهِ ، وَإِقْضَاءُ الْحُدُودِ
لَوْقَتِهَا ، وَعَزْوَ الْمَدُونِ فِي دَارِهِ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا هَؤُلَاءِ عَمَرُوا كَمْ . ثُمَّ زَلَّ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : فَقَالَ الْمُسَيْبُ بْنُ نَحْثَةَ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا يَنْقُضِي عَهْدِي مِنْكَ !
بَايَعْتَ مَعَاوِيَةَ وَمَعَكَ أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، وَلَمْ تَأْخُذْ لِنَفْسِكَ وَثِيمَةً وَعَقْدًا طَاهِرًا ، أَعْطَاكَ أَمْرًا
فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ قَالَ مَا قَدْ صَمِعْتُ ، وَاللَّهِ مَا أَرَادَ بِهَا ^(١) عَيْرُكَ ، قَالَ . فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى
أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَقَدْ تَقَضَّى مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ . فَقَالَ : يَا مُسَيْبُ ، إِنْ لَوْ أَرَدْتُ
عَمَّا فَعَلْتُ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ مَعَاوِيَةَ بِأَمْرٍ عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَا أَثْبَتَ عِنْدَ الْحَرْبِ مَتًى ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ
مَصْلَحَتَكُمْ ، وَكَفْتُ بِمَعْصِيَتِكُمْ عَنْ نَعْمَتِكُمْ فَارْتَضَوْا بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَقَصَائِهِ ، حَتَّى يَسْتَرْجِعَ بَرٌّ ،
أَوْ يُسْتَرَّاحَ مِنْ فَاجِرٍ .



قَالَ الْمَدَائِنِيُّ وَدَخَلَ قُبَيْدَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْكَدَيْدِ عَلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكُلُّ
ضَرْبٍ عَلَى وَجْهِهِ ضَرْبَةٌ وَهُوَ مَعَ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ مِنْ عَادَةِ - فَقَالَ : مَا أَلْنِي أَرَى بِوَجْهِكَ ؟
قَالَ : أَصَابَنِي مَعَ قَيْسٍ . فَاتَّعَتْ حُجْرُ بْنُ عَدَى إِلَى الْحَسَنِ ، فَقَالَ : لَوَدِدْتُ أَنَّكَ كُنْتَ
مِتَّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَا كَانَ ، إِنَّا رَحِمْنَا رَاعِمِينَ بِمَا كَرِهْنَا ، وَرَحِمُوا مَسْرُورِينَ
بِمَا أَحَبُّوا . فَتَعَيَّرُوهُ الْحَسَنُ ، وَعَمَرَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُجْرًا ، فَسَكَتَ ، فَقَالَ الْحَسَنُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا حُجْرُ ، لَيْسَ كُلُّ انْسَاسٍ بِحَبَّةٍ مَا تَحِبُّ وَلَا رَأْيُهُ كَرَأْيِكَ ، وَمَا فَعَلْتُ
إِلَّا إِبْقَاءَ عَلَيْكَ ، وَاللَّهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ .

(١) مَبَارَةٌ د : « مَا أَرَادَ بِهَا قَالَ عَيْرُكَ » .

قال المدائني : ودخل عليه سفيان بن أبي ليلى النهدي ، فقال له : السلام عليك يمدل المؤمنين ! فقال الحسن : احسن برحمتك الله ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع له ملك بن أمية ، فنظر إليهم يعلمون منبره واحدا فواحدا ، فشق ذلك عليه ، فانزل الله تعالى في ذلك قرآنا قال له : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلَكُوتَ فِي ثَمَرِهَا ﴾ (١) . ومحمد عليا أبوجه الله يقول : سيلى أمر هذه الأمة رجل واسع السجوم ، كبير البطن ، فسأله : من هو ؟ فقال : معاوية . وقال لى : إن القرآن قد نطق بملك بن أمية ومدتهم ، قال تعالى : ﴿ كَيْفَ أَتَقْدِرُ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (٢) ، قال أبى : هذه ملك بن أمية .

قال المدائني : فلما كان طام الصبح ، أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أياما ، ثم تمهز للشيوخ إلى المدينة ، فدخل عليه الحسين بن عتبة القزاري وطلبيان بن عماره التميمي ليودعاه ، فقال الحسن بن الحنفية القائل على أمره : لو أجمع الخلق جيبا على ألا يكون ما هو كائن ما استطاعوا . فقال أخوه الحسين عليه السلام : لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل أبى حتى عزم على أخى ، فأطعته ، وكانما يجد أنى بالمولى ، فقال المسيب : إنه والله ما يكبر عليا هذا الأمر إلا أن تصاموا وتنتقصوا ، فأما نحن ، فإنهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه ، فقال الحسين : يا مسيب ، نحن نعلم أنك تحبنا ، فقال الحسن عليه السلام : سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « من أحب قوما كان معهم » ، فعرض له المسيب وطلبيان بالرحوم ، فقال : ليس [لى] (٣) إلى ذلك سبيل ، فلما كان من غد خرج ، فصار يدير هديره نظر إلى الكوفة ، وقال : وَلَا عَنْ قَلْبِي فَارَقْتُ دَارَ مَآشَرِي هُمُ الْمَانِعُونَ حَوْزَتِي وَذِمَارِي

(١) سورة الإسراء : ٦٠ . (٢) سورة القدر : ٣ .

(٣) من ٤٥٥ .

ثم سار إلى المدينة .

قال المدائني : فقال معاوية يومئذ للوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط بمد شخص الحسن

عليه السلام : يا أبا وهب ، هل رمت ؟ قال : نعم ، وصحوت .

قال المدائني : أراد معاوية قول الوليد بن عُقبة يحرّضه على الطلب بدم عثمان :

أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَبَيْتُكَ مِنْ أَحْيَى ثَغَاةٍ مُلِيمٍ^(١)
فَعَلْتَ الذَّهْرَ كَالسَّيِّمِ الْمَسِي تَهْدُرُ فِي دِمَشْقٍ وَلَا تَرِيْمُ^(٢)
هَلْ كُنْتَ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لَشَمْرٍ لَا أَلْفٌ وَلَا سِتْوَمُ
وَبَيْتُكَ وَالْكِتَابُ إِلَى عَلِيٍّ كِدَانِيَّةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ^(٣)

وروى المدائني ، عن إبراهيم بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، قال : دخل رجل على الحسن

عليه السلام بالمدينة ، وفي يده صحيفة ، فقال له الرجل : ما هذه ؟ قال : هذا كتاب معاوية ،

يتوقد فيه على أمر كذا ، فقال الرجل : لقد كنت على النصف ، فما فعلت ؟ فقال له الحسن

عليه السلام : أحلّ ، ولكنّي خَشِيتُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ ثَمَانُونَ أَلْفًا ،

تُشْحَبُ أَوْدَاجُهُمْ دِمَا ، كُلُّهُمْ يَسْتَمِدِّي اللَّهُ فِيهِمْ هُرْبِقَ دِمِهِ أ

قال أبو الحسن : وكان الحسين^(٤) بن المندر الرقاشي يقول : والله ما وفي معاوية

للحسين بشيء مما أعطاه ؛ قتل حُجْرًا وأصحاب حُجْرٍ^(٥) ، وباع لابنه يزيد ، وسمّ الحسن .

(١) المليم : من آت من الأمر ما يلام عليه .

(٢) في اللسان : « السيم : الذي يربع عن غلته فقال به وبين ألفه وقد إذا حاج فيرى حوال

الدار ، وإن صال حل له حجام يحمه عن فتحه » ، ومنه قول الوليد بن عُقبة . . . واستشهد بالبيت .

(٣) الحلم ، بالتحريك : فساد الجسد ؛ قال صاحب اللسان في شرح البيت : « يقول أنت تسي في

في إصلاح أمر قد تم فساد ؛ كهذه المرأة التي تدعى الأديم الحلم التي وهت فيه الحلة فنقته وأفسده

فلا ينتفع به » .

(٤) د : « الحسين » ، (٥) حجر بن عدي .

قال الدائني : وروى أبو الطمیل ، قال : قال الحسن عليه السلام لمولى له : أتعرف معاوية بن خديج ؟ قال : نعم ، قال : إذا رأيته فأعلمني ؛ فرآه خرجاً من دار عمرو ابن حريث ، فقال : هو هذا ! فدماه ، فقال له : أنت الشام علياً عند ابن آكلة الأكباد ! أما والله لئن وردت الخوض ولم ترده لثربته مشمرا عن صافيه ، حاسرا عن دراعيه ، يذود عنه المايقين .

قال أبو الحسن : وروى هذا الحر أيضا قيس بن الربيع ، عن بدر^(١) بن النخيل ، عن مولى الحسن عليه السلام .

قال أبو الحسن : وحدثنا سليمان بن أيوب ، عن الأسود^(٢) بن قيس البدي ، أن الحسن عليه السلام لقي يوماً حبيب بن ممة فقال له . يا حبيب ، دت مسيرك في غير طاعة الله ! فقال : أما مسيرى إلى أبيك فليس من ذلك ، قال : بل والله ؛ ولكك أطلعت معاوية على دمية قليلة زائلة ، فلو قام بك في دنياك ، لقد فعد بك في آخرتك ، ولو كنت إذ فعلت شراً قلت خيراً ، كان ذلك ، كما قال عز وجل : ﴿ حَلَطُوا مَعَلَاً صَالِحًا وَآخَرًا سَيِّئًا ﴾^(٣) ، ولكك كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٤) .



قال أبو الحسن : طالب زياد رجلاً من أصحاب الحسن ، ممن كان في كتاب الأمان ، فكتب إليه الحسن :

من الحسن بن عليٍّ إلى زياد ؛ أما بعد ؛ فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا ، ولقد ذكر لي فلان أنك تعرضت له ، فأحب ألا تعرض له إلا بخير . والسلام .

(١) في د : « زيد » . (٢) د : « أبي الأسود » .

(٣) سورة التوبة ١٠٢ . (٤) سورة النجم ١٤ .

فلما آتاه الكتاب ، وذلك بعد أداء معاوية إياه غضب حيث لم ينسبه إلى أبي سفيان ، فكتب إليه :

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن ؛ أما بعد ، فإنه آتاني كتابك في فاسق تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وإيم الله لأطلبه بين حلفك ولحك ، وإن أحب الناس إلى لما أن آكله لأختم أمته [والسلام] ^(١) .

فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب ، بعث به إلى معاوية ، فلما قرأه غضب وكتب :

من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد . أما بعد ، فإن لك رأيين : رأيا من أبي سفيان ورأيا من سمية ، فأما رأيك من أبي سفيان فخطم وحرم ، وأما رأيك من سمية فما يكون من مثلها . إن الحسن بن علي عليه السلام كتب إليك عرست لصاحبه ، فلا تعرض له ، فإنني لم أحصل [لك] ^(٢) عليه شيئا ، وإن الحسن ليس ممن يرمى به الرجوعان ^(٣) ، والمحب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه أو إلى أمه ، فالآن حين احترت له ، والسلام .

• • •

قلت : جرى في مجلس بعض الأكارب وأنا حاضر القول في أن عليا عليه السلام شرى بفاطمة عليها السلام فقال إسان كان حاضر المجلس : بل فاطمة عليها السلام شرفت به وخاض الحاضرون في ذلك بعد إسكارهم تلك اللمعة ، وسألني صاحب المجلس أن أذكر ما عندي في المعنى وأصح : أيما أفضل : علي أم فاطمة ؟ فقلت : أما أيهما أفضل ؟ فإن أريد بالأفضل الأجمع لمناقب التي تتفاضل بها الناس ، نحو العلم والشجاعة ونحو ذلك ، فعلى أفضل ، وإن أريد بالأفضل الأرفع منزلة عند الله ، فآلتي

(١) عن « د » .

(٢) الرجوان : ثنية رجا ، والرجا مقصور : ناحية كل شيء . ويحال : روى به الرجوان : إذا استهان

به ، فكأنه روى به هناك ، أراد أنه طرح في المهادك .

استقر عليه رأى المتأخرين من أصحابنا، أن عياً أرفع المسلمين كافة عند الله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الذكور والإناث ؛ وهطمة امرأه من المسلمين ، وإن كانت سيّدة نساء العالمين ؛ وبذلك على ذلك أنه قد ثبت أنه أحب الخلق إلى الله تعالى بحديث الطائر ، وهطمة من الخلق ، وأحب الخلق إليه سبحانه أعظمهم ثواباً يوم القيامة ، على ما فسره المحققون من أهل الكلام ، وإن أريد بالأفضل الأشرف نسباً ، فهاطمة أفضل لأن أباهما سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ، فليس في آباء علي عليه السلام مثله ولا مقارنه ، وإن أريد بالأفضل من كان رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ عليه حُوراً وأمن به رحماً ، فهاطمة أفضل ، لأنها ابنته ؛ وكان شديد الحب لها والحنو عليها جسداً ، وهي أقرب إليه نسباً من ابن العم ، لا شبهة في ذلك .

فأما القول في أن علياً شرفاً بما أوشرفهم ، فإن علياً عليه السلام كانت أسباب شرفه وتعبّره على الناس متنوعة ، فيها ما هو متعلق بباطمة عليها السلام ، ومنها ما هو متعلق بأبيها صلوات الله عليه ، ومنها ما هو مستقل بنفسه .

فأما الذي هو مستقل بنفسه ، فنحو شجاعته وعفته وحده وقناعته وسجاجة أخلاقه ومخاضة نفسه . وأما الذي هو متعلق برسول الله صلى الله عليه وآله فنحو علمه ودينه وزهده وعبادته ، وسبقه إلى الإسلام وإحاراه بالمعيوب .

وأما الذي يتعلق بباطمة عليها السلام فكأخاه لها ؛ حتى صار بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله الصّهر المصاف إلى نسب والنسب ؛ وحتى إن ذريته منها صارت ذرية لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وأحزاء من داته عليه السلام ؛ وذلك لأن الولد إنما يكون من منى الرجل ودم المرأة ، وهما حزآن من ذاتي الأب والأم ، ثم هكذا أبداً في ولد الولد ومن بعده من النطون دائماً . فهذا هو القول في شرف علي عليه السلام بباطمة .

فأما شرفها به فإنها وإن كانت ابنة سيد المالين ، إلا أن كونها زوجة على أفادها نوعاً من شرف آخر رائداً على ذلك الشرف الأول ؛ ألا ترى أن أباهما لو زوّحها أبا هريرة أو أنس بن مالك لم يكن حالهما في العظمة والجلالة كحالهما الآن ، وكذلك لو كان بنوها وحرّيتهما من أبي هريرة وأنس بن مالك لم يكن حالهم في أنفسهم كحالهم الآن .



قال أبو الحسن المدائني : وكان الحسن كثير التزوّج ، تزوّج حوّلة بنت منظور بن زيان الفزارية ، وأمّها مليكة بنت حارثة بن مسان ، فولدت له الحسن بن الحسن . وتزوّج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ، فولدت له ابناً سمّاه طلحة ، وتزوّج أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري - واسم أبي مسعود عتبة بن عمر - فولدت له زيد بن الحسن ، وتزوّج جمدة بنت الأشعث بن قيس ، وهي التي سفته السم ، وتزوّج هند ابنة [سهيل بن عمرو ، وحفصة ابنة]^(١) عبد الرحمن بن أبي بكر ، وتزوّج امرأة من كلب ، وتزوّج امرأة من بنات عمرو بن أهتم المنقرى ، وامرأة من ثقيف ، فولدت له امرأاً ، وتزوّج امرأة من بنات علقمة ابن زرارة ، وامرأة من بني شيبان من آل هام بن مرة ، فقبل له : إنها ترى رأي الخوارج ، فطلقها ، وقال : إني أكره أن أصمّ إلى نحرى بجرة من بحر جهنم .

وقال المدائني : وخطب إلى رجل فزوّجه ، وقال له : إني منهوَجك ، وأعلم أنك ملق طلق غلق^(٢) ؛ ولكنك خير الناس نسباً ، وأرضهم جداً وأباً .

قلت : أما قوله ملق طلق ؛ فقد صدق ؛ وأما قوله غلق فلا ؛ فإن اللق الكثير الضجر ، وكان الحسن عليه السلام أوسع الناس صدراً وأسججهم خلقاً .

(١) من « د » .

(٢) اللق : الفقير .

قال المدائني : أحصيت زوجت الحسن بن علي فكان سبعين امرأة .

قال المدائني : ولا توفي علي عليه السلام خرج عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس ، فقال : إن أمير المؤمنين عليه السلام توفي ، وقد ترك خلفاً ، فإن أحببتم خرج إليكم ، وإن كرهتم فلا أحد على أحد ؛ فبكى الناس ، وقالوا : بل يخرج إلينا ، نخرج الحسن عليه السلام ، فخطبهم فقال : أيها الناس ؛ اتقوا الله ، فإنما أمراؤكم وأولياؤكم ، وإننا أهل البيت الذين قال الله تعالى فينا : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) ، فبايعه الناس .

وكل حرج إليهم وعنده ثياب سود ، ثم وحه عبد الله بن عباس ومعه مئتين من سعد ابن عباد ممدمة له في اثني عشر ألفاً إلى الشام ، وخرج وهو يريد الدائن ، فطعن بساباط وانتهى متاعه ؛ ودخل المدائن ؛ وبلغ ذلك معاوية ، فأشاعه ؛ وحمل أصحاب الحسن الدين وخمهم مع عبد الله يتسللون إلى معاوية ، والوحوه وأهل أسيرتات . فكتب عبد الله بن العباس بذلك إلى الحسن عليه السلام فخطب الناس ووثعهم ، وقال : حالتم أبي حتى حُكِّم وهو كاره ، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم ، فأقيم حتى صار إلى كرامة الله ، ثم بايعتموني على أن تسألوا من سأل ، وتحاربوا من حارب ، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية ، وبايعوه ؛ فحسب منكم ، لا تمرؤي من ديني ونفسي .

وأرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وأمه هذيل بنت أبي سفيان بن حرب - إلى معاوية يسأله المائة ، واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنة نبيه ، وألا يبايع لأحد من بعده ، وأن يكون الأمر شورى ، وأن يكون الناس أجمعون آمنين .

وكتب بذلك كتاباً ، فأبى الحسين عليه السلام ، وامتنع ؛ فكلّمه الحسن حتى رضى ،
وقدم معاوية إلى الكوفة .

• • •

قال أبو الحسن : وحدثنا أبو بكر بن لأسود ، قال : كتب ابن العباس
إلى الحسن :

أما بعد فإن المسلمين وقولك أمرهم^(١) بعد على عيبه السلام ، فتمرّ للحرب ، وحاهد
عدوك ، وقارب أصحابك ، واشتر^(٢) من الطيب^(٣) دية بما لا يثلم^(٤) لك دين^(٥) ،
ووال أهل^(٦) البيوتات والشرف ، تستصلح به عشارهم ، حتى يكون الناس جماعة ؛
فإن بعض ما يكره أساس - ما لم تعد الحق - وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل ،
وعرّ الدين - خير من كثير مما يُبجته النّس إنّا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور
وذللّ المؤمنين ، وعرّ الآخرين . واقتدِ بما جاء عن أئمة العدل ، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح
الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس ؛ فإن الحرب حذرة ؛ ولك في ذلك سعة
إذا كنت محارباً ، ما لم تبطل حقاً .

واعلم أن عليّاً أنك إنما رغبت أساس عه إلى معاوية ، أنه أساء بينهم في الفء ،
وسوى بينهم في العطاء ، فثقل عليهم ؛ واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء
الإسلام ؛ حتى ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ، وعحق الشرك ، وعرّ الدين ، أظهروا
الإيمان وقرءوا القرآن ، مستهزئين بآياته ، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى ، وأدوا الفرائض

(١) في د : « أمورهم » (٢) د « واشتر »

(٣) الطيب : « للثمن » . (٤) يثلم - ييب .

(٥) العقد : ١ : ٣٠ ، وعيون الأخبار : ١ : ١٤ « بحث » . (٦) القدوعيون الأخبار : « رول »

وهم لما كارهون ؛ فلما رأوا أنه لا يعزى الدين إلا الأتقياء الأبرار ، توسموا بسما الصالحين ، ليظن المسلمون بهم خيرا ، فثاروا بذلك حتى شرکهم في أماناتهم ، وقالوا : حسابهم على الله ؛ فإن كانوا صادقين فإخواسا في الدين ، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اترفوا هم الآخرین ؛ وقد مدت بأولئك وثابتهم وأشباههم ؛ والله ما زادهم طول العمر إلا غيما ، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقنا ؛ فجاهدتم ولا ترض دينة ، ولا تقبل حسنا^(١) ؛ فإن عليا لم ينجح إلى الحكومة حتى عُلب على أمره فأطب ؛ وإتهم بملكون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل ، فلما حكموا بالهوى ، رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ، ولا تخرج من حق أم أولى به ، حتى يحول الموت دون ذلك . والسلام .

قال المدائني : وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية :

من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان . أما بعد فإن الله امت محمد صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين ، فأظهر به الحق ، وقمع به الشرك ، وأعر به العرب عامة ، وشرف به قريش خاصة ، فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَدَيَّكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾^(٢) ؛ فلما توفاه الله تارعت العرب في الأمر بعده ، فقالت قريش : نحن عشيرته وأولياؤه ، فلا تدارعونا سلطانه ، فعرفت العرب لقريش ذلك ؛ وجاهدتنا قريش ما عرفت لها العرب ، فبهات ! ما أنصفنا قريش وقد كانوا ذوى فصيلة في الدين ، وسابقة في الإسلام ؛ ولا أغرو^(٣) إلا منازعته إيانا الأمر نفي حق في الدنيا معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، فأنه الموعد ، سأل الله ألا يؤتينا في هذه الدنيا شيئا ينقصنا عنه في الآخرة . إن عليا لما توفاه الله ولآلى السلون الأمر بعده ، فأتى الله يا معاوية ؛ وانظر لأمة محمد

(١) حسنا ، أي ذلا . (٢) سورة الزخرف ٤٤ .

(٣) لا أغرو ؛ أي لا عيب .

صلى الله عليه وآله ، ما تحقّق به دماها ، وتصلح به أمرها ، والسلام .

وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمي ، تيمم الرّباب ، وجندب الأزدي ،
فقدما على معاوية فدعواه إلى بيعة الحسن عليه السلام فلم يجبهما ، وكتب جوابه :

أما بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرت به رسول الله ، وهو أحقّ الأولين والآخرين بالفضل
كله ، وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده ، فصرّختُ بهمة أبي بكر الصديق وعمر
وأبي عبيدة الأمين ، وصُلحاء المهاجرين ، فكُرهتُ لك ذلك ؛ إنّ الأئمة لما تنازعت
الأمر بينها رأت فريشا أحلقها به^(١) ؛ فرأت فريش والأنصار ودو الفصل والدين من المسلمين
أنّ يولّوا من فريش أعصمها بالله ، وأحشأها له ؛ وأقواها على الأمر ، فاختاروا أبا بكر
ولم يألوا ، ولو علموا مكان رجل غير أبي بكر يقوم مقامه وبذت عن حرم الإسلام دينه
ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر ، والحال اليوم بيني وبينك على ما كانوا عليه ، فلو علمتُ أنّك
أصبط لأمر الرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأكيد للعدو ، وأقوى
على جمع الوء ، لستُ لك الأمر بعد آييك ؛ فإنّ أباك سَمي على عثمان حتى قُتل مطلوما ،
فطالب الله بدمه ؛ ومن يطلبه الله من يهوته . ثم ابتزّ الأمة أمرها ، وفرّق جماعتها ، نخالفة
نظراؤه من أهل الساقة والجهاد والقدّم في الإسلام ، وادّعى أنّهم نكثوا بيعته ، فقاتلهم
فُسّكت السماء ؛ واستحلّت الحرم ، ثم أقبل إليهما لا يدعى علينا بيعة ؛ ولكنه يريد أن
يملكنا اعترازا ، فحاربناه وحاربنا ، ثم سارت الحرب إلى أن اختار رجلا واختارنا رجلا ،
ليحكم بما تصلح عليه الأمة ، وتعود به الجماعة والأئمة ، وأحدنا بذلك عليهما ميثاقا وعليه
مثله وعليه مثله ، على الرضا بما حكما ، فأوصى الحكيم عليه الحكم بما علمت ، وخلفاء ،
فوالله ما رضى بالحكم ، ولا صر لأمر الله ؛ فكيف تدعوني إلى أمر إنّما تطلبه بحق آييك ،
وقد خرج منه ! فانظر لنفسك ولدينك . والسلام .

(١) في د « أحلقها » .

قال : ثم قال للحارث وحنطب : ارحمنا فليس بيني وبينكم إلا السيف ؛ فرجما وأقبل إلى العراق في ستين ألفا ؛ واستحلف على اشام الضحّاك بن قيس الفهريّ والحسن مقيم بالكوفة ، لم يشحص حتى يلمه أن معاوية قد عرّج جسر مَنبِيج ، فوجه حجر بن عدى يأمر العمال بالاحتراس ، ويدبّ الناس ، فسارعوا . فمقد لقيس بن سعد بن عبادة على اثني عشر ألفا ، فزّل دير عبد الرحمن ، واستحلف على الكوفة الميرة بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطّاب ، وأمر قيس بن سعد بن أسير ، وودّعه وأوصاه ، فأخذ على الفرات وقرى اللؤلؤة ، ثم إلى مَسْكِن . وارنحل الحسن عليه السلام متوجّها نحو المدائن ، فأتى ساباط فأقام بها أباما ، فلما أراد أن يرّحل إلى اسائى قام صَحْطُ الناس ، فقال : أتيها الناس ؛ إنكم يا معتموني على أن تسألوا مَنْ سالت وتجاروا مَنْ حرّرت ، وإني والله ما أصبحت عتملا على أحد من هذه الأمة صنفة في شرق ولا غرب ، ولما تكروهون في الجماعة والألفة والأمن ، وصالح ذات الأمن خير مما تحمون في الفرقة ، والخوف والتناقص والعدوة ، وإنّ عليا أنى كان يقول : لا تنكروها إمارة معاوية ؛ فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الروس تُدْر^(١) عن كواهلها كالخسطل . ثم زل .

فقال اساس : ما قال هذا القول إلا وهو حانع نفسه ومسلم الأمر لمعاوية ، فخاروا به فقطعوا كلامه ، واتهموا متاعه ، وانزعوا مُطَرَقًا كان عليه ، وأخذوا حارية كانت معه ، واحتلف الناس فصارت طائفة معه ؛ وأكثرهم عدي ، فقال : اللهم أنت المستعان ، وأمر بالرحيل ، فزّاحل الناس ، وأناه رحل بفرس ، فركه وأطاف به بمص أصحابه ، فسمعوا الناس عنه وساروا ، فقدمه سفان بن أخراح الأسديّ إلى مطّيم ساباط ، فأقام به ؛ فلما دنا منه تقدّم إليه يكلمه ، وطعمه في نخبه بالمعول^(٢) طمئة كادت تصل إلى العظم ، ففشي عليه واجتدره أصحابه ، فسبق إليه عُبيد الله الصّديّ ، فصرع سبانا وأخذ طبيان بن عمارة المعول

(١) تدّر : تقطع . (٢) المعول : حديدة يتقر بها الصخر .

من يده ، فضربه به ففطم أُنقه ، ثم ضربه بصخرة على رأسه فقتله ؛ وأفق الحسن عليه السلام من غشيته ، فمصوا جُرحه وقد نَزَفَ وصَفَ ، فقدموا به المدائن وعليها سعد بن مسعود ، عم المختار بن أبي عبيد ، وأقام بالمدائن حتى برئ من جرحه .

قال المدائني ؛ وكان الحسن عليه السلام أكرَّ ولد على ، وكان سيِّداً سخياً حليماً حطيباً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحته ؛ سابق يومابن الحسين وبنيه فسبق الحسن ، فأجلسه على محده اليمى ، ثم أحلس الحسين على انفخدر اليسرى ، فقيل له : يا رسول الله أيهما أحب إليك ؟ فقال : أقول كما قال إبراهيم أبونا ، وقيل له : أى أبيك أحب إليك ؟ قال : أكرهما وهو الذى ولد أبى محمداً صلى الله عليه وسلم .

وروى المدائني عن زيد بن أرقم ، قال : خرج الحسن عليه السلام وهو صغير ، وعليه ثُرْدُه ورسول الله صلى الله عليه وآله يحطب ، فمثر فسقط ، ففطم رسول الله صلى الله عليه وآله الخطبة ، ونزل مسرعاً إليه ، وقد حمله الناس ، فنسبته وأحده على كتفه ، وقال : إن الولد لفتنة ، لقد نزلت إليه وما أدري ! ثم سعد فأنتم لخطبة .

وروى المدائني ، قال : لقي عمرو بن أمس الحسن عليه السلام فى الطواف ، فقال له : يا حسن ، رعت أن الدين لا يقوم إلا بك وأبيك ، فقد رأيت الله أقامه معاوية ، فجعله راسياً بعد ميِّله ، وبنيها بعد حفاة ، أمرضى الله بقتل عثمان ؛ أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطَّحِين ، عليك ثياب كعرق^(١) البيض ، وأنت قاتل عثمان ، والله إنه لألم للشعث ، وأسهل للوعث ، أن يوردك معاوية حياصاً أبيض ؛ فقال الحسن عليه السلام : إن لأهل النار علامات يُرمون بها ، إلخاداً لأولياء الله ؛ وموالاة لأعداء الله ، والله إنك

(١) العرق : الفعرة المترقة بيض البيض .

تَعْلَمُ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَرْتَبْ فِي الدِّينِ ، وَلَا يَشْكُ فِي اللَّهِ سَاعَةً وَلَا طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ ، وَإِيمَ اللَّهِ لَتَنْتَهِنَ
بِابْنِ أُمِّ عَمْرٍو أَوْ لَا تُغْنِنَ حِصْنَيْكَ بِنَوَاحِشِ أَشَدِّ مِنَ الْقَمْصِيَّةِ^(١) : فَإِيَّاكَ وَالتَّهْجُمَ عَلَيَّ ، فَإِنِّي
مَنْ قَدْ عَرَفْتُ ؛ لَسْتُ بِصَعِيفِ الْعَمْرَةِ ، وَلَا هَشَّ الْمَشَاشَةِ^(٢) ؛ وَلَا مَرِيئَ الْمَأْكَلَةِ ، وَإِنِّي مِنْ
قُرَيْشٍ كَوَاسِطَةِ الْقِلَادَةِ ، يُتْرَفُ حَسْبِي ، وَلَا أُذَقُّ لَغِيرِ أَبِي ، وَأَنْتَ مَنْ تَعْلَمُ وَيَعْلَمُ النَّاسُ ،
تَحَاكَمْتُ فِيكَ دِمَالِ قُرَيْشٍ ، فَمَلَبَ عَيْدُكَ حَرَارُوهَا ، الْأَمَهُمْ حَسْبًا ، وَأَعْظَمَهُمْ لَوْمًا ،
فَإِيَّاكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ رَجَسٌ ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الطَّهَارَةِ ، أَذْهَبَ اللَّهُ عَنَّا الرَّجَسَ وَطَهَّرَنَا
تَطْهِيرًا . فَأَفْهِمِ عَمْرٍو وَانصَرَفِ كَثِيرًا .

وَرَوَى أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : سَأَلَ مَعَاوِيَةَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بَعْدَ الصَّلَاحِ أَنْ يَخْطُبَ
النَّاسَ ، فَامْتَنَعَ ، فَمَاشَدَهُ أَنْ يَفْعَلَ ، فَوُضِعَ لَهُ كُرْسِيٌّ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
تَوَحَّدَ فِي مُلْكِهِ ، وَتَفَرَّدَ فِي رِجْوَيْهِ ، يُوَفِّي الْمُلُوكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَيَبْرِعُهُ عَقْنَ يَشَاءُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَكْرَمَ بَنِي مُؤْمِسِكُمْ ، وَأَخْرَجَ مِنَ الشَّرْكِ أَوَّلَكُمْ ، وَحَقَّنَ دِمَاءَ آحْرَكُمْ ، فَبَلَاؤُنَا عِنْدَكُمْ
قَدِيمًا وَحَدِثًا أَحْسَنَ الْبَلَاءِ ، إِنْ شَكَرْتُمْ أَوْ كَفَرْتُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ رَتَّ عَلِيٌّ كَانَ
أَعْلَمُ بِعِلْمٍ حِينَ قُبِضَ إِلَيْهِ ، وَلَقَدْ احْتَمَنَهُ بِعَلٍّ لَمْ تَمْتَادُوا مِثْلَهُ ، وَلَمْ تَجِدُوا مِثْلَ سَابِقَتِهِ ،
فَهِيَ هِيَ هِيَ ! طَالَمَا قَلْبِي لِهَ الْأُمُورِ حَتَّى أَعْلَاهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَهُوَ صَاحِبُكُمْ ، وَعَدُوُّكُمْ فِي بَدْرِ
وَأَحْوَاتِهَا ، جِرَّكُمْ رَنْقًا ، وَسَقَاكُمْ عَمَقًا ، وَأَدْلَى رَقَاتِكُمْ ، وَأَشْرَقَكُمْ بِرَيْفِكُمْ ، فَلَسْتُمْ بِمُلُومِينَ
عَلَى بِنْفِضِهِ . وَإِيمَ اللَّهِ لَا تَرَى أُمَّةً مَحْمُودَةً كَمَا كَانَتْ سَادَتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ فِي بَنِي أُمِيَّةٍ ، وَلَقَدْ
وَجَّهَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ خِصَّةً لَنْ تَصْدُرُوا عَنْهَا حَتَّى تَهْلِكُوا ؛ لَطَاعَتُكُمْ طَوَاعِيَتُكُمْ ، وَانْصَوَائُكُمْ
إِلَى شِيَاطِينِكُمْ ، فَغَنَدَ اللَّهُ أَحْتَسَبَ مَا مَضَى وَمَا يَنْتَظَرُ مِنْ سُوءِ دَعَاتِكُمْ ، وَحَيْفَ
حُكْمِكُمْ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لَقَدْ فَارَقَكُمْ بِالْأَمْسِ سَهْمٌ مِنْ مَرَايِ اللَّهِ ، صَائِبٌ

(١) الْقَمْصِيَّةُ : الْأَسَنَةُ ، مَسْوُومَةٌ إِلَى قَعْبِ اسْمِ رَجُلٍ كَانَ يَعْمَلُ الْأَسَنَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(٢) الْمَشَاشُ فِي الْأَصْلِ : رَمُوسُ الصَّامِ .

على أعداء الله ، نكّل على فجّار قريش ، لم يزل آخذاً بمخارجها ، جاعاً على أُناسها ؛
ليس بالملومة في أمر الله ، ولا بالسرّوة لئال الله ، ولا بالقرّوة في حرب أعداء الله ، أعطى
الكتاب خواتمه وعزائمه ، دعاه فجابّه ، وقاده فاتبّعه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فسلوات
الله عليه ورحمته . ثمّ نزل .

فقال معاوية : أخطأ بحجر أو كاد ؛ وأصاب مشت أو كاد ، ماذا أردت من
خطبة الحسن ؟

فأمّا أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصمّانيّ ، فبُنيّ قال : كان في لسان أبي محمد الحسن
عليه السلام ثقل كالنّافذة ؛ حدثني بذلك محمد بن الحسين الأشثانيّ ، قال : حدثني محمد بن
إسماعيل الأحمسيّ ، عن مفصل بن صالح ، عن جابر . قال : كان في لسان الحسن عليه
السلام رنة ^(١) ، فكان سلمان الفارسيّ رحمه الله يقول : أتته من يَقلّ حمة موسى بن
عمران عليه السلام ^(٢) .

قال أبو الفرج : ومات شهيداً مسموماً ، دسّ معاوية إليه وإلى سعد بن أبي وقاص
حين أراد أن يعهد إلى يزيد أنه بالأمر بعده سميّاً ، فأتاه في أيام متقاربة ؛ وكان الذي
تولّى ذلك من الحسن عليه السلام زوجته جَعْدَة بنت الأشعث بن قيس بمالٍ بدله لما معاوية .
ويقال : إنّ اسمها سُكينة ، ويقال طائشة ويقال : شماء ^(٣) ، والصحيح أنّ اسمها جَعْدَة .

قال أبو الفرج : فروى عمرو بن ثابت ؛ قال : كنتُ أختلف إلى أبي إسحاق

(١) ١ ، ب : « رنة » ، تصحيف ، وتصواب ما أثبتته سيّد ومقاتل الطالبيين ، والرتة : حمة
الكلام مع قلة الليالة .

(٢) مقاتل الطالبيين . . . (٣) به : « شماء » .

السَّيِّئِيَّ [سنة] ^(١) ، أسأله عن الخطبة التي خطب بها الحسن بن علي عليه السلام عقيب وفاة أبيه ؛ ولا ^(٢) يحدثني بها ؛ فمحت إلي في يوم شاتٍ وهو في الشمس ، وعليه برسه ، فكأنه عول ، فقال لي : مَنْ أنت ؟ وأخبرته ، فبكى ، وقال : كيف أبوك ، وكيف أهلك ؟ قلت : صالحون ، قال : في أي شيء تتردد منذ سنة ؟ قلت : في خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه ^(٣) .

حدثني هُبَيْرَةُ بْنُ مَرْيَمَ ^(٤) ، قال : خطب الحسن عليه السلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ، ولا يدركه الآخرون [بمعل] ^(٥) . لقد كان يحاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيسقه نفسه ؛ ولقد كان يوجهه برأيه ، فيكنفه حرثيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ؛ ولقد توفى في الليلة التي عرج فيها يسى بن مريم ؛ والتي توفى فيها يوشع بن نوح ، وما حلف صفراء ولا ييماء إلا سبعة فدرهم من عطائه ، أراد أن يتنازع بها خدما لأهله .

ثم حفته العراء فبكى وبكى الناس معه ثم قال : آيتها الناس ، مَنْ عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فإنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنا ابن الشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله ياديه والسراج المبر ، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه ، إذ يقول : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ ^(٦) ، «قراة الحسنة مودتنا أهل البيت .

قال أبو الفرج : فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة ، قام عبد الله بن العباس بين

(١) من د ومقاتل الطالبيين . (٢) د : « ولا »

(٣) مقاتل الطالبيين ١٠١ . (٤) كذا في مقاتل الطالبيين .

(٥) من مقاتل الطالبيين . (٦) سورة الشورى ٤٣ .

يديه ؟ فدعا الناس إلى بيعته ، فاستجابوا وقتلوا : ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة ! فبايسوه ،
ثم نزل من المنبر^(١) .

قال أبو الفرج : ودس معاوية رجلاً من رعيير إلى الكوفة ، ورجلاً من بني القين
إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار ، فدل على الخيبر^(٢) وعلى القين^(٣) ، فأخذوا وقتلوا^(٤) .
وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية :

أما بعد ؛ فإنك دسست إلى الرجال ، كذبت نحب اللقاء ؛ لا أشك في ذلك فتوقفت
إن شاء الله . ولمنني أمك تحت بما لم يشمت به ذو الحجى ؛ وإنما مثلك في ذلك كما قال
الأول :

فأباً ومن قد مات ما لكأدى روح فيمسي في البيت ليفتدي^(٥)
فقل للدي يسي حلاف الدي مصي نحر لأخرى مثلها فكأن قد
فأجابه معاوية :

أما بعد ، فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ؛ ولقد علمت بما حدث
فلم أفرح ولم أحر ، ولم أشت ولم آس ، وإن عيأ أباك لكأ قال أعشى بني قيس
ابن ثعلبة :

فأنت الجسواد وأنت الدي إذا ما القلوب ملآن الصدورا^(٥)
جدير بطمة يوم اللقاء يضرب منها النساء النحورا
وما مزيد من خليج البحر يرعلو الإكام ويعلو الحسورا
بأجود منه بما عنده فيعطى الألوف ويعطى الدورا^(٦)

(٢) مقاتل الطالبين . • دل على الخيبر عبد الحام .

(٤) في مقاتل الطالبين ، البيت الثاني قبل الأول .

(١) مقاتل الطالبين ٥٢ .

(٣) مقاتل الطالبين ٥٢ .

(٥) ديوانه ٧٧ .

(٦) مقاتل الطالبين ٥٣ .

قال أبو الفرج : وكتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى معاوية :

أما بعد ، فإنك ودستك أحمأ بنى الفين إلى البصرة ، تلمس من غلات قريش بمثل ما ظفرت به من يمانيتك ، لكأ قال أمية بن أبى الأسكر^(١) :

لعمرك إني وألحزامي طارقاً كمنجة عاد حنقها تنحمر
أثارت عليها شمرة بكراعيها فطنت بها من آخر الليل تنحور
ثمت بقوم من صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أصفر^(٢)
فأحابه معاوية :

أما بعد ، فإن الحسن بن علي ، قد كتب إلى ننحو مما كتبت له ، وأبأني بما لم يحقق سوء ظن^(٣) ورأى في ، وإنك لم تصب مني ومنكم ، وإعنا مثلاً كما قال طارق ألحزامي بحبيب أمية عن هذا الشعر :

فوالله ما أدري وإني لصادق إلى أي من يطسني أصدّر
أعف إن كانت ربيبة أهلكك ونال بني لحيان شرراً فأنعروا^(٤)

(١) كذا في الأغاني ومقاتل الطالبيين وهو الصواب ، وفي ب : « أمية بن أبى الصلت » .

(٢) في الأغاني : « أصفر » .

(٣) مقاتل الطالبيين : « بما لم يحقق سوء ظن ورأى في » .

(٤) أنفروا : شرحوا ، وفي الأغاني : « وغروا » ، والحق الأغاني ١٨ : ١٦١ ، ١٦٢ ؛ ومقاتل الطالبيين

٥٣ ، ٥٤ ، وفي الأغاني عن أبي عمرو الثيال : « أصيب قوم من بني جندع بن أيث بن بكر بن هوارن ربهط أمية بن الأسكر ، يقال لهم : منوربيبة ، أصابهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الريبس في مروة بن المصطلق ، وكانوا حيراه يومئذ ، وسهم ناس من بني لحيان بن هديل ، ومع بني جندع رجل من خراعة يقال له طارق ، قاتله سوايت بهم ، وأنه دل عليهم ، وكانت خراعة مسدداً ومشاركها يملون إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قريش ؛ فقال أمية بن الأسكر لطارق ألحزامي :

« لعمرك إني وألحزامي طارقاً »

وأورد أبيات أمية ورد طارق ؛ ثم قال : « وهذه الأبيات الإهداء والانتفاء تخلل باتسائها ابن عباس

في رسالة له إلى معاوية ، وتخلل بجوابها معاوية في رسالة أحابه بها » .

قال أبو الفرج : وكان أول شيء أحدثه الحسن عليه السلام أنه زاد المقاتلة مائة مائة ، وقد كان على عليه السلام قبل ذلك يوم الجمل ، وفعله الحسن حال الاستخلاف ، فقبضه الخلفاء من بعده في ذلك ^(١) .



قال : وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي ^(٢) .
من الحسن ^(٣) بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك ، فإنني أحمدك إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإن لله حل حلاله بميث محمد أرحمة للعالمين ، ومنة للمؤمنين ، وكافة للناس أجمعين ، ﴿ لِيَسْذَرَنَّ مَنْ كَلَّ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) ، صلح رسالات الله ، وقام بأمر الله حتى توفى الله غير مقصّر ولا واهٍ ، وبعد أن أظهر الله به الحق ، ومحق به الشرك ، وحسن به قريشاً حسنة فقال له : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ^(٥) . فلما توفى تمارعت السلطنة العرب ، فقات قريش : نحن قبيلته وأمرته وأولياؤه ، ولا يحمل لكم أن تاربعونا سلطان محمد وسقته ، قرأت العرب أن القول ماقات قريش ، وأن الحجة في ذلك لهم على من راعهم أمر محمد ، فأنست ^(٦) لهم ، وسلمت إليهم . ثم حاجبنا نحن قريشاً بمثل ما حاجبت به العرب ، فلم نصفنا قريش إصاف العرب لها ، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانصاف والاحتجاج ، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى حاجتهم ، وطلب النصف ^(٧) منهم باعدونا واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراحمنا ^(٨) والعنت ^(٩) منهم لنا ، فالوعد الله ، وهو الولي النصير ؟

(١) مقاتل الطالبين ٥٥ .

(٢) مقاتل الطالبين : « مع حنيد بن عبد الله الأزدي » .

(٣) مقاتل الطالبين : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسن . . . » .

(٤) سورة يس ٧ . (٥) سورة الزخرف ٤٤ .

(٦) أنست لهم ؟ أي قالت لهم : « نعم » . (٧) النصف : الإصاف .

(٨) وانهم : فابدهم وعاداهم . (٩) العنت : المشقة والى « والعنت » .

ولقد كنّا نعتجبنا لتوثب التوثبين عليّ في حقنا وسلطان نبيّنا ، وإن كانوا ذوى فضيلة وسابقة في الإسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم بحجة على الدين أن يحمد المافقون والأحزاب^(١) في ذلك منمراً يثلمونه به ، أو يكون لهم بئسك سبب إلى ما أرادوا من إفساده ، فاليوم فليتمجّب المتمجّب من توثبك يا معاوية على أمرٍ لست من أهله ، لا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، وأنت ابن حرب من الأحزاب ، وابن أعدى قریش لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتبه ، والله حسيبك ، فستردّ فتعلم لمن عصى الدار ، وبالله لتلقين عن قنيلٍ ربّك ، ثم ليحزبك عما قدّمت يدك ، وما الله بظلام للمبيد .

إنّ علياً لما مضى لسبيله - رحمة الله عليه يوم فُيَضَ ويوم من الله عليه بالإسلام ، ويوم بُعث حياً - ولأنّ السلطان الأمر بعده ، فأسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة ، وإسأله على علم الكتاب إليك الإعداد فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ في أمرك ، ولك في ذلك إن فعلته الخطّ الحسيم ، والصالح للمسلمين ، فدع التنادي في الباطل ، وادخل فيما دُخِرَ فيه النَّاسُ مِنَّيْ ، فإنك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ أوّاب خفيط ، ومن له قلب منيب . واتّق الله ودع البغي ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دماهم بأكثر مما أنت لاقية به ، وادخل في السّلم والطاعة ، ولا تمارع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منك ، ليطلق الله النّائرة^(٢) بذلك ، ويجمع الكلمة ، ويصريح ذات البين ، وإن أنت أبيت إلا التنادي في غيبتك سرت^(٣) إليك بالمسلمين لما كُتبت ، حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

فكتب معاوية إليه^(٤) :

(١) الأحزاب : هم القيس تمربوا وتماهروا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قریش وعطفان وبنو مرة وبنو أشجع وبنو ساسم وبنو أسد في معركة الحندق .
(٢) النّائرة : الطّوارة والشّعاء . (٣) مقاتل الطالبيين : « نهبت » .
(٤) في مقاتل الطالبيين « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عدا الله . . . » .

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي ، سلام الله عليك ، فإني أجد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فقد بلغت كتابك ، وفهمت ما ذكرت به محمدا رسول الله من الفصل ، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلغ وأدنى ، ونصح وهدى ؛ حتى أئذ الله به من الحكمة ، وأما به من المعنى ، وهدى به من الجمالة والصلالة ، فجاء الله أفضل ما جرى نبيا عن أمته ؛ وصلوات الله عليه يوم ولد ، ويوم بُعث ، ويوم قُيِّض ، ويوم يُعْث حيًّا !

ودكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتنازع المسلمين الأمر بعده ، وتفتنهم على أيك ، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين وحواري^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصُلَّحَت المَهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ؛ إنك امرؤ عندما وعد الناس غير الطَّيِّبِينَ^(٢) ولا المُنِيِّين ، ولا اللثيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والله كر الحيل .

إن هذه الأمة لما احتللت بعد نبينا لم تحمل مسلم ولا سابقكم ، ولا قرابتكم من نبيكم ، ولا مكانكم في الإسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر قرش لمكانها من نبينا ، ورأى صُلَحَاء الناس من قرش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يولوا هذا الأمر من قرش أقدمها إسلاما ، وأعلمها بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاحتاروا أبا بكر ، وكل ذلك رأى حوى الدين والفضل ، والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة ، ولم يَكُونُوا مُتَّهَمِينَ ، ولا فيما اتوا بالمُحْطَيْن ، ولو رأى المسلمون أن فيكم مَنْ يَفْنَى غنائه ، ويقوم مقامه ، وينب عن حريم الإسلام ذكبه ،

(١) هو الزبير بن العوام .

(٢) ب : « ظنين » .

ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبة عنه ، ولكنهم علموا في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله ،
والله يجزيهم عن الإسلام وأهله حيراً .

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من انصح ، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال
التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة نبي صلى الله عليه وآله ، فلو علمت أنك أضبط
متى للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ،
وأكيد للعدو ، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ، ورأيتك لذلك أهلاً ، ولكن قد علمت
أنني أطول منك ولاية ، وأقدم منك بهذه الأمة نجرة ، وأكرم منك سناً ، فانت أحق أن
تجيبني إلى هذه المذلة التي سألتني ، فادخل في طاعتي ، ولك الأمر من بعدى ، ولك ما في
بيت مال العراق من مالٍ بالما ما يبلغ ، تحمله إلى حيث أحست ، ولك حراج أي كورد
العراق شنت ؛ مونة لك على نفقتك يحميها أميك ويحملها إليك في كل سنة ؛ ولك
الاستقوى عليك بالإساءة ، ولا تقضي دوت الأمور ، ولا تعصى في أمر أردت به طاعة
الله . أعاننا الله وأياك على طاعته إنه جميع بحب الدعاء . والسلام .

قال حذوب : فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية ، قلت له : إن الرجل سائر إليك ،
فأسأله بالسير حتى تقائله في أرضه وبلاده وعمله ، فإما أن تُقدر أنه شقاق ^(١) لك ؛
فلا والله حتى يرى منا أعظم من يوم صيبن . فقال : أفعل ، ثم قعد عن مشورتني
وتناسى قولي ^(٢) .

قالوا : وكتب معاوية إلى الحسن :

(١) د ومقاتل الطالبين : « تبناً لك » .

(٢) مقاتل الطالبين ٥٥ - ٥٩ .

أما بعد^(١) ، فإن الله يفعل في عباده ما يشاء ، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ،
فاحذر أن تكون مبيتك على أيدي راع من الدس ، وإيأس^(٢) من أن تحذقنا^(٣)
غيلة^(٤) ، وإن أنت أعرضت عما أت فيه وما يعتنى وفيت لك بما وعدت ، وأحرقت لك
ما شرطت ، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانةً فزوب بها تدعى إذا ميتاً وإيفياً
ولا تحسد المولى إذا كان داعسنى ولا تحممه إن كل في المال قابيا
ثم الخلافة لك من بعدى ، فأنت أولى الناس بها ، والسلام .

فأحابه الحسن :

أما بعد^(٥) فقد وصل إلى كتابك ، نذكر فيه ما ذكرت ، فركت جوابك خشية
البي [متى]^(٦) عليك ، والله أعوذ من ذلك ، فامنع الحق تعلم أني من أهله ، وعلى إثم
أن أقول فأكذب . والسلام .

فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه ، ثم كتب إلى عماله على الواح بنسخة
واحدة :

من^(٧) عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان^(٨) ومن قبله من المسلمين . سلام
عليكم ، فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فالحمد لله الذي كفاكم مؤثعدوكم
وقتل حليفكم ، إن الله بلطفه ، وحسن صنعه ، أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده ،

(١) مقاتل الطالبين : « بسم الله الرحمن الرحيم . . . أما بعد » .

(٢) ب ، أبي ، وأثبت ما في ١ ، د ومقاتل الطالبيين .

(٣) ١ ، د ومقاتل الطالبيين . (٤) نعيمة الطلس .

(٥) في مقاتل الطالبيين : « بسم الله الرحمن الرحيم . . . أما بعد » .

(٦) من د .

(٧-٧) مقاتل الطالبيين : « بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان » .

فاغتاله فقتله ، ترك أصحابه متفرقين محتملين ؟ وقد جاءنا كتب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ؟ فاقبلوا إلى حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجُهدكم وحسن عدتكم ، فقد أسبتم بحمد الله الثأر ، وبغض الأمل ، وأهلك الله أهل البني والمدوان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١) .

قال : فاجتمعت المساكر إلى معاوية ، فسار بها قاصداً إلى العراق . وبلغ الحسن خبره ومسيره نحوه ؟ وأنه قد بلغ جسر ميسج ، فتحرك عند ذلك ، وبعث حُجْر بن عدى قاصراً المال والناس بالتهيؤ للسير ، وودى المادى : الصلاة جامعة ! فقبل الناس يشربون ويجمعون . وقال الحسن : إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني ؟ وجاءه سعيد بن قيس الحمداي ، فقال له : اخرج ، فخرج الحسن عليه السلام ، وصعد المر ، حميد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ؟ فإن الله كتب الجهاد على حلقه ، ومما كرها^(٢) ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : اصبروا إن الله مع الصابرين ، فليسم أيها الناس مائتين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون .

يلمى أن معاوية يلمه أنا كما أزمنا على السير إليه ؟ فتحرك لذلك ، اخرجوا راحكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى نظر وتنظروا ، ورزى وزروا .

قال : وإنه في كلامه ليتحرف خذلان الناس له ، قال : فسكتوا فما تكلم منهم أحد ، ولا أجابه بحرف .

فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فقال : أنا ابنُ جاتم ! سبحان الله ! ما أقبح هذا المقام ! ألا تجميعون إمامكم وابن بنت نبيكم ! أين خطباء مُضَر [أين المسلمون ؟ أين

(١) مقاتل الطالبين ، ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) هو من قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ .

المواضون من أهل مصر^(١) الذين ألتهم كالمخاريق^(٢) في الدعة ، فإذا حدّ الجند فروقون كالسمال ، أما تحافون مقت الله ولا عيبها وطرها .

ثم استقبل الحسن بوجهه ، فقال : أصاب الله بك المرشد ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما يُحمد ورده ومصدره^(٣) . قد سمعنا مقاتك ، واتبينا إلى أمرك ، وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذا وحى إلى معكرى ، فمن أحب أن يوافيني فأيواف .

ثم مضى لوجهه ، فخرج من المسجد ودابته بالباب ، فركبها ومضى إلى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه . وكان عدى بن حاتم أول الناس عسكر^(٤) .

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومقل بن قيس الرياحي ورياد بن سحصة^(٥) التميمي ، فأثبوا أناس ولا موم وحرصوم ، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدى ابن حاتم في الإجابة والقول ، فقال لهم الحسن عليه السلام : صدقتم وحكم الله ! ما زلتُ أعرفكم بصدق النية والوفاء والتبؤل والودعة الصحيحة ، فحراكم الله خيرا ثم نزل .

وخرج الناس فمكروا ، ونشطوا للخروج ، وخرج الحسن إلى العسكر ، واستخلف على الكوفة الميرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطالب ، وأمره باستحثاث الناس وإشغاصهم إليه ، فجعل يستحثهم ويستفزعهم حتى يلتئم العسكر .

وسار^(٦) الحسن عليه السلام في عسكر عظيم وعدة حسنة ، حتى نزل دير عبد الرحمن ،

(١) من مقاتل الطالبين .

(٢) المخاريق . جمع مخراق ؛ وهو السيل أو نحوه يلقى مضرب به .

(٣) كذا في مقاتل الطالبين ، د .

(٤) ١ : « عسكرا » .

(٥) في ١ ، د « حفصة » .

(٦) مقاتل الطالبين : « ثم إن الحسن . . . » .

فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس ، ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فقال له :
يا بن عم ، إني باعث إليك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء المصر ، الرجل منهم يريد^(١)
الكتيبة ، فسرّ بهم ، وأرلن لهم جابك ، وأبسط لهم وجهك ، وأفرش لهم جناحك ،
وأدّهم من مجلسك ، فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين ، ومرّ بهم على شطّ الفرات حتى تقطع بهم
الفرات ، ثم نصير إلى مسكن ، ثم امض حتى تستقبلهم معاوية ، فإن أنت لقيته فاحبّه حتى
آتيك ، فإني على أترك وشيكاً ، وليكن خبرك عندي كلّ يوم ، وشاور هذين - يعنى قيس
ابن سعد وسميد بن قيس - وإذا لقيت معاوية فلا تقائله حتى يقايلك ، فإن قتل مقاتله ،
وإن أصبت قيس بن سعد على الناس ، وإن أصيب قيس بن سعد فسميد بن قيس
على الناس^(٢) .

فصار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور^(٣) ، حتى خرج إلى شام^(٤) ، ثم لزم
الفرات والفلوجة^(٥) ؛ حتى أتى مسكن^(٦) ، وأخذ الحسن على حجام صر حتى أتى
دير كعب ، ثم تكرر فرل سابط دون القنطرة ، فلما أصبح نادى في الناس : الصلاة جامعة !
فاجتمعوا ، وصعد المنبر فخطبهم فقال : الحمد لله كلّما حمده حمد ، وأشهد أن لا إله إلا الله
كلّما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، أرسله بالحق ، واتممه على الوحي ، صلى
الله عليه وآله . أما بعد ، فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومثله وأنا
أنصح خلقه خلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضئيفة ، ولا مرید له بسوء ولا غائلة .
ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ؛ ألا وإني ناظر لكم حيراً

(١) ١ : « يرون » . (٢) بسما في مقاتل الطالبين : « ثم أمره بما أراد » .

(٣) شينور : صقع بالعراق ، وفي ب « سينور » تحريف .

(٤) شام : موضع قرب الناصرة .

(٥) باقوت : « فلأليج السواد : قراها ، واحدها القنوجة ، والقنوجة الكرى ، والقنوجة الصغرى :

قرينان كبيرتان من سواد ببلاد والكوفة قرب عب النمر » .

(٦) مسكن : موضع على نهر دجيل .

من نظركم لأعسكم ، فلا تخالفوا أمري ، ولا ردوا عليّ رأيي . غفر الله لي ولكم ، وأرشدني وإياكم لما فيه محبته ^(١) ورضاء ، إن شاء الله ! ثم نزل .

قال : فظفر الناس بعضهم إلى بعض ، وقتلوا : ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا : نظنه يريد أن يصالح معاوية ، وبكل الأمر إليه ، كثر والله الرجل ! ثم شدوا على فسطاطه . فأنهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ؛ ثم شدّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جهم الأزدى ، فزع مطرفه عن عاتقه ، فبقي جالسا متقلدا سيفا بغير رداء ، فدعا بفرسه فركبه ، وأحرق به طوائف من خاتمه وشيعته ، ومنعوا منه من أرادته ، ولاموه وصقموه لما تكلم به ؛ فقال : ادعوا إلى ريبة وحمدان ، فدعوا له ، فطاموا به ، ودفنوا الناس عنه ، ومعهم شوب ^(٢) من غيرهم ، فلما مرّ في مطلم سباط ^(٣) ، قام إليه رجل من بني أسد ، ثم من بني نصر بن قنين يقال له جراح بن سنان ، ويده ميّول ، فأخذ بلجام فرسه ^(٤) ، وقال : لله أكبر ! يا حسن ^(٥) أشرك أبوك ، ثم أشركت أمّك . وطنعه بالمعول ، فوقعت في فخذه ، فشقته حتى بلغت أربنته ^(٦) ، وسقط الحسن عليه السلام إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده ، واعتنقه ، فحرا جميعا إلى الأرض ؛ هو وب عبد الله بن الأخطل ^(٧) الطائي ، وتزع المعول من يد جراح بن سنان ، فخصصه ^(٨) به ، وأكّ ظبيان بن عماره عليه ، فقطع أمه ، ثم أحدا له الآجر فشدا رأسه ، ووخّه حتى قتله .

(١) مقاتل الطالبيين : « لما فيه المحبة والرضا » .

(٢) الشوب : الأحلاط من الناس .

(٣) مطلم سباط : مصاف إلى سباط التي قرب اسماء : موضع هناك ، قال ياقوت : « ولا أخرى لم يسمي بذلك » .

(٤) مقاتل الطالبيين : « فرسه » .

(٥-٥) مقاتل الطالبيين : « يا حسن ، أشركت كما أشرك أبوك من قبل » .

(٦) الأرية : أصل التخذ . (٧) مقاتل الطالبيين : « الأخطل » .

(٨) أ : « خصصه » .

وحُيِّلَ الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن ، وبها سبيد^(١) بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله ، وقد كان على عليه السلام ولأه المدائن فأقره الحسن عليه السلام عليها ، فأقام عنده يعالج نفسه . فأما معاوية فإنه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحلوية^(٢) بمسكن ، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بإزائه ؛ فلما كان من غدٍ وحته معاوية بحيلة إليه فخرج إليهم عبيد الله فيمن معه فصر بهم حتى ردهم إلى معسكرهم ؛ فلما كان الليل أرسل معاوية إلى هُبَيْدِ اللَّهِ بن عباس أن الحسن قد راسلني في المصالح ؛ وهو مسلم الأمر إلى ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متوسعاً ، وإلا دخلت وأنت تافع ، ولك إن أجيئني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم ، أعجل لك في هذا الوقت نصها ؛ وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر ؛ فأنزل عبيد الله إليه ليلاً ، فدخل عسكر معاوية ، فوقى له عما وعده ، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلي بهم ؛ فلم يخرج حتى أصبحوا ، فطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة^(٣) خطبهم فقتلهم^(٤) ، ودكر عبيد الله قال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو ، فأجابوه بالطاعة وقالوا له : انهض بنا إلى عدونا على اسم الله ، فزُلْ فنهض بهم .

وخرج إليه بُشَيْرُ بْنُ أَرْطَاةٍ فصاح بأهل المراق : ويحكم ! هذا أميركم عدونا قد بايع وإمامكم الحسن قد صالح ، فلامَ تقتلون أنفسكم !

(١) مقاتل الطالبين : « سبيد » .

(٢) ب : « الحيوصة » .

(٣) في مقاتل الطالبين : « أبها الدس ، لا يهولكم ولا يهتس عليكم ما صنع هذا الرجل الولد الورع » أي الجبان . إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا يوم حير قط ؛ إن أباه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بمقاتل بيسر ، فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري ، فأق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين ، وإن أخاه ولده علي أمير المؤمنين علي البصرة ، فسرق مال الله ومال المسلمين ، فاشترى به الخواري ؛ ورغم أن ذلك له حلال ؛ وأن هذا ولده علي النبي . فهرب من يسر ابن أرتطة ، وترك ولده حتى قتلوا ، وصنع الآن هذا الذي صنع . قال : فتنادى الناس : الحمد لله الذي أخرجنا من بيننا ، فانهض بنا إلى عدونا ، فنهض بهم .

فقال لهم قيس بن سعد : اختاروا إحدى اثنتي ؛ إما القتال مع غير إمام ، وإما أن تبايعوا بيعة ضلال ، فقالوا : بل نقاتل بلا إمام ، نخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردّوهم إلى مصافهم .

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوهم وينبئهم ، فكتب إليه قيس : لا والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرّمح . فكتب إليه معاوية حينئذ لما يئس منه :
أما بعد ؛ فإنك يهودي ابن يهودي ، تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك ؛ فإن ظهر أحبّ الفريقين إليك نبذك وعدرك ، وإن ظهر أعضهم إليك مكر بك وقتلك ؛ وقد كان أبوك أوتر غير قومه ، ورمى غير غرضه ؛ فأكثر الحرّ وأخطأ الفصل ، تخلفه قومه ، وأدركه يومه ، مات محمّداً طريداً غريباً . والسلام .



فكتب إليه قيس بن سعد :

أما بعد ؛ فإنما أنت وثى ابن وثى ، صحبت في الإسلام كرها ، وأقت فيه مرقاً ، وحرّجت منه طوطاً ؛ ولم يحمل الله لك فيه نصيباً ، لم يقدم إسلامك ، ولم يحدث تماقك ؛ ولم تزل حرباً لله ورسوله ، وحزباً من أحزاب المشركين ، وعدواً لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده . وذكرت أبي ، فلم يرم ما أوتر لا قوسه ، ولا رمى إلا غرضه ، فشغب عليه من لا يُشقى غباره ، ولا يُلج كعبه ؛ ورمت أنى يهودي ابن يهودي ، وقد علمت وعلم الناس أنى وأبى أعداء الذين الذين خرجت منه ، وأنصار الذين الذين دخلت فيه ، وصرت إليه . والسلام .

فلما قرأ معاوية كتابه غاطه ، وأراد إحابته ، فقال له عمرو : مهلاً ، فإنك إن كاتبته أجابك بأشدّ من هذا ؛ وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس . فأمسك عنه .

قال : وبث معاوية عبد الله بن عامر وعد الرحمن بن مسرة إلى الحسن للصلح ، فدعواه

إليه ، فزهداه في الأمر ، وأعطياه ما شرط له معاوية ، وألا يتبع أحد بما مضى ، ولا ينال أحد من شيعة علي بمكروه ، ولا يذكر علي إلا بحير ، وأشياء شرعتها الحسن . فأجاب إلى ذلك ، وانصرف قيس بن سعد فيمن معه إلى الكوفة ، وانصرف الحسن أيضا إليها ، وأقبل معاوية قاصدا نحو الكوفة ، واحتدم إلى الحسن عليه السلام وحوه الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين عيه السلام يلومونه ، ويكون إليه جزءا مما فعله (١) .

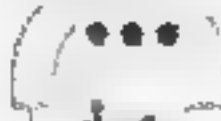
قال أبو الفرج : حدثني محمد بن أحمد بن عبيد ، قال : حدثنا الفصل بن الحسن البصري قال : حدثنا ابن عمرو ، قال : حدثنا مكي بن إبراهيم ، قال : حدثنا السري ابن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن سفيان بن أبي ليلى . قال أبو الفرج : وحدثني ، أيضا محمد بن الحسين الأشمندانى ، وعلي بن العباس المعافى (٢) ، عن عباد بن يساق ، عن عمرو بن ثابت ، عن الحسن بن الحكم ، عن عدي بن ثابت ، عن سفيان بن أبي ليلى ، قال : أتيت الحسن بن علي حين تابع معاوية ، فوجدته بهاء داره ، وعنده رهن ، فقلت : السلام عليك يا مدلل المؤمنين ؟ قال : وعليك السلام يا سفيان ، وزلت فقلت راحلتى ، ثم أتيت فجلست إليه ، فقال : كيف قلت يا سفيان ؟ قلت : السلام عليك يا مدلل المؤمنين ! فقال : لم أحرى هدامك إلينا ؟ قلت : أت والله بأبي وأمي أدلت رقائنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيعة ، وسمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد ، ومعه مائة ألف كلهم يموت دونك ، فقد جمع الله عليك أمر الناس . فقال : يا سفيان ، إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به ، وإنى سمعتُ عليا يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « لا تنهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السر » (٣) ،

(١) مقاتل الطالبين ٦٤ - ٦٧ .

(٢) ب : « المعافى » تحريف .

(٣) ب : « السر » .

ضخم العلوم ، يأكل ولا يشبع ، لا ينظر الله إليه ، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء حاذر ، ولا في الأرض ناصر » ، وإنه لماوية ، وإنى عرفت أن الله بالغ أمره .
ثم أذن المؤذن ، فقمنا على حلب نحلب ناقته ، فتناول الإناء ، فشرب قائماً ، ثم سقاني ، وحرحنا نحشي إلى المسجد ، فقال لي : ما جاء بك يا سفيان ؟ قلت : حبكم والذى بعت محمداً بالهدى ودين الحق ! قال : فأبشر يا سفيان ، فإنى سمعتُ علياً يقول ؟ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يرد على الخوض أهل بيته ومن أحبهم من أمتي كهاتين - يعني السابيتين ، أو كهاتين يعني السابة والوسطى - إحداها تحصل على الأخرى ، أبشر يا سفيان ؛ فإن الدنيا نزع العز والفاجر ؛ حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد صلى الله عليه وآله (١) .



قلت : قوله : « ولا في الأرض ناصر » ، أى ناصر ديني ؛ أى لا يمكن أحداً أن يلتزم له بتأويل ديني يشكك به عنداً لأصله الطبيعية .

فإن قلت : قوله : « وإنه لماوية » من الحديث الرفوع ، أو من كلام علي عليه السلام ، أو من كلام الحسن عليه السلام ؟ قلت : اظاهر أنه من كلام الحسن عليه السلام ، فإنه قد علم علي ظنه أن معاوية صاحب هذه الصفات ، وإن كلن الصمان الأولان غير ممتنعين .

فإن قلت : فمن هو إمام الحق من آل محمد ؟ قلت : أما الإمامية فتزعم أنه صاحبهم الذي يعتقدون أنه الآن حي في الأرض ؛ وأما أصحابا فیرحمون أنه فاطمي يخلقه الله في آخر الزمان .



قال أبو الفرج : وسار معاوية حتى نزل أسحيلة ، وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة ، وجاءت منقطعة في الحديث ، وسنذكر ما انتهى إلينا منها^(١) .

فأما السبي فإيه روى أنه قال في الخطبة : ما اختلف^(٢) أمر أمة بعد نبيا إلا وظهر أهل باطلها على أهل حقها ، ثم اتبه فسلم فقال : إلا هذه الأمة فإنها وإنما . . . وأما أبو إسحاق السبيعي فقال : إن معاوية قال في خطبته بالنسبة : ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أو به .

قال أبو إسحاق : ولكن والله غدارا .

وروى الأعمش عن عمرو بن مرة : عن سعيد بن سويد ، قال : صلى بنا معاوية بالأسحيلة الجمعة ، ثم خطبنا ، فقال : والله إني ما قاتلتكم لثمتوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتحجروا ولا لتركوا ، إكم لتعملون ذلك ، لو أنما قاتلتكم لأنامر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كلرهون .

قال : ولكن عبد الرحمن بن شريك إذا حدث بذلك ، يقول : هذا والله هو المهتك .

قال أبو الفرج : وحدثني أبو عبيد محمد بن أحمد ، قال : حدثني الفضل بن الحسن البصري ، قال : حدثني يحيى بن معين قال : حدثني أبو حصص الليثي^(٣) ، عن عبد الرحمن ابن شريك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : خطب معاوية بالكوفة حين دخلها ، والحسن والحسين عليهما السلام جالسان تحت المنبر ، فذكر عليا عليه

(١) مقاتل الطالبين : « من ذلك » . (٢) مقاتل الطالبين : « ما اختلفت أمة » .

(٣) في د « الأبار » .

السلام فقال منه ، ثم نال من الحسن ، فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه ، فأخذه الحسن بيده فأجلسه ، ثم قام فقال : أيها الذاكر عبيّ ! أنا الحسن ، وأبي عليّ ، وأنت معاوية وأبوك سخر ، وأميّ فاطمة وأمك هند ، وجدّي رسول الله وجدك هُشبة بن ربيعة ، وحدتي حديجة وحدتك قتيلة ، فلمن الله أخذت ذكرا ، والأمننا حسبا ، وشرنا قديما وحديثا ، وأقدمنا كفرا وثقا ! فقال طوائف من أهل المسجد : آمين .

قال الفضل : قال يحيى بن معين : وأنا أقول : آمين .

قال أبو الفرج : قال أبو عبيد : قال الفضل : وأنا أقول : « آمين » ، ويقول عليّ بن الحسين الأصمغاني ^(١) : آمين .

قلت : ويقول عبد الحميد بن أبي الحديد مصنف هذا الكتاب : آمين .



قال أبو الفرج : ودخل معاوية الكوفة بعد غزاه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد ابن عرفة ، ومعه حبيب بن حماد يحمل رايته . فلما حل بالكوفة دخل المسجد من باب الفيل ، واجتمع الناس إليه .

قال أبو الفرج : فحدثني أبو عبيد الصيرفي وأحمد بن عبيد الله بن حماد ، عن محمد بن عليّ بن حنّاف ، عن محمد بن عمرو الرازي ، عن مالك بن سعيد ، عن محمد بن عبد الله الليثي ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، قال : بينما عليّ بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة ، إذ دخل رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مات خالد بن عرفة ، فقال : لا والله [ما] ^(٢) مات ولا يموت حتى يدخل من باب المسجد ، وأشار إلى باب الفيل ، ومعه راية ضلالة يحملها حبيب بن حماد .

قال : فوثب رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا حبيب بن حماد ، وأنا لك شيعة ، فقال :

فإنه كما أقول : فوالله لقد قدم خالد بن عرفة على مقدمة معاوية يحمل رايته حبيب
ابن حمار (١) .

قال أبو الفرج : وقال مالك بن سعيد ، وحدثني الأعمش بهذا الحديث ، قال :
حدثني صاحب هذه الدار - وأشار إلى دار السائب أبي عطاء - أنه سمع عليا عليه السلام
يقول هذا (٢) .



قال أبو الفرج : فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد يدعوهم إلى
البيعة ، فجاءه - وكان رجلا طويلا يركب الفرس المشرف ورحلاه تحيطان في الأرض ، وما
في وجهه طافة شعر ، وكان يسمى خصي الأنصار . فلما أرادوا إدخاله إليه قال : إني خلعت
ألا ألقاه إلا وبني وبناته الرمع أو السيف ، فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه
ليبري بيمينه (٣) .

قال أبو الفرج : وقد روي أن الحسن لما صالح معاوية اعتزل قيس بن سعد في
أربعة آلاف فارس فابى (٤) أن يبايع ، فصا بايع الحسن أدخل قيس ليبايع ؛ فأقبل على
الحسن ، فقال : أفي حلل أنا من بيعتك ؟ فقال : نعم ، فألقى له كرسى ، وحلح معاوية
على سرير والحسن معه ، فقال له معاوية : أتبايع باقيس ؟ قال : نعم ، ووضع يده على
نقذه ، ولم يمدّها إلى معاوية ، فجاء معاوية من سريره (٥) ، وأكب على قيس حتى مسح
يده ، على يده وما دفع إليه قيس يده (٦) .

(١) مقاتل الطالبين : « حبيب بن حمار » .

(٢) مقاتل الطالبين ٧٠ ، ٧١ ، ومالك : « يقول هذه المقالة » .

(٣) ابن أبي الحديد ٧١ ، ٧٢ . (٤) د : « وأبى » .

(٥) في « د » : « ففنا معاوية على سريره » ، وكذا في مقاتل الطالبين .

(٦) مقاتل الطالبين ٧٢ .

قال أبو الفرج : ثم إن معاوية أمر الحسن أن يحطب ، فظن أنه سيُحصَر ، فقام تحطب ، فقال في خطبته^(١) : إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ؛ وليس الخليفة من سار بالجور ؛ ذلك رجل ملك مُسَكَاً تَمْتَعُ به قليلا ؛ ثم تنخمه ، تنقطع لذته ، وتبقى تسمته ﴿ وَإِنْ أَذْرَى كَمَلَهُ فَتَنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾^(٢) . قال : وانصرف الحسن إلى المدينة ، فأقام بها ، وأراد معاوية البتة لابنه يزيد ؛ فلم يكن عليه شيء أثقل من أمر الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص ، فدنس إليهما سمّا فأتا منه .

قال أبو الفرج : حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، عن عيسى بن مهران ، عن عبيد بن الصّباح الحرّازي ، عن جرير ، عن مغيرة ، قال : أرسل معاوية إلى بنت الأشعث ابن قيس - وهي تحت الحسن - فقال لها : إني مروءتك يريد ابني عليّ أن تسمى الحسن^(٣) ، وبعت إليها مائة ألف درهم . ففعلت ، وصمت الحسن ، فسوّغها المال ولم يروحها منه ، تخلف عليها رجل من آل طلحة ، فأولدها ؛ فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام غيرهم ، وقالوا : يا بني مُسَمِّة الأرواح^(٤) .

قال : حدثني أحمد ، قال : حدثني يحيى بن زكريا ، عن شعبة ، عن أبي بكر بن حفص ، قال : توفّي الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص في أيام متقاربة ؛ وذلك بعد ما مضى من ولاية إمارة معاوية عشر سنين ؛ وكانوا يروون أنه سقاها السم^(٥) .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد بن عوف ، عن مهران بن إسحاق ، قال : كنت مع الحسن والحسين عليهما السلام في الدار ، فدخل الحسن المخرج ، ثم خرج ، فقال : لقد سقيت السم مرارا ، ما سقيت مثل هذه المرأة ؛ لقد لعلت قطعة من كبدي فجعلت

(١) ب : « الخطبة » ، وأثبت ما في ١ ، ٢ (٢) سورة الأحياء ١١١ .

(٣) مقاتل الطالبيين « ابن علي » . (٤) مقاتل الطالبيين ٧٣ .

(٥) مقاتل الطالبيين ٧٣ : « سقاها سمّا » .

أقبلها بصودى معي . فقال الحسين : ومن سفاك ؟ قال : وما تريد منه ؟ أريد أن تقتله !
إن يكن هو هو ، فإله أشد قيمة منك ، وإن لم يكن هو فما أحمق أن يؤخذ
في برى^(١) .

قال أبو الفرج : دفن الحسن عليه السلام في قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله في البقيع ، وقد كان أوصى أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وآله ، فنع مروان بن
الحكم من ذلك ، وركبت بنو أمية في السلاح ، وجعل مروان يقول :
* يا رب هبنا هي خير من دعة^(٢) *

يدفن عثمان في البقيع ، ويدفن الحسن في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ؟
والله لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف ، وكادت الفتنة تنفج ، وأتى الحسين
عليه السلام أن يدفعه إلا مع النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، فقال له عبد الله بن جعفر :
عزمت عليك يا أبا عبد الله بحق ألا تكلم بكلمة ! فصوبوا به إلى البقيع ، وانصرف
مروان^(٣) .

قال أبو الفرج : وقد روى الزبير بن بكار أن الحسن عليه السلام أرسل إلى عائشة
أن تأذن له أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وآله ، فقالت : نعم ، فلما سمعت بنو أمية
بذلك استلأموا في السلاح ، ونادوا هم وسوء هاشم في القتال ؛ فبلغ ذلك الحسن ، فأرسل
إلى بني هاشم : أما إذا كان هذا فلا حاجة لي فيه ؛ ادفنوني إلى جنب أبي ، فدفن إلى جنب
فاطمة عليها السلام^(٤) .

قال أبو الفرج : فأما يحيى بن الحسن صاحب كتاب "النسب" ، فإنه روى أن عائشة

(٢) صلح أرحورة لليد ، الأمان ١٦ : ٢٢ - ساسي .

(٤) مقاتل الطالبين ٧٠ .

(١) مقاتل الطالبين ٧٤

(٣) مقاتل الطالبين ٧٤ .

ركبت ذلك اليوم بفلأ واستنشرت بنو أمية مروان بن الحكم ومن كان هناك منهم
ومن حشمتهم وهو قول القائل :

• فيوماً على بعلٍ و يوماً على جمل^(١) •

قلت : وليس في رواية يحيى بن الحسن ما يؤخذ على عائشة ، لأنه لم يرو أنها استنشرت
الناس لما ركت البغل ، وإنما المستمرون هم بنو أمية ؛ وبحور أن تكون عائشة ركت
لتسكين الفتنة ، لا سيما وقد روى عنها أنه طلب منها الدفن قالت : نعم ، هذه الحال
والقصة منقبة من مناقب عائشة .

قال أبو الفرج : وقال حُوربة بن أمية : لما مات الحسن وأُحرقوا حنارته جاء مروان
حتى دخل تحتته فحمل سريره ، فقال له الحسين عليه السلام : أتحمل اليوم سريره وبالأمس
كنت تجمعه العيظ قال مروان : كنت أفضل ذلك عن يوارن^(٢) حلته الجمال^(٣) .
قال : وقدم الحسين عليه السلام للصلاة عليه سعيد بن العاص ، وهو يومئذ أمير الديعة ،
وقال : تقدم قولاً أنها سنة لما قدمتك^(٤) .

قال : قيل لأبي إسحاق السَّيَمي : متى دل الناس ؟ فقال : حين مات الحسن ؛
وأذني زياد ، وقتل حُجَير بن عدي^(٥) .

قال : اختلف الناس في سنّ الحسن عليه السلام وقت وفاته ، ف قيل : ابن ثمان وأربعين
— وهو الروي عن حمير بن محمد عليه السلام في رواية هشام بن سالم — وقيل : ابن ست
وأربعين ، وهو الروي أيضاً عن حمير بن محمد عليه السلام في رواية أبي بصير .

(٢) د : « يوارى » ؛ وهو وجه أيضاً .

(١) مقاتل الطالبين ٧٤

(٣) مقاتل الطالبين ٧٦ .

قال : وفي الحسن عليه السلام يقول سليمان بن قتة يرثيه ، وكان محباً له :
يا كذّاب الله من نعى حسناً ليس لتكذيب نعيه ممن^(١)
كنتَ خللي وكنتَ حاصيتي لكلّ حي من أهله سكنُ
أجول في الدّار لا أراك وفي الدّار أناسٌ حوارهم عَيْنُ
بُذلتهم منك ليت أنهم أسخّوا ويبى ويبيهم عدنُ

• • •

ثم نرجع إلى تفسير الفاظ الفصل ..

أما قوله : « كتبها إليه بمحاصرين » ؛ فذلك كُنّا نقرؤه قديماً ؛ « كتبها إليه بالخاصرين »
على صيغة التثنية ؛ يعنى حاضر حلب وحاصر قيسرين ، وهى الأراض والمواحي المحيطة
بهذه البلاد ؛ ثم قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام ؛ ولم يمتروا ؛ ومنهم
من يذكره بصيغة الجمع لا بصيغة التثنية . ومنهم من يقول بمحاصرين ، يظنون أنه تسمية
خاصرة أو جمعها ، وقد طلبت هذه الكلمة في الكتب المصنفة ، سيما في البلاد
[والأرضين^(٢)] لم أجدها ، ولعلّى أمتربها فيما بعد فألحقها في هذا الموضع .

قوله : « من الولد الثان » ، حذف الياء هاها للازدواج بين « الثان » و « الزمان » ،
ولأنه وقف ، وفي الوقف على المقوص يحور مع اللام حذف الياء وإثباتها ، والإثبات هو
الوجه ، ومع عدم اللام يجوز الأمران وإسقاط الياء هو الوجه .

قوله : « المقرّ للزمان » أى المقرّ له بالعلّة ، كأنه حمل نفسه فيما مضى خصماً للزمان

بالقهر .

قوله : « المدير العمر » ، لأنه كان قد جاوز الستين ، ولم يبق بمقد مجاوزة الستين
إلا إدبار العمر ، لأنها نصف العمر الطبيعي الذى قل أن يبلغه أحدٌ ، فلي تقدّر أنه

يلغيه ، فكل ما بعد الستين أقل مما مضى ، فلا جرم يكون العمر قد أدير .

قوله : « التسلم لله » ؛ هذا أكد من قوله : « المقر للزمان » لأنه قد يقر الإنسان لخصمه ولا يسلم .

قوله : « الدائم للدينا » هذا وصف لم يستحدثه عند الكبر ، بل لم يزل عليه ، ولكن يجوز أن يزيد ذمها ، لأن الشيخ تنقص قواه التي يستعين بها على الدنيا والدين جميعا ، ولا يزال يتأفف من الدنيا .

قوله : « الساكن مساكن الموتى » ، إشتار بأنه سيموت ، وهذا من قوله تعالى : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (١) .

قوله : « الطاعن عنها عدا » ، لا يريد بعد بعبه ، بل يريد قرب الرحيل والعظم . وهذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام كلام من قد أيقن بالفراق ، ولا ريب في ظهور الاستكانة والمصوع عليه ، وبذلك أيضا على كرب وضيق قطنه ، لكونه لم يطلع أربعه من حرب أهل الشام ، وانعكس ما قدره بتبادل أصحابه عنه ، وتقود حم مرو بن العاص فيه لحق أبي موسى وعباوته وانحرافه أيضا .

قوله : « إلى المولود » هذه اللفظة يראה « الوالد » .

قوله : « المؤمن لا يدرك » ، لو قال قائل : إنه كفى بذلك عن أنه لا ينال الخلافة بعد موتي وإن كان مؤملا لها لم يُبعد ، ويكون ذلك إخبارا عن عيب ، ولكن الأظهر أنه لم يرد ذلك ، وإنما أراد حفس الشر لا حصوص الحسن ، وكذلك سائر الأوصاف التي تلي هذه اللفظة لا تخص الحسن عليه السلام بعينه ، بل هي وإن كانت له في الظاهر بل هي للناس كلهم في الحقيقة ، ألا ترى إلى قوله بعدها : « السالك سبيل من قد هلك » ، فإن كل واحد من الناس يؤمل أمورا لا يدركها ، وكل واحد من الناس سالك سبيل من هلك قبله

قوله عليه السلام : « غرض الأسقام » لأنَّ الإنسان كالمهدف لآفات الدنيا وأعراضها .
قوله عليه السلام : « ورهينة الأيام » الرهينة هاهنا : المهزول يقال : إنه لرهين وإنه
لرهينة ؛ إذا كان مهزولاً بالياء قال الرازي :

إِنَّمَا تَرَى حِمْيَ خَلَاءَ قَدْ رَهَنَ هِرَلاً وَمَا مَجْدُ الرِّجَالِ فِي السَّمَنِ^(١)
ويجوز أن يريد بالرهينة واحدة الرهائن ؛ يقال للأسير أو للزمن أو للعاجز عند الرحيل :
إنه لرهينة ؛ وذلك لأنَّ الرهائن عتسة عند مرئنها .
قوله : « ورمية المصائب » الرمية ما يرعى .

قوله : « وعبد الدنيا ، وتاجر المرور ، وعريم المايا » ؛ لأنَّ الإنسان طوع شهواته ، فهو
عبد الدنيا ، وحركانه فيها مبنية على غرور لا أصل له ، فهو تاجر المرور لا محالة ؛ ولما كانت
المايا بطاله بالرحيل عن هذه الدار كانت عريماً له كخصيه ما لا بدَّ له من أدائه .
قوله : « وأسدر الموت ، وحليف الهموم ، وفريق الأحزان ، ونصب الآفات ، وسريع
الشهوات » ، لما كان الإنسان مع الموت ، كما قال طرفة :

لَسَعْرُكَ إِنِّ الْمَوْتَ مَا أَحَطَّ الْفَتَى لِكَالطُّولِ الْمُرْحَى وَنِدْيَاءُ الْيَدِ^(٢)
كان أسيراً له لا محالة ؛ ولما كان لا بدَّ لكلِّ إنسان من الهمِّ كان حليف الهموم ؛
وكذلك لا يحلو ولا ينفك من الحزن ، فكان قريباً له ، ولما كان معرّضاً للآفات كان نصيباً
لها ، ولما كان إنما يهلك بشهواته كان صريعاً لها .

قوله : « وحليفة الأموات » قد أحده من قال : إنَّ امرأً ليس بينه وبين آدم إلا أب
ميت ، لمعرق في الموت .

واعلم أنه عدّ من صفات نفسه سمعاً ، وعدّ من صفات ولده أربعة عشرة صفة ، فجعل

(١) الصحاح ٢١٢٨ من غير نسخة .

(٢) من اللقطة بفتح التبريزي ٨٦ . المحول : الحبل ، وندياء : مائتي منه .

(٣) ١ : « صريعها »

مِيزَاءُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِمَّا لَهُ اثْنَتَيْنِ ، فَلْيُلِمَّحْ ذَلِكَ.

[بعض ما قيل من الشعر في الدهر وفعله بالإنسان]

ومن جيد ما نرى به شعر نفسه ، ووصف ما نقص الدهر من قواه ، قول عوف بن محم
الشياني في عبد الله بن طاهر أمير خراسان :

يَا بَيْنَ أَلْدَى دَانَ لَهُ الْمَشْرِقُ^(١) وَأَلْسِ الْأَمْنَ بِهِ الْقَرِيبَ^(٢)
إِنَّ التَّمَايِيَّ وَنُدْعَتَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ صَمِيَّ إِلَى تَرْجُمَانُ
وَدَلَّتْنِي الشَّطَاطُ أَنْحِيَا وَكَتُ كَالْمُتَعَدِّ نَحْتُ السَّانُ^(٣)
وَقَارَتْ مِنِّي خُطَا لَمْ تَكُنْ مَقَارِبَاتٍ وَتَتَّ مِنْ عَنَانُ
وَعَوَّصَتْنِي مِنْ رِمَاعٍ الْفَقَى وَهَمَّ مِمَّ الْجَبَانُ الْمِدْلَنُ^(٤)
وَأَشَاتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى عَانَةً مِنْ عَيْرِ نَجِجِ السَّانُ^(٥)
وَلَمْ تَدْعُ فِي لِمَسْتَمِيعِ إِلَّا لَسَانِي وَكَمَانِي لَسَانُ^(٦)
أَدْعُو بِهِ اللَّهُ وَأَتْنِي بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمَصْحِيِّ الْهَبْجَانُ^(٧)

(١) أُمَالِي الْقَالِي ١ : ٥٠ ، وَرَوَايَتُهُ :

• طَرَأَ وَقَدْ دَانَ لَهُ الْقَرِيبَانُ •

(٢) الشَّطَاطُ : حَسَى الْقَوَامِ وَالْإِعْتِدَالُ . وَالْمُتَعَدِّ : الْقَاءُ الْمُنَوَّبَةُ تَفْتُ كَمَلِكُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَثْقِيفِ .

(٣) الرِمَاعُ : الْمَاءُ فِي الْأَمْرِ وَالْعَرَمُ عَلَيْهِ . وَالْجَبَانُ : الْأَحْمَقُ الْجَانِ .

(٤) السَّانُ هُنَا : السَّحَابُ : يَشِيرُ بِهَذَا إِلَى صَبِّ بَصَرِهِ . وَأَمَّا لَا يَرَى الْوَرَى إِلَّا مِنْ وَرَاءِ سَحَابَةٍ .

(٥) الْأُمَالِي : « وَبِحَسْبِي لَسَانٌ » .

(٦) الْهَبْجَانُ : الْكَرِيمُ ؛ وَبِهِ فِي الْأُمَالِي :

فَقَرَّبَانِي بِأَبِي أُنْتَمَا مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اسْفَرَارِ الْبَنَانِ
وَقَبْلَ مَنَعَايَ إِلَى نَسْوَةٍ أَوْطَانَهَا حَرَّانُ وَالرَّهَّانُ

ومن الشعر القديم الجيد في هذا المعنى قول سالم بن عونة الضبي :

لا يَمَدَنَّ عَصْرُ الشَّبَابِ وَلَا لَدَانُهُ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ
والشَّرفَاتُ مِنَ الْخُدُورِ كَأَنَّ حَاضِ النِّهَامِ يَجُودُ بِالْفَطْرِ
وطراد خيل مثلها التَّنْصُطُ لِحِصَّةٍ وَمَقَاعِدُ الْخَيْرِ
لَوْلَا أَوْلَتْكَ مَا حَلَفْتُ مَتَى عَوَّلْتُ فِي خَرْجٍ إِلَى قَهْرِي
هرمت ربيبة أن رأت تَرَيَّ (١) وَأَنْ أُنْحِي لِقَادِمِ ظَهْرِي
من بعد ما عهدت فأدلفني يَوْمُ يَمْرُ وَلَيْلَةُ نَسْرِي
حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ نَمَمْتُ (٢) وَالرَّوْءُ بِمَدِّ تَعَامِهِ يَجْرِي
لا تَهْرَنِي مَتَى رَيْبٌ فَلَا فِي دَاكٍ مِنْ تَحَبٍّ وَلَا سَخَرِ
أَوْ لَمْ تَرَيَّ لِقَائِ أَهْلِكَ (٣) مَا اقْتَاتَ مِنْ سَنَةٍ وَمِنْ شَهْرِ
وَبَقَاءِ نَسْرِ كُلَّهَا الْفَرْصَةِ أَيَّامُهُ عَادَتْ إِلَى نَسْرِ
مَا طَالَ مِنْ أَمْدٍ عَلَى لَسْدٍ رَحِمَتْ عِمَارَتُهُ إِلَى قَعْرِ
وَلَقَدْ حَلَلْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَعَلِمْتُ مَا آتَى مِنَ الْأَمْرِ

أنا أستفصح قوله : « ما اقْتَاتَ مِنْ سَنَةٍ وَمِنْ شَهْرٍ » جعل الزمان كالقوت له ، ومن اقْتَاتَ الشيء فقد أكله ، والأكل سب المرض ، والمرص سب الهلاك .

(١) الترم : اسكار السن .

(٢) المختارة : معنى الصباد قليلا قليلا في حفية ثلثا يسبح الصبيد حسه .

(٣) في اللسان : « ترغم العرب أن يلقوا هو الذي يمته عاد في وندعا إلى الحرم يستنق لها ؟ »
أهلكوا خير لقائهم بين بقاء سبع غزوات سر ، من أهل عمر ، في حل وعمر ، لا يحسبها القطار أو بقاء
سبعة أسير كلما هلك سر حلف يمينه سر ، « اختار السور ، فكان آخر نسوره يسمى لدا ؟ » وقد ذكره
الفرهاء في تل النابتة :

أَضَحْتُ خَلَاءً وَأَضَحِي أَهْلَهَا احْتَمَرُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَبْدٍ

الأصل :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ رِيْعًا تَبَيَّنَتْ مِنْ إِذْبَارِ الدُّبَابِ عَصَى ، وَجُمُوحِ الدُّهْرِ هَلَى ، وَإِقْبَالَ
الْآخِرَةِ إِلَى ، مَا يَزَعِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ ، وَالِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنَّ
حَيْثُ تَقَرَّدَ بِي دُونَ مُهُومِ النَّاسِ هُمْ نَفْسِي - فَصَدَّقَنِي رَأْيِي ، وَصَرَّفَنِي عَنْ
هَوَايَ ، وَصَرَّحَ لِي بِمَحْضِ أَمْرِي ، فَأَنْصِي بِي إِلَى حَيْثُ لَا يَكُونُ فِيهِ كَيْبٌ ،
وَصِدْقِي لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ - وَجَدْتُكَ بَعْضِي ، بَلْ وَحَدُّكَ كُلِّي ، حَتَّى كَأَنَّ
شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ امُوتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي ، فَفَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ
مَا بَقِيَ بِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي ، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابَ هَذَا مُسْتَظْهِرًا بِهِ أَنَّ نَفْسِي لَكَ
أَوْ قَبِيَّتُ .



الشرح :

بَزَعِي : يَكْفِي وَيَصْدَقُنِي ، وَرِعًا قِيلَانَا ، وَلَا يَدُ لَدَيْهِ مِنْ وَرَعَةٍ .
وَسِوَى ، لَفْظَةٌ تُقَصِّرُ إِذَا كَسَرْتَ سِيَهَا ، وَتَعَدُّ إِذَا فَتَحْتَهَا ؛ وَهِيَ هَاهَا بِمَعْنَى غَيْرَ ،
وَمَنْ قَبْلَهَا بِمَعْنَى شَيْءٍ مِنْكَ ، كَقَوْلِهِ :
• رَبِّ مَنْ أَنْصَحْتُ عَيْطًا قَلْبُهُ (١) •

وَالْتَقْدِيرُ : غَيْرُ ذِكْرِ إِنْسَانٍ سِوَايَ ، وَيَحْزُرُ أَنْ تَكُونَ « مَنْ » مَوْصُولَةً ، وَقَدْ مَحَذَفَ
أَحَدُ جِزَائِ الصَّلَةِ ، وَالتَّقْدِيرُ عَنْ ذِكْرِ النَّاسِ هُوَ غَيْرِي ، كَمَا قَالُوا فِي : ﴿ لَنَرِيَهُنَّ مِنْ كُلِّ
شَيْعَةٍ أَهْلَهُمْ أَشَدُّ ﴾ ، أَيْ هُوَ أَشَدُّ . يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ فُيَا قَدْ بَانَ لِي مَنْ تَنَكَّرَ الْوَقْتُ
وَإِدْبَارُ الدُّنْيَا وَإِقْبَالُ الْآخِرَةِ شَاعَلَانِي عَنْ الْإِهْتِمَامِ بِأَحَدٍ غَيْرِي ، وَالْإِهْتِمَامِ وَالْفِكْرِ
فِي أَمْرِ الْوَلَدِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَخْلَفِهِ وَرَائِي .

(١) بَيِّنَةٌ : • تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ •

وَالْيَتِ لِمُؤَيَّدِ بْنِ أَبِي كَامِلٍ ابْنِ شَكْرٍ . الْفَصَلَاتِ ١٩٨ .

ثم عاد فقال : إنا أن همت بنسى يقتضى اهتمامى بك ، لأنك بمضى بل كلّى ، فإن كان اهتمامى بمضى يصرفنى عن غيرى لم تكن أنت داخلا فى جملة من يصرفنى همتى بنسى عنهم ؛ لأنك لست غيرى .

فإن قلت : أفهذا المهمّ حدث لأمر المؤمنين عليه السلام الآن ، أو من قبل لم يكن علما بأن الدنيا مدبرة ، والآخرة مقيلة ؟

قلت : كلا بل لم ير علما عده بذلك ، ولكنه الآن تأكد وقوى ، بطريق علو السن وصعب القوى ، وهذا أمر يحصر للإنسان على سبيل الإيجاب ، لا بد من حصوله لكلّ أحد ، وإن كان علما بالحال من قبل ؛ ولكن ليس البيان كالخبر .

ومن مستحسن ما قيل فى هذا المسمى قول أن إسحاق الصائى :

أملك الردى إني انتهت من كرمي	ومهور على طول الذي أعترياني
فأنت شخصا دايما كنت حبيبا	على البعد حتى صار نص عياني
هو الأجل المحتوم لي حدّ حدّ	وكلت يرضى عمله السواني
له ندر قد آدملي مهجمة	له لت منها آخدا بأمل
ولا بد منه ممهلا أو معادلا	سياني فلا يشيه عني ثاب

وأول هذه القصيدة وهو داخل له فى هذا المسمى أيضا :

إذا ما تمدت بي وسارت محبة	لها أرحل يسمي بها رجلا
وما كنت من فرسانها غير أنها	وفت لي لما حات القدمان
نزلت إليها عن سرة حصاني	بحكم مشير أو فراش حصاني ^(١)
فقد حملت مني ابن سبعين سالكا	سيلا عليها يسلك الثقلان

كما حمل المهدد الصبي وقبلها
ولي بعدها أحرى تستي حنازة^(٢)
تسير على أقدام أربعة إلى
وإني على عيش الردي في حوارجي
وإن لم يدع إلا فؤادا مروعا
تلوم تحت الحجب ينث حكمه
لأعلم أني ميت طاق دفته
وإن فما للأرض عرثان حائما
به شره عم الوردى بفحائمه
عدا فاعرا بشكو الطوى وهو رافع
إذا طامسا بالنيل ممن نسوله
إلى ذات يوم لا ترى الأرض ولا تراه
فصرت أسود الفيل بالذوقان^(٣)
جنينة يوم الغنية دان
حيار البلى معدودهن ثمان
وما كفت من خطوى وبطش بناني
به غير باقي من المحدثان^(٤)
إلى أذن تصفى لتطوي لسان^(٥)
دما قليل في غد هو فان
يراصد من أكلى حضور أوان
زكن ملانا تاكلنا لسان
فلم تلتق يوما له الشفتان
تلا أولا منه بمهلك ثار
سوى الله من إس تراه وجان

قوله : « ترمدني دون هموم الناس هم نصي » أي دون الهموم التي قد كانت تعزيني

لأجل أحوال الناس .

فصدقتني رأبي ؛ يقال : صدقته كذا أي عن كذا ، وفي المثل : « صدقتني سن بكره »
لأنه لما نفر قال له : هدغ^(٥) ، وهي كلمة تسكن بها صغار الإبل إذا نفرت ؛ والمعنى أن هذا
الهم صدقتني عن الصفة التي يحب أن يكون رأبي عليها وتلك الصفة هي ألا يفكر في

(١) الفيل : الشعر الكثير اللص . (٢) الحنازة مال كسر : ما يحمل عليه الميت .

(٣) المحدثان : غير الدهر ووائه . (٤) تلوم : أي انتظر .

(٥) في اللسان : « هدغ هدغ » ، كسر الحاء وفتح الحاء وتسكين الهمزة : كلمة يسكن بها صغار الإبل .
عدا الفاعر ؛ ولا يقال ذلك لجنتها ولا مسابها ؛ ورعوا أن رجلا أتى السوق بكرة له يبيعه ، فهاومه رجل .
فقال : بكم الكبر ؟ فقال : إنه جل ؛ فقال : هو بكر ؛ فيها هو يماريه إذا فر الكبر ، فقال صاحبه :
هدغ هدغ ، ليسكن فاعره ، فقال للشئى : صدقتني سن بكره ؛ وإنما يقال : هدغ لبكر ليسكن .

أمر شيء من الموجودات أصلاً إلا الله تعالى ونفسه ؛ وفوق هذه الطبقة طبقة أخرى حدا
وهي ألا تفكر في شيء قط إلا في الله وحده ، وفوق هذه الطبقة طبقة أخرى تجلّ عن
الذكر والتفسير ، ولا تصلح لأحد من المخلوقين إلا النادر الشاذ ، وقد ذكرها هو فيها سبق ،
وهو ألا يفكر في شيء أصلاً ، لا في المخلوق ولا في الخالق ؛ لأنه قد قارب أن يتحد
بالمخلوق ، ويستغنى عن الفكر فيه .

قوله : « وصرفني عن هواي » أي عن هواي وفكري في تدبير الخلافة وسياسة الرعية
والقيام بما يقوم به الأئمة .

قوله عليه السلام : « وصرّح لي محض أمري » يروي بسبب محض « ورفعه » ؛ فمن
نصب فتقدّره : عن محض أمري ؛ طعاً حذف الحار نصب ، ومن رفع حمله فاعلاً . وصرّح :
كشف أو اسكشف .

قوله : « فأفصى لي إل كذا » ليس بمعنى أنه قد كان من قبل يعارض حده باللب ؛
بل المعنى أن همومه الأولى قد كملت بحيث يمكن أن يتخلّطها وقت راحة أو دُعَاة لا يخرج
بها عن الحق ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج ولا يقول إلا حقا ، فالآن قد حدث
عنده هم لا يمكن أن يتخلّطه من ذلك شيء أصلاً ، ومدار الفرق بين الحالتين - أعني الأولى
والثانية على إمكان اللب لا نفس اللب وما يدرم من قوله : « أفصى لك لي هذا المهم » إلى
انتهاء إمكان اللب أن تكون همومه الأولى قد كان يعارضها اللب ؛ ولكن يلزم من
ذلك أنها قد كانت يمكن ذلك فيها إمكاً محصاً على أن اللب غير منكر إذا لم يكن باطلاً ،
الا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وآله : « لمؤمن دَمٍ لِب » ، وكذلك القول في قوله :
« وصدق لا يشوبه كذب » أي لا يمكن أن يشوبه كذب ؛ وليس المراد بالصدق
والكذب هاهنا معنويهما المشهورين ؛ بل هو من قولهم : صدّقونا اللعاء ، ومن قولهم : حل
عليهم فاكذب ! قال زهير :

ليثٌ بعثَ يصطادَ الليثَ إذا ما كذبَ الليثُ عن أمْرائِهِ صَدَقًا^(١)
 أى أفضى بى هذا الممّ إلى أن صدقتى الدنيا حربها ، كآته جمل نفسه محارماً للدنيا ،
 أى صدقتى الدنيا حربها ولم تكذب ، أى لم نجبن ولم نخن .
 أخبر عن شدة اتحاد ولده به ، فقال وحدتك بمعنى ، قال الشاعر :
 وإنا أولادُه بينا أكادُنا نتمشى على الأرض
 لو هبت الرّيح على بعضهم لامتعت عيني من النّقص
 وعصب معاوية على ابنه يزيد ، فمجره ، «ستمطه له الأحنف ، قال له : يا أمير المؤمنين ،
 أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماذ ظهورنا ، ونحن لهم ممد ظليّة ، وأرض دليّة ، فإن غضبوا
 غارِضهم ، وإن سألوا فأعطهم ، فلا تكن عليهم قهلاً فيملّوا حياتك ، ويتعنّوا موتك .
 وقيل لاسّة الحسن^(٢) : أى ولده بشأحه إليك ؟ قالت : الصغير حتى يكبر ، والمريض
 حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم .

غضب الطرمّاح على امرأته فشنع فيها ولده منها صمصام ، وهو علام لم يبلغ عشرة ،
 فقال الطرمّاح :

أصمصامُ إن تشنع لأماك تنلقها لها شافعٌ و الصدور لم يترحز^(٣)
 همل الحبّ إلا أنها لو مرّمت لدمحك يا صمصامُ قلت لها : ادبجى
 أحاذر يا صمصامُ إن مت أن يبي قرأتى وإياك امرؤ غير مصلح
 إذا صكّ وسط القوم رأسك سكة يقول له التامى : ملكت فأستجيع

وفى الحديث المرفوع : « إن دبح أبولد من ربح الحمة » .

(١) ديوانه ٥٤ : وكذب ، أى لم يصدق الحمة . وعثر : قل نالة .

(٢) ب : « الحس » تحريف ، صوانه من ا ، د

(٣) ديوانه ١٣٦ ، وفيه : « لم يبرج » .

وفي الحديث الصحيح أنه قال الحسن وحسين عليهما السلام : « إنكم لتجبتون ، وإنكم لتسخلون ، وإنكم لمن ربحان الله » .

ومن رقيق الأعراب قول أعرابية لولدها :

يا حبذا ربحُ الوكدِ ربحُ الحرامِ في البلدِ
أهكذا كلَّ ولدٍ أم لم يلدُ قَبْلِي أحدٌ !

وفي الحديث الرفوع : « من كان له سبي فليستب له » .

وأشد الرياشي :

مَنْ سَرَّ الدَّهْرَ أَنْ يَرَى الْكَبْدَ يَتَشَى عَلَى الْأَرْضِ فَلَيْرَ الْوَلْدِ



الأصل :

فَأَنْ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ - أَيْ بِي - وَلَزُومِ أَمْرِهِ ؛ وَرَحْمَةِ فَدَيْكَ بِدِكْرِهِ ،
وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْتَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْتِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ؛ إِنْ أَنْتَ
أَحَدَتْ بِهِ !

أخبر قلبك بالموعظة ، وأمنه بالهدية ، وتقوى باليقين ، وتوَّره بالحكمة ،
ودلَّه بِدِكْرِ الْمَوْتِ ؛ وَفَرَّهْ بِالْعَمَاءِ ، وَبَصَّرْهُ بِجَائِعِ الدُّنْيَا ؛ وَحَذَّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ
وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ؛ وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَجْبَارَ الْمَاضِي ، وَدَكْرَهُ بِمَا أَصَابَ
مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ .

وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ ، فَانْظُرْ فِيهَا فَتَوَّاهَا ، وَهَمَّاهَا انْقَلَبُوا ، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا !
فإِنَّكَ تَجِدُهُمْ انْتَفَعُوا مِنَ الْأَحْيَةِ ، وَحَلُّوا دَلَاةَ الْمُرْبَةِ ؛ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ
صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ .

فَأَمْلِمْ مَثْوَاكَ ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُيَاكَ ؛ وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ
وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ ؛ وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِصَتْ ضَلَالَتُهُ ، فَإِنَّ الْكَفَّ
عِنْدَ حَيْرَةِ الصَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ .

الْبَزْخُ :

قوله عليه السلام : « وَأَيُّ سَبِّ أَوْثَقَ » ؛ إشارة إلى القرآن لأنه هو العتر عنه بقوله
تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ^(١) .

ثم أتى بلطفتين متقابلتين ، وذلك من لطيف الصمة ، فقال : « أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ »
وأتمته بالزهادة ؛ والمراد إحياء دواعيه إلى الطاعة وإماتة الشهوات عنه .

قوله عليه السلام : « وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَجْدَارَ الْمَاضِينَ » معني قد تداوله الناس ،
قال الشاعر :

سَلَّ عَنِ الْمَاضِينَ إِنْ نَطَقَتْ عَنْهُمْ الْأَحْدَاثُ وَالتُّرُكُ
أَيَّ دَارٍ لِلْبَلَى تَزْلُوا وَبِئْسَ لِلرَّدَى سَلَكُوا

قوله عليه السلام : « وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ » من قول رسول الله صلى الله عليه وآله
لعبد الله بن عمرو بن العاص : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، كَيْفَ بَكَ إِذَا بَقِيتَ فِي خُتَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ،
مَرَحَتْ عَهْدَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ وَصَارَ الْمَاسِرُ هَكَذَا ! » - وَشَتَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
فَقُلْتُ : مُرُّنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « حُذِرْتُ تَعْرِفُ ، وَدَعِ مَا لَا تَعْرِفُ ، وَعَلَيْكَ بِخَوْفِئَةِ
تَقْسُكَ » .

قوله : « والخطاب فيما لم تكلف » من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، وقال معاوية في عهد الملك بن مروان وهو حينئذ غلام : إن لهذا الغلام لحمة ، وإنه مع ذلك تارك ثلاث ثلاث : تارك مساءة الصديق حدثاً وهزلاً ، تارك ما لا يعنيه ، تارك ما لا يعتد به ، أخذ بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأهور الأمرين إذا حوّل .

قوله عليه السلام : « وأمسك عن طريق إذا حمت صلاته » ، مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وآله : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ، وفي حبر آخر : « إذا رابك أمر فدهغه » .



الأصل :

وَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ نَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَمْكِرِ الْمُسْكِرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ ، وَبَابِنِ مَنْ قَعَلَهُ مَحْمُودَكَ ، وَحَاحِدِي فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ ، وَلَا تَأْخُذْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِهِمْ . وَحِصِ الْمَعْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ ، وَنَفَقَةِ فِي الدِّينِ ، وَعَوْدَ نَفْسِكَ الصِّدْقِ عَلَى الْمَكْرُوهِ ؛ وَبِمِمْ الْخُلُقِ التَّصَدُّقِ فِي الْحَقِّ ! وَأَلْجِ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ ، فَإِنَّكَ تُنْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيرٍ ، وَمَنْفَعٍ عَزِيزٍ .

وَأَحْلِسْ فِي السَّائِلِ لِرَبِّكَ ، فَإِنَّ يَدَيْهِ الْقَصْدُ ، وَالْجِرْمَانُ ، وَأَكْثَرُ الْأَسْتِخَارَةِ ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحًا ، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَتَمَعُّ ، وَلَا يُسْتَمَعُّ بِعِلْمٍ لَا يَحَقُّ تَعَلُّمُهُ .



البُزْج :

أمره أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهما واجبان عندنا ، وأحد الأصول الخمسة
التي هي أصول الدين .

ومعنى قوله : « نكس من أهله » ؛ لأن أهل المروء هم الأبرار الصالحون ، ويجب
إنكار المنكر باللسان ، فإن لم يسجع فباليد ، وتفصيل ذلك وترتيبه مذكور في كتب
الكلامية .

قوله : « وحس الفمرات إلى الحق » ، لا شبهة أن الحسن عليه السلام لو تمكن
لحاضها إلا أن من فقد الأنصار لا حيلة له .

• وهل يهض البازي بغير جناح •

والذي حاصها مع عدم الأنصار هو الحسين عليه السلام ، ولهذا عظم عدد الناس قدره ،
فقدمه قوم كثير على الحسن عليه السلام .

فإن قلت : فما قول أصحابكم في ذلك ؟

قلت : هما عندنا في التفضيل سريان ، أما الحسن طوقوه مع قوله تعالى : « إلا أن
تَقُولُوا » ، وأما الحسين فلا عرار الدين .

قوله : « فنعن التنصير » قد تقدم منا كلام شافٍ في الصر .

وقوله : « وأكثر الاستحارة » . ليس يعني بها ما يعمل اليوم قوم من الناس من
سَطْر رِقاَع وجعلها في صادق ، وإنما المراد أمره إياه بأن يطلب الحيلة من الله فيما يأتي
ويؤيد .

قوله : « لا خير في علم لا ينفع » قول حق ، لأنه إذا لم ينفع كان عبثاً .

قوله : « ولا ينفع بلم لا بحق تعلمه » ، أى لا يجب ولا يندب إليه ؛ وذلك لأن النفع إما هو نفع الآخرة ، فما لم يكن من المصوم مرعياً فيه إما بإيجاب أو بدب فلا انتفاع به في الآخرة ، وذلك كعلم الهندسة والأرغماطيق ونحوهما .

الأصل :

أى بنى ، إني لما رأيتني قد تكنت سناً ، ورأيتني أرداداً وهماً ، بادرت يوميتي إليك ، وأوردت خصالاً منها قبل أن يتجلى لي أحلى دون أن أفضي إليك بما في نفسي ، أو أن أقص في رأي كما نصت في جسمى ، أو يسبقني إليك بعض علمات الهوى وفقر الدنيا ، فتكون كالعمى العمور .

وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته ؛ فتأدرت بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويستعمل بك ، لتستعمل بحديث رأيك من الأمر ما قد كمالك أهل التجارب بعينه وتجربته ، فتكون قد كفيت مئونة الطلب ، وعرفت من علاج التجربة ، فأناك من ذلك ما قد كنا فأنبه ، واستبان لك ما ربمّا أظلم علينا منه .

الشرح :

هذه الوصية كتبها عليه السلام للحسن بعد أن تجاوز الستين ، وروى أنه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله ما بين الستين ولسعين ، فقال : « معترك المنايا » .

قوله عليه السلام : « أو أن أقص في رأي » هذا يدل على بطلان قول من قال : إنه لا يجوز أن ينقص في رأيه ، وأن الإمام مصوم من أمثال ذلك ، وكذلك قوله

للحسن : « أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا » يدل على أن الإمام لا يجب أن يصمم عن غلبات الهوى ؛ ولا عن فتن الدنيا .

قوله : « فتكون كالصعب الثور » ؛ أى كالبعير الصعب الذى لا يمكن راكمه ، وهو مع ذلك تقود عن الأذى .

ثم ذكر أن التعلم إنما هو فى الصَّام ، وفى المثل : « الملام كالطين يقبل الحتم ما دام رطباً » .

وقال الشاعر :

اختم وطيبك رطباً إن قدرت فكتم فسد أمكن الحتم أقواماً فما حتموا
ومثل هو عليه السلام قلب الحدث بالأرض الحالية ، ما أتى فيها من شيء قبله ،
وكان يقال : التعلّم ^(١) فى الصبر كالقش فى الحجر ، وتعلم ^(٢) فى الكبر كالخط على الماء .
قوله : « فأتاك من ذلك ما كنا نفيه » أى الذى كنا نحن نتعشم الشقة فى
اكتسابه ، وتكلف طلبه ؛ يأتيك أت الآن صموا عموا .



الأصل :

أى بنى ، إني وإن لم أكن عمرت ضر من كان قبلى ، فقد نظرت فى أعمالهم ،
ومسكوت فى أخبارهم ، وسيرت فى آثارهم ؛ حتى عدت كأحدتهم ؛ بل كأنى بما
انتهى إلى من أمورهم ؛ قد عمرت مع ^(٢) ولهم إلى آخرهم ؛ فمررت سمود ذلك من
كدره ، ونفعه من ضرره ؛ فاستحسن لك من كل أمر حليله ، وتوحيث لك

جَمِيلُهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ هَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَتَعْنَى الْوَالِدَ
الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدْرِيكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَذِنْتُ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبِلُ
الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَتَشَدِّدَكَ بِتَكْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَتَأْوِيلِهِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أَحَاوِرُ ذَلِكَ بِكَ
إِلَى غَيْرِهِ . ثُمَّ أَشَقَّقْتُ أَنْ يَنْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ
وَأَرَائِهِمْ، مِثْلَ الَّذِي اتَّسَرَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كُرِهْتُ مِنْ
تَقْيِيدِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٍ لَا أَمْنُ عَلَيْكَ فِيهِ ^(١) الْمَلَكَةُ،
وَرَحَوْتُ أَنْ يُؤَقِّدَكَ اللَّهُ فِيهِ رُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَسَدَدْتُ إِلَيْكَ
وَمِيتَنِي هَدِي .



الْبَيْزَج :

هذا الفصل وما بعده يشرع بالنهي عن علم الكلام حسب ما يقتضيه ظاهر لفظه ،
الآراء قال له : كنت عارفا على أن أعلمك القرآن وتفسيره والفقه وهو المعرفة بأحكام
الشريعة ، ولا أحاور ذلك بك إلى غيره ، ثم حطت أن تدخل عليك شبهة في أصول الدين
فيلتبس عليك في عقيدتك الأصلية ما اتسَرَ على غيرك من الناس ، فعدلتُ عن العزم
الأول إلى أن أوصيك بوصايا تتمتع بأصول الدين .

ومضى قوله عليه السلام : « وكل ^(٢) إحكام ذلك » إلى قوله : « لا آمن عليك
به الملكة » ، أي فكان إحصاء الأمور الأصلية عندك وتقرير الوصية التي أوصيك بها في
دهنك فيما رجع إلى النظر في العلوم ^(٣) الإلهية ؛ وإن كنت كارها لتخوض [معك] ^(٤)

(١) د « فيه من » (٢) ١ : « كان »

(٣) د « الأمور » . (٤) من ١ .

فيه وتنبهك عليه أحب إلى من أن أتركك سدًى مهملًا ، تتلاعب بك الشبهة ، وتنشورك الشكوك في أصول دينك ، فربما أفضى ذلك بك إلى الهلكة .

فإن قلت : فلماذا كان كل هذا تنبيه ولهم على ذلك ، وأنتم تقولون إن معرفة الله واجبة على المكلفين ؟ وليس يليق بأمر المؤمنين أن يذكر ما أوجبه الله تعالى !

قلت : لعله علم إمامنا من طريق وصية رسول الله صلى الله عليه وآله ، أو من طريق معرفته بما يصلح أن يكون لطعا لولده ومعرفته ، بما يكون مفيدة له ، لكثرة التجربة له ، وطول الممارسة لأخلاقه وطباعه أن الأصلح له ألا يحوض في علم الكلام الخصوص السكّاني وأن يقتنع بالمبادئ والجلل ، فصالح الشر مختلف ، فربما إنسان مصلحته في أمرٍ ذلك الأمر بعينه مفيدة لغيره ، ونحن وإن أوجعنا المعرفة فلم نوح بها إلا الأمور المهمة ، وأما التفصيلات الدقيقة النامصة ، فلا يجب إلا عند ورود الشبهة ، فإذا لم تقع الشبهة في نفس المكلف لم يجب عليه الخوض في التفصيلات .

قوله عليه السلام : « قد عَمِرْتُ مع أولهم إلى آحرم » المين مفتوحة والميم مكسورة مخففة ، تقول : عمر الرجل يمرّ ثمراً وُثمراً على غير قياس ؛ لأن قياس مصدره التحريك أي عاش زماناً طويلاً واستعمل في القسم أحدهما فقط ، وهو المفتوح .

قوله عليه السلام : « حيث عَنَانِي من أمرك » أي أهمني ، قال :

﴿ عَنَانِي مِنْ مُدُودِكَ مَا عَنَّا ﴾

قوله : « واجمت عليه » أي عَزَمْتُ .

ومقتبل الدهر ، يقال : اقتبل العلم فهو مقتبل بالفتح وهو من الشواذ ، ومثله أحسن الرجل إذا تزوج فهو مُحَصَّن ، وإذا عَفَّ فمحصن أيضا ، وأسهب إذا أطال الحديث فهو مسهب ، وألجج إذا اخترق فهو ملجج ؛ ويبقى أن يكون له من قوله : « تنبيهك له » بمعنى

« عليه » ، أو تكون على أصلها ، أى « كرهت تشبهك لأجله .

فإن قلت : إلى الآن ما هُتِرَ ، لما ذكره تشبهه على هذا الفن ؟

قلت : بلى قد أُشِرَ إليه ؛ وهو أنه كره أن يمدل به عن تفسير القرآن وعلم الفقه إلى الخوض في الأمور الأصولية فتته على أمور يحرّم اسطر وتأمّل الأدلة والشبهات إليها دقيقة يُخاف على الإنسان من الخوض فيها أن تضطرب عقيدته ، إلا أنه لم يجد به بداً من تشبيهه على أصول الديانة ، وإن كان كارهاً لتعريضه لخطر الشبهة ، فتته على أمور جلية غير مفصلة ، وأمره أن يلزم ذلك ولا يتجاوز به إلى غيره وأن يُعسك عما يشبهه عليه ، وسيأتى ذكر ذلك .

الأصل :

وَأَعْلَمُ يَا نَسِيَّ أَنْ أَحَبَّ مَا أَنْتَ أَخِذٌ بِهِ إِلَى مِنْ وَمِيتِي تَقْوَى اللَّهِ وَالْاِقْتِصَادُ عَلَى مَا فَرَسَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالْأَحَدُ بِمَا مَعَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آثَانِكَ ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، بِأَنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ تَهْرُوا لِأَنفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَحَدِ بِمَا عَرَفُوا ، وَالْإِسْكَالِ هَمَّا لَمْ يُكَلِّمُوا ، فَإِنْ أَنْتَ تَعْسُكَ أَنْ تَقْلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا هَلِمُوا ؛ فَلْيَكُنْ مَلَكُكَ ذَلِكَ بِقَمَمِهِمْ وَتَعْلَمُ ، لَا تَتَوَرَّطِ الشُّبُهَاتِ ، وَعَلَى الْخُصُومَاتِ .

وَأَبْدَأُ قَبْلَ تَهْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِمَاعَةِ بِالْهَيْثُ ، وَالرَّعْيَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيْقِكَ ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبُهَةٍ ، أَوْ اسْتَمْتِكَ إِلَى صِلَاتِهِ ، فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَحَشَّعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ جَمَعَ ، وَكَلَّ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا ، فَانْظُرْ رِفْهَا فَسَرَتْ لَكَ ؛ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَخْتَمِعْ لَكَ مَا نُحِبُّ مِنْ تَعْسِكَ ؛ وَفَرَاغَ نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ ،

هاعلم أنك إنما تخطب المشوَّاء ، وتتردُّطُ العلماء ، وليس طالبُ الدين من خبط أو خلط ، والإمساكُ عن ذلك أمثل .

البُزج

أمره أن يقتصر على القيام بالفرائض ، وأن يأخذ بسنة السلف الصالح من آبائه وأهل بيته ؛ فإنهم لم يقتصروا على التقليد ؛ بل بطروا لأنفسهم ، وتأملوا الأدلة ، ثم رحلوا آخر الأمر إلى الأحذ عما عرفوا ، والإمسالا عما لم يكلفوا .

فإن قلت : من سلكه هؤلاء الدين أشال ^(١) إليهم ؟ قلت : المباحرون الأولون من بني هاشم وبني المطلب كحمزة وحضر والعباس وعبيدة بن الحارث ، وكأبي طالب في قول الشيعة وكثير من أصحابنا ، وكعد المطلب في قول الشيعة خاصة .

فإن قلت : فهل يكون أمير المؤمنين عليه السلام نفسه معدودا من جملة هؤلاء ؟ قلت : لا ، فإنه لم يكن من أهل المبادئ والجل انتصر بهم في تكليمهم العقليات على أوائل الأدلة ، بل كان سيِّد أهل النظر كافة وإمامهم .

فإن قلت : ما معنى قوله : لم يدعوا أن يطروا لأنفسهم ؟ قلت : لأنهم إذا تأملوا الأدلة وفكروا فيها فسد بطروا لأنفسهم كما ينظر الإنسان لنفسه ليخلصها من مضرة عظيمة سبيلها أن تقع به إن لم ينظر في الخلاص منها ؛ وهذا هو الوجه في وجوب النظر في طريق معرفة الله ، والخوف من إهمال النظر .

فإن قلت : ما معنى قوله : « إلى الأحذ عما عرفوا ، والإمساك عما لم يكلفوا » ؟

قلت: الأخذ بما عرفوا، مثل أدلة^(١) حدوث الأحسام وتوحيد الباري وعمله، والإمساك عما لم يكلفوا، مثل التطر في إثبات الحرء الذي لا يتجرأ وتثبيته، ومثل الكلام في الخلا والملا؛ والكلام في أن هل بين كل حركتين مستقيمتين سكون أم لا؟ وأمثال ذلك مما لا يتوقف أصول التوحيد والعدل عليه، فإنه لا ينزح أصحاب الحل والمعادى أن يحوضوا في ذلك؛ لأنهم لم يكلفوا الخوض فيه؛ وهو من وطبيعة قوم آخرين.

قوله عليه السلام: «فإن أتت نفسك أن تقل ذلك دون أن تعلم كما علموا»، هذا الموضع فيه نظر؛ لأننا قد قلنا: إنهم لم يمسكوا التفاصيل الدقيقة، فكيف يجعلهم طالبين بها؟ ويقول: «أن تعلم كما علموا» وبمعنى أن يقال إن الكاف وما حملت فيه في موضع نصب؛ لأنه صفة مصدر محذوف؛ وتعديده فيها يثبت نفسك أن تقل ذلك علما كما علموا دون أن تعلم التفاصيل الدقيقة؛ وجاز انتصاب «علما» واسمها فيه «تعلّم» لأن القبول من حسن العلم، لأن القبول اعتقاد والعلم اعتقاد؛ وليس نقائل أن يقول: فإس يكون قد فصل بين الصفة والموصوف مأجني، لأن الفصل بينهما قد جاء كثيرا، قال الشاعر:

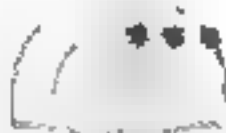
جَزَى اللهُ كَفًّا مِنْثُهَا مِنْ سَعَادَةٍ سَرَتْ فِي هَلَاكِ السَّالِ وَالْمَالِ نَائِمٌ

ويجوز أن يقال: كما علموا الآن بعد موتهم؛ فإنهم بعد الموت يكونون طالبين بجميع ما يشغله على الناس في الحياة الدنيا، لأن المعارف ضرورية بعد الموت، والنفوس باقية على قول كثير من المسلمين وغيرهم.

واعلم أن الذي يدعو إلى تكلف هذه التأويلات أن ظاهر الكلام كونه يأمر بتقليد النبي صلى الله عليه وآله والأخذ بما في القرآن وترك النظر العقلي؛ هذا هو ظاهر الكلام؛ ألا تراه كيف يقول له: الاختصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه أهل

يترك وسلكك ؛ فإنهم لما حللوا النظر رجعوا بآخذه إلى السميات ، وتركوا العليات ؛ لأنها أفنت بهم إلى ما لا يعرفونه ؛ ولا هو من تكليمهم .

ثم قال له : فإن كرهت التقليد المحض ، وأحببت أن تسلك مسلكهم في النظر ، وإن أفضى بك الأمر بآخرة إلى تركه والعود إلى المعروف من الشرعيات وما ورد به الكتاب والسنة ، فيبني أن تنظر وأنت محتج المهم خالٍ من الشبهة ، وتكون طالبا للحق ، غير قاصد إلى الخلل والمراء ؛ فلما وحده طاهر اللفظ يقتضي هذه المعاني ، ولم يحز عندنا أن يأمر أمير المؤمنين عليه السلام ولده^(١) مع حكته وأهلية ولده بالتقليد وترك النظر ، رجسنا إلى تأويل كلامه على وجه يمحرج به عليه السلام من أن يأمر بما لا يجوز لثله أن يأمر به .



واعلم أنه قد أوساء إذا تم ما شرع في النظر بحض ما ذكره التكلمون ، وذلك أمور :

منها أن يرغب إلى الله في توفيقه وتسديده .

ومنها أن يطلب المطلوب النظري بفهم وتميم ؛ لا بحدال ومغالبة ومراء ومحاكمة .
ومنها أطراح المصيبة لنذهب بعينه ، والتورط في الشهات التي يحاول بها نصرة ذلك المذهب .

ومنها ترك الإلف والعادة ، ونصره أمر يطلب به الرياسة ؛ وهو المعنى بالشوائب التي توجب في الضلال .

ومنها أن يكون صافي القلب ، محتمع الفكر ، غير مشغول السر بأمر من جوع

[أو شبع] ^(١) أو شبق أو غضب ؛ ولا يكون ذا هموم كثيرة ، وأفكار موزعة مقسمة ؛ بل يكون فكره وحمته هما واحداً .

قال : فإذا اجتمع لك كل ذلك فاطر ، وإن لم يجتمع لك ذلك ونظرت كنت كالناقة المشوأة الخائطة لا تهتدى ، وكمن يتورط في الطلوع لا يعلم أين يصع قدمه ! وليس طالب الدين من كل خاطئ أو حاط ، والإمساك عن ذلك أمثل وأفضل .



الأصل :

فَتَعَلَّمْ يَا بَنِيَّ وَصِيَّتِي ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ الْحَالِقَ هُوَ الْمَمِيبُ ، وَأَنَّ الْمُفْسِدَ هُوَ الْمُعِيدُ ، وَأَنَّ الْمُتَعَلِّقَ هُوَ الْمُفَارِقُ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِيَسْتَفِرَّ إِلَّا عَلَى مَا حَمَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّعَاءِ وَالْإِتِّيلَاءِ وَالْحَزَاءِ فِي الْمَعَادِ ، أَوْ مَا شَاءَ رَحْمًا لَا تَعْنَمُ ، فَإِنْ أَشْكِدَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى حِمَاكَتِكَ ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا حُلِقَتْ بِهِ حَاهِلًا ثُمَّ عُمِتَ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ، ثُمَّ تُنْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ !



الشرح :

قد تعلق بهذه اللفظة وهو قوله : « أو ما شاء مما لا تعلم » ، قوم من التناسخية ؛ وقالوا : المعنى بها الخراء في الدنيا كل التي تنتقل النفوس إليها . وليس ما قالوه بظاهر ، ويحوز أن يريد عليه السلام أن الله تعالى قد يحارى الذنوب في الدنيا بسوء من العقوبة ، كالأسقام والفقر وغيرها ، والعقاب وإن كان [معمولاً] ^(٢) على وجه الاستحقاق والإهانة فيحوز لاستحققه وهو الباري

أن يقتصر منه على الإيلاء فقط ، لأن الجميع حقه ، فله أن يستوفي البعض ويسقط البعض ، وقد روى « أو بما شاء » بالباء الزائدة ، « وروى بما لا يعلم » . وأما^(١) الثواب فلا يجوز أن يجازى به المحسن في الدنيا ، لأنه على صفة لا يمكن أن تجامع^(٢) التكليف ، فيحمل لفظ الجزاء على جزاء العقاب خاصة .

ثم أعاد عليه السلام وصيته الأولى ، فقال : وإن أشكل عليك شيء من أمر القضاء والقدر ، وهو كون الكافر مخصوصا بالسما والؤمن مخصوصا بضرب من الابتلاء ، وكون الجراء قد يكون في الماد ، وقد يكون في غير الماد ، فلا تقدح جهالتك به في سكون قلبك إلى ما عرفتكم بجلته ، وهو أن الله تعالى هو الهي المبت ، الذي المبدأ ، المبلى الملقى ، وأن الدنيا بليت على الابتلاء والإمام ، وأنهما لمصالح وأمر يستأثر الله تعالى بسلمها ، وأنه يحارى عاده إما في الآخرة أو غير الآخرة ، على حسب ما يريد ويختاره . ثم قال له : إنما خلقت في مبدأ خلقتك جاهلا ، فلا تطلن نفسك قاية من العلم لا وصول لها إليها ، أو لها إليها وصول بعد أمور صحيحة ومتاع شديد ، فمن خلق جاهلا حقيق أن يكون جهله مدة عمره أكثر من علمه استصحابا للأصل .

ثم أراد أن يؤنسه بكلمة استقدرك بها إيمانه ، فقال له : وعساك إذا جهلت شيئا من ذلك أن تعلمه فيما بعد ، فما أكثر ما تحمل من الأمور وتتحير فيه ، ثم تبصره وتمرغه ! وهذا من الطب^(٣) اللطيف ، والرقى الناجمة ، والسحر الحلال .

(٢) ب : « يجتمع » ، وما أتته من أ .

(١) أ : « فأما » .

(٣) الطب : للعالجة .

الأَجَل :

فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاهُ ، فَمَنْ كُنْ لَهُ تَعَبُدُكَ ، وَإِلَيْهِ رَغَبْتُكَ ، وَمِنْهُ شَفَقْتُكَ .

وَأَقْلَمَ يَا بَنِيَّ أَنْ أَحَدًا لَمْ يُبَيِّنْ عَنِ اللَّهِ سُخَّاهُ كَمَا أَبَا عَلَيْهِ بَيْنًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَارْضَ بِهِ رَأْيًا ، وَإِلَى الْحُجَّةِ قَائِدًا ، فَإِنَّ لَمْ آتِكَ نَصِيحَةٌ ، وَإِنَّكَ لَنْ تُسْلَعَ فِي السُّعْرِ لِنَفْسِكَ ، وَإِنْ اخْتَهَدْتَ مَنَعَ نَظْرِي لَكَ .

النَّسْرُج :

عَادَ إِلَى أَمْرِهِ بِاتِّسَاعِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى السَّمْعِ وَمَا وَرَدَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ وَيُطْلَقَ بِهِ الْكِتَابُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَحَدًا لَمْ يَحْجِرْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَحْرَمَ عَنْهُ بَيْنًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ وَصَدَّقَ عَلَيْهِ أَسْلَامَ أَقْبَلِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ كُتُبِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ تَنْتَضِ مِنْ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ مَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ ، وَحُصُوصًا فِي أَمْرِ الْمَعَادِ ؛ فَإِنَّهُ فِي أَحَدِ الْكِتَابَيْنِ مَسْكُوتٌ عَنْهُ ، وَفِي الْآخَرِ مَذْكُورٌ دَكْرًا مُصْطَرَبًا ، وَالَّذِي كَشَفَ هَذَا الْقِتْمَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَصَرَّحَ بِالْأَمْرِ هُوَ الْقُرْآنُ . ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ أَنْصَحَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ يَبْلُغُ وَإِنْ احْتَبَدَ فِي اسْطِرْلَاحِهِ مَا يُلْفَظُ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ ، لَشِدَّةِ حَتِّهِ لَهُ وَإِثَارِهِ مَصْلَحَتِهِ . وَقَوْلُهُ : « لَمْ آتِكَ نَصِيحَةٌ » لَمْ أَقْصُرْ فِي نَصِيحَتِكَ ، إِلَى الرَّجُلِ فِي كَدَائِلِهِ ، أَيْ قَصَّرَ فَهُوَ آتِي وَالْفِعْلُ لَارِمٌ ، وَلَكِنَّهُ حَذَفَ اللَّامَ فَوَسَّلَ الْفِعْلَ إِلَى الصَّمِيرِ فَنَفْسُهُ ، وَكَانَ أَصْلُهُ : لَا آتُوكَ نَصِيحًا وَنَصِيحًا ، مَصْبُوبٌ عَلَى التَّخْيِيرِ ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَه الرَّائِدِيُّ إِنَّ اتِّصَابَهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ ، فَإِنَّهُ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ لَا يَتَعَدَّى ، فَكَيْفَ إِلَى اثْنَيْنِ !

ويقول هذه امرأة آليّة أى مفصّرة وجمعها أواليّ ، وفى المثل : « إلاً حظية فلا آليّة » ،
أصله فى المرأة تصلّب عند بعلمها ، فتوصى حيث فاتتها الخطوة ألا تألوه فى التردد إليه
والتعجّب إلى قابله .

قوله : « ومنه شفقتك » ، أى خوفك .

ورائد : أصله الرجل يتقدّم القوم فينادي بهم المرعى .

الأفضل :

وَأَعْلَمَ يَا نَبِيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ مُبْرِكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ ، وَلَكِنْ أَتَتْكَ آثَارُ مُلْكِهِ
وَسُلْطَانِهِ ، وَلَمَرَمْتَ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُ ، وَبِكَيْفِهِ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ، لَا يُعَادُهُ
فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ، وَلَا يَرُودُ أُنْدَاؤُهُمْ يَزَلُّ ، أَوْ رُفْقُ الْأَشْيَاءِ تَلَاؤُكِيَّةٍ ، وَآخِرُ
بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا سَهَابَةٍ ، فَطَمَ أَنْ تَقُتَّ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ تَصَرُّ .

فَإِذَا صَرَفْتَ ذَلِكَ فَاهْزَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِرَاطٍ حَطَرٍ ، وَقِفْهُ
مَقْدَرَتِهِ ، وَكَثْرَةَ عَجْزِهِ ، وَعَظِيمَ حَاجَتِهِ إِلَى رَحْمَةٍ ، فِي طَلَبِ طَاقَتِهِ ، وَالرَّهِيَّةِ
مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُفُوبَتِهِ ، وَلِشَمَقَةِ مِنْ سُحْطِهِ ، فَابْنُهُ لَمْ يَأْمُرْكَ
إِلَّا بِحَسَنِ ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ .

البيان :

يمكن أن يستدل بهذا الكلام على نبي الثانى من وجهين :

أحدهما أنه لو كان فى الوجود ثانى للدرى تعالى لما كان القول بالوحدانية حقاً ،
بل كان الحق هو القول بالتثنية ، ومحال ألا يكون ذلك الثانى حكماً ، ولو كان الحق هو

إثبات ثانٍ حَكِيم لوجب أن يبعث رسولا يدعو المكلفين إلى التفتية ، لأن الأنبياء كلهم دعوا إلى التوحيد ، لكن التوحيد على هذا القرض ضلالٌ ، فيجب على الثاني الحكيم أن يبعث من يثبت المكلفين على ذلك الضلال ويرشدهم إلى الحق وهو إثبات الثاني ، وإلا كان منسوباً في إهمال ذلك إلى السَّهْو واستفساد المكلفين ، وذلك لا يحوز ؛ ولكننا ما أتانا رسول يدعو إلى إثبات ثانٍ في الإلهية بطل كون القول «توحيد ضلالاً» ، وإذا لم يكن ضلالاً كان حقاً ؛ فنقيضه وهو القول بإثبات الثاني باطل .

الوجه الثاني : أنه لو كان في الوجود ثبوت للتقديم تعالى لوح أن يكون لنا طريق إلى إثباته ، إما من مجرد أفعاله ، أو من صفات أفعاله ، أو من صفات نفسه ، أولاً من هذا ولا من هذا ، فمن التوفيق .

وهذه هي الأقسام التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام ، لأن قوله : «أنتك رسوله» هو التوفيق ، وقوله : «ولأيت آثار ملكك وسلطانك» ، هي صفات أفعاله ، وقوله : «ولعرفت أفعاله وصفاته» هما القسمان الآخران .

أما إثبات الثاني من مجرد الفعل فباطل ؛ لأن الفعل إنما يدل على «فعل ولا يدل على التعمد» ، وأما صفات أفعاله وهي كون أفعاله محكمة متقنة ، فإن الإحكام الذي شاهده إنما يدل على عالم ولا يدل على التعمد ، وأما صفات ذات الساري فالعلم بها فرع على العلم بذاته ، فلو أئمتنا ذاته بها ثم الدور .

وأما التوفيق فلم يأتنا رسول ذو محبرة صحيحة يدعونا إلى الثاني ؛ وإذا بطلت الأقسام كلها ، وقد ثبت أن مالا طريق إلى إثباته لا يحوز إثباته بطل القول بإثبات الثاني .

ثم قال : «لا يصاده في ملكه أحد» ليس يريد بالضد ما يريد المتكلمون من نفي ذات هي معاكسة لذات الباري تعالى في صفاتها ، كمصادة السواد للبياض ، بل مراده نفي الثاني لا غير ، فإن نفي الضد بحث آخر لا دخول له بين هذا الكلام .

ثم ذكر له أن الباري تعالى قديم سابق للأشياء ، لا سبقاً له حدّ محدود ، وأول معين ، بل لا أول له مطلقاً .

ثم قال : وهو مع هذا آخر الأشياء ، آخريّة مطلقة ليس تنتهي إلى غاية معينة .

ثم ذكر أن له ربوبيّة حلت عن أن تحيط بها الأبصار والمقول .

وقد سبق منا خوض في هذا المعنى ، وذكرنا من نظمنا في هذا النمط أشياء لطيفة ،

ونحن نذكرها هنا من نظمنا أيضاً في هذا المعنى ، وفي فسا الذي اشتهرنا به ، وهو المناجاة

والمخاطبة على طريقة أرباب الطريقة ما لم نذكره هناك ، فمن ذلك قولي :

فَلَا وَاللَّهِ مَا وَصَلَ ابْنُ سَبَا وَلَا أَغْنَى دَكْلُهُ أَبِي الْحَسَنِ

وَلَا رَجَعَا بِشَيْءٍ بِمَسَدٍ بَحْثٍ وَتَدْقِيقِ سَوَى حُمَى حُثَيْنِ

لَقَدْ طَوَّفْتُ أَطْلُبُكُمْ وَلَكِنْ بِمَحْوِلِ الْوَقْتِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي

فَهَلْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْوَقْتِ الْخَطَى بِمَسَلِّكُمْ عِدَاً وَتَقَرَّ عَيْنِي !

مُنَى عَيْنَا بِهَا زَمَنًا كَوْنًا يُسَوِّفُنَا بِسَدَقِي أَوْ عَيْنِ

فَإِنْ أَكْثَدْتُ فَنَاكَ ضِيَاعُ دِيْنِي وَإِنْ أَخَذْتُ فَنَاكَ حُلُولُ دِيْنِي (١)

ومنها :

أَمْوَالِي قَدْ أَحْرَقَتْ قُلُوبِي فَلَا تَكُنْ عِدَاً مَحْرَقًا بِالنَّارِ مَنْ كَانَ يَهْوَاكَ

أَتَجْمَعُ لِي مَادِيْنٍ : نَارَ عَجَبَةٍ وَبَارَ عَذَابٍ أَمْتُ أَرْحَمَ مِنْ ذَاكَ !

ومنها :

قَوْمَ مُوسَى تَاهُوا سَنِيْنَ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي النَّصْرِ قَنْدَرُهَا أَرْبَعُونَ (٢)

وَلِيَ الْيَوْمَ تَأْتِيهَا فِي جَوَى مِنْ لَا أَسْمَى وَجْهَهُ تَحْسُونَا

قُلْ لِأَحِبَابِنَا إِلَّامَ رُؤُومٍ أَلْ وَصَلَ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَا

(١) : ١ : « أجبت » .

(٢) : إشارة إلى قوله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأعمنّاها بعشر » (الأعراف : ١٤٤)

كم تناجيكم فلا ترشدونا ونناديكم فلا تسمعونا !
 حسنا علمكم بأننا موليكم وإن كنتم لنا كارهينا
 فحسبي نذكرك السعادة أرباب الدمامي فيصبحوا فائزين !
 ومنها :

والله ما آسى من الدنيا على مالٍ ولا ولدٍ ولا سلطانٍ
 بل في صميم القلب منى حسرة
 إني أراك يماطيني لا ظاهري
 يا من سهرت منكرا في أمره
 فرجعت أحق من نامة بئيهين
 وأبذل سعي من أبي عشان
 ومنها :

وحقك إن أدخلتني النار قلت لئلا — دين بها لقد كنت ممن أحته
 وأقنيت عمري في علومٍ دقيقة وعبدتني سبلا رضاه وقرنه
 هبوني ميثا أوتغ الخلم حملة وأوقفه بين الرية ذنه (١)
 أما يقتضي شرع التكرم عتقه أيمعن أن يسي هواه وحته !
 أما كان ينوي الحق بما يقوله ألم تنصرت التوحيد والمدل كتته !
 أما رد زيف ابن الخطيب وشكه وإلحاده إذ حل في الدين خطته !
 أما قلتم من كان فينا مجاهدا سيكرم مثواه ويُنْذَب شربه !
 ونهديه سلا من هدانا جهاده ويدخله حيرة المداخل كسبه !
 فأى اجتهاد فوق ما كان صامتا وقد أحرقت زرق الشياطين شهبه !
 وما نال قلب الجيش جيش محمد كما نال من أهل الصلاة قلبه !

(١) كفا في أ، ب، و، د : « أرتع » .

فإن تصفحوا ينعم وإن تتجرعوا
فمذيقكم حلو المذاقة عذبه
وآية صدق الصب أن يمدب الأدي
إد كان من يهوى عليه يصبه

ومنها :

إذا فكرت فيك بحار عقلي
وأصحو تارة فيشوب ذهني
فيا من تاهت العقلاء فيه
ويامن كالت الأفكار عنه
ويامن ليس يعلمه نبي
ويامن ليس قدأما وحنفا
ولا فوق السماء ولا تدلى
ويامن أمره من داك أحلى
سألتك باسمك المكتوم إلا
وجدت لها بما تهوى قامت السديم
يأطنر اللنز الضمار

ومنها :

يارب إراك عالم بحثي لك واجتهادي
وتجردى للذب عنك على مراعاة الأعادي
بالعدل والوحييد أمدع ممنا في كل نادي
وكشفت زيمع ابن الخطيب ولبسه بين العباد
ونقضت سائر ما بنا من الصلاة والفساد

وأبنت عن أغوائهم في دين أحمد ذي الرشاد
وجعلت أوجه ناصريه محمات بالسواد
وكففت من غيوائهم بعد التمرد والمناز
فكأننا نخل الرما د عليهم بعد الرماز
وقصدت وجهك أبتى حسن الثوبة في الماد
فأفرض على العبد الفقير إليكم نور السداد
وارزقه قبل الموت مسرفة المصار والماد
وافكك أسير الحرم بالانصاف من أسر السداد
واعسل بصبو القرب من أبوابكم كدر البعاد
وأعصه من حصر العليل بوسلك برّ السواد
وارحم عيوننا فيك ها مية وقلبا فيك صاد
يا ساطع الأرض الها د وممك السمع الشداد



الأصل :

يَا بَنِيَّ، إِنِّي قَدْ أُنَبَّأْتُكَ مِنَ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَّالِهَا وَانْتِفَائِهَا، وَأُبَيَّنْتُكَ مِنَ
الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لَتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذَرُ عَلَيْهَا.
إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ حَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا، نَبَأَ بِهِمْ مَثَرُ حَدِيدٍ، فَأَمُّوا مَثَرًا لَا
خَصِيًّا، وَجَنَابًا مَرِيحًا، فَأَحْتَمَلُوا وَفُتَّاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَحُسُونَ السَّفَرِ،
وَحُسُوبَةَ الطَّعْمِ؛ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَثَرُ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ
ذَلِكَ أَلَمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَمًا. وَلَا قِيَّ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَثَرِهِمْ

وَأَذَانُهُمْ إِلَى تَحْتِهِمْ .

وَمَثَلُ مَنْ اغْتَرَبَ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ حَصِيبٍ ، فَنَبَأَ بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيدٍ ،
فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا أَفْطَحُ مِنْهُمْ ، مِنْ مُسَارَفَةٍ مَا كَانُوا فِيهِ ؛ إِلَى مَا
يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

الْبُرْجُ :

هذا عليه يحدو ، واحتذى مثاله ، يحمى ، أى اقتدى به . وقوم سمر ، بالتسكين ،
أى مسافرون .

وَأَمْثَلُ : قصدوا . والمنزل الجديد : أخذ المنزل الحبيب .

والحناب الربيع بفتح الهمزة : هو السكلا والشمس ، وهذا مَرُوع الوادى ، بالضم .

والحناب : السماء . ووقضاء الطريق : مشقتها .

وجشوبة العلم : غلظه ، طعام حبيب ومحسوب ، ويقال إنه الذى لا آدم^(١) معه .

يقول : مثل من عرف الدنيا وعمل فيها للآخرة ، كمن سافر من منزل جدد إلى منزل

حبيب ، فلقى في طريقه مشقة ؛ فإنه لا يكثر بذلك في جنب ما يطلب ؛ وبالعكس من

عمل للدنيا وأهل أمر الآخرة ، فإنه كمن يسافر إلى منزل ضئيل ويهجر منزلا

رحيبا طيبا ، وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « الدنيا سجن المؤمن

وجنة الكافر » .

(١) آدم : ما يؤنس به .

الإمئل :

يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيهَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأُحِبُّ لِنَفْسِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ،
وَأَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَعْظِمُ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأُحْسِنُ كَمَا تُحِبُّ أَنْ
يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبَحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا
تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ مِنْ قَوْلٍ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ
يُقَالَ لَكَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَثَابِ؛ فَاسْتَعِ فِي كَذْحِكَ، وَلَا تَكُنْ
خَازِنًا لِنَفْسِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هَدَيْتَ لِقَصْدِكَ، سَكُنْ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.



الشيخ :

جاء في الحديث الرفوع : « لَا يَكْمُلُ بِعَمَلٍ عَبْدٌ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ،
وَيَكْرَهُ لِأَخِيهِ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ ». وقال بعض الأسارى لبعض الملوك : افعل ممي ما تحب أن
يفعل الله معك ؛ فأطلقه ؛ وهذا هو ممي قوله عليه السلام : « وَلَا تَظْلَمُ كَمَا لَا تُحِبُّ
أَنْ تُظْلَمَ ».

وقوله : « وَأُحْسِنُ » من قول الله تعالى : ﴿ وَأُحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (١).

وقوله : « وَاسْتَقْبَحْ مِنْ نَفْسِكَ »، سئل الأحف عن المروءة، فقال : أَنْ تَسْتَقْبَحَ مِنْ
نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبَحُهُ مِنْ غَيْرِكَ . وروى : « وَارْضَ مِنَ النَّاسِ لَكَ » وهي أحسن .
وأما العجب وما ورد في حقه فقد قدمنا فيه قولاً مقبلاً .

قوله عليه السلام : « واسع في كدحك » أى أذهب ما اكتسبت بالإتفاق ؛ والكدح هاهنا : هو المال الذى كدح فى حصوله ، والسعى فيه إتقاه ؛ ، وهذه كلمة فصيحة ، وقد تقدم نظائر قوله : « ولا تكن غزنا لنيرك » .

ثم أمره أن يكون أحشع ما يكون لله إذ هداه لرشده ، وذلك لأن هدايته إياه إلى رشده نعمة عظيمة منه ، فوجب أن يقابل بالحشوع لأنه ضرب من الشكر .

الأصل :

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَأَنْتَ لَا غِيَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ ، وَقَدَرِ مَلَائِكَتَ مِنَ الزُّلُمِ ، مَعَ حِفَّةِ الطَّهْرِ ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى طَهْرِكَ فَوْقَ حَقَائِكَ ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبِئْسَ عَذَابُكَ ، وَإِذَا وَحَدَّتْ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ رَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيُؤَا فَبِكَ بِهِ عَذَابٌ حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمَلُهُ إِيَّاهُ ، وَأَكْثَرُ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَدِيرٌ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا تَطَلَّعْتَ فَلَا تَحْدُهُ .

وَاعْتَنِمِ مَنْ اسْتَقْرَصَكَ فِي حَالِ عِيَاكَ ، لِيَحْضَلَ قِصَاءُكَ لَكَ فِي يَوْمِ حُسْرَتِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَثُورًا ، الْمُحِجُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقَلِ ، وَالْمُدْطِيُّ عَلَيْهَا أَفْحَحُ أَمْرًا مِنَ الْمُسْرِعِ ، وَأَنْ مَهِيظَهَا بِكَ لَا مَحَالَةَ ؛ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ ، فَارْتَدَّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ زُرُوكِ ، وَوُطِئَ ثَمَرُكَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

البزخ :

أمره في هذا الفصل بإتفاق الدال والصدقة والمروء . فقال : إن بين يديك طريقا بعيد المسافة ، شديد الشقة ، ومن سلك طريقا فلا عنى له عن أن يرتاد لنفسه ، ويزود من الزاد قدر ما يبتغى انفاية ، وأن يكون حبيب الطهر في سمره ذلك ؛ فإياك أن تحمل من المال ما يشقك ؛ ويكون وبالا عليك ؛ وإذا وجدت من الفقراء والمساكين من يحمل ذلك الثقل عنك فيواييك به عدا وقت الحاجة لحمله إياه ، فلملك تطلب مالك فلا تحبه . جاء في الحديث المرفوع : « تحس من أتى الله بهن أو واحدة منهن أو حبله الجنة ؛ من سقى هامة صادية ، أو أطعم كذا هدية ، أو كسا حلة عارية ، أو حمل قدما حافية ، أو اعتق رقبة عانية » .

قيل لحاتم الأصم : لو قرأت لنا شيئا من القرآن ! قال : نعم ؛ فاندفع فقرأ : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ بِهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْعَيْشِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ يكررون ^(١) ، فقالوا أيها الشيخ ما هكذا أنزل ! قال : صدقتم ؛ ولكن هكذا أنتم !



الأنزل :

وَأَعْلَمَ أَنَّ الدِّيَّ يَسِيرُ حَرَائِنُ سَمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ قَدْ أُدِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ ، وَتَكْفُلَ لَكَ بِالْإِحَايَةِ ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ ، وَتَسْتَرْجِيَهُ لِيَرْحَمَكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ مَنْ يَحْجُثُكَ عَنْهُ ، وَلَمْ يُنْجِثْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ ،

(١) سورة الفرقة ١ - ٣ ، والفرامة : « وما رزقناهم ينفقون » .

وَلَمْ يَمْنَعَكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَمْ يَمَاجِكَ بِالْقُتْمَةِ ، وَلَمْ يَفْضَحَكَ حَيْثُ
تَعَرَّضْتَ لِلْمَعْصِيَةِ ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَوْلِ الْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُمَاقِشَكَ بِالْجَرِيَمَةِ ،
وَلَمْ يُؤَيِّسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ ، بَلْ حَمَلَ رُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً ، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ
وَاحِدَةً ، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ قَهْرًا . وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ ، وَبَابَ الْإِسْتِعْثَابِ .
فَإِذَا نَدَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ ، فَافْصَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ ،
وَأَشْنَيْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ مُهُومَكَ ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوتَكَ ، وَاسْتَمْتَعْتَ
عَلَى أُمُورِكَ ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ حَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ ، مِنْ رِيَادَةِ
الْأَعْمَارِ ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ .

ثُمَّ حَمَلَ فِي يَدَيْكَ مَعَارِيجَ حَرَائِيرِهِ ، بِمَا دَانَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ ؛ فَتَنَى
شَيْئًا اسْتَمْتَعْتَ بِالدُّعَاءِ أَنْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَاسْتَمَطَرْتَ شَايِبَ رَحْمَتِهِ ، فَلَا يُقْطِعُكَ
إِنْطَاةُ إِحْسَانِهِ ، فَإِنَّ الْمَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ السَّيِّئَةِ ، وَرُبَّمَا أَحْرَتْ عَنْكَ الْإِحَابَةُ لِيَكُونَ
ذَلِكَ أَكْثَرَ لِأَخْرِ السَّائِلِ ، وَأَخْرَلَ لِمَعْدَةِ الْآمِلِ . وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُعْطَاهُ ،
وَأُورِيتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا ، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ ، فَهَرُبَ أَمْرُ
قَدْ طَلَبْتَهُ مِنْهُ هَلَاكُ دِينِكَ نَوْ أَوْفَيْتَهُ ، فَتَشَكَّنَ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ بَجَائِلِهِ ،
وَيُبْقَى عَنْكَ وَبِأَلِهِ ؛ فَلَمَّا لَا يَبْقَى لَكَ ، وَلَا يَبْقَى لَهُ .

الْبَرْخُ :

قد تقدم القول في الدعاء .

قوله : « بَلْ حَمَلَ رُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً » ، هذا متفق عليه بين أصحابنا ، وهو
أن تارك القبيح لأنه فيصح يستحق الثواب .

قوله : « حسب سيئتك واحدة وحس حسنتك عشرة » ؛ هذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (١) .

قوله : « وأبشته ذات نفسك » ، أى حاجتك .

ثم ذكر له وجوها في سبب إبطاء الإجابة :

منها أن ذلك أمر طائد إلى النية ، فسلبي لم تكن خالصة .

ومنها أنه ربما أخرت ليكون أعظم لأحر السائل ؛ لأن الثواب على قدر المشقة .

ومنها أنه ربما أخرت ليعطى السائل خيراً مما سأل ، إما عاجلاً أو آجلاً ؟

أو في الحالين .

ومنها أنه ربما صرف ذلك عن السائل ، لأن في إعطائه إيّاه مفسدة في الدين .

قوله : « فاللّال لا يبق لك ولا تنق له » ، لفظ شريف فصيح ، ومعنى صادق محقق

فيه علة بالغة ؛ وقال أبو الطيب :

أَيْنَ الْجَبَارَةُ الْأَكْرَةُ الْأَلَى كَزُوا الْكُوزَ فَمَا بَقِيَ وَلَا تَقُوا (٢)

ويروى : « من يحجبه عنك » .

وروى : « حيث الفضيحة » أى حيث الفضيحة موحدة منك .

ولعم أن في قوله : « قد أدن لك في السماء » ، وتكفل لك بالإجابة » إشارة إلى قوله

تعالى : ﴿ اذْهَبْ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وفي قوله : « وأمر أن تسأله ليعطيك » إشارة إلى قوله : ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ (٤) .

(١) سورة الأنعام ١٦٠ . (٢) ديوان ٢ : ٣٣٤ .

(٣) سورة طه ١٠٠ . (٤) سورة البقرة ١٢٠ .

وفي قوله : « وتسترجه ليرحمك » إشارة إلى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) .

وفي قوله : « ولم يمنحك إن أسأت من الثوبة » إشارة إلى قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢) .

الأصل :

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُفِضْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا ، وَلِلْفَسَادِ لَا لِلنَّعْمَةِ ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ ؛ وَأَنَّكَ فِي مَرَجٍ قُدِّمْتَ ، وَدَارٍ بُعِثْتَ ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَأَنَّكَ طَرِيقُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَمْجُوهَا رِيْبُهُ ، وَلَا يَمُوتُهُ طَرْلُهُ ، وَلَا يُدْأَاهُ مُدْرِكُهُ ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَبَّحْتَ ؛ قَدْ كُنْتَ تُعَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، فَادَّأِ أَنْتَ قَدْ أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ .

يَا بُنَيَّ ، أَكْثَرُ مِنْ دِكْرِ الْمَوْتِ وَدِكْرِ مَا سَهَجُ عَلَيْهِ ، وَتُعْضِي بِمَدِّ الْمَوْتِ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَأْتِيَنَّكَ وَقَدْ أَحْدَثَ مِنْهُ حِذْرَكَ ، وَشَدَّدْتَ لَهُ أَرْكَ ، وَلَا يَأْتِيَنَّكَ بَنْتَةٌ فَيَسْهَرَكَ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ عَمَّا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا ، وَتَكَاَلُمِهِمْ عَلَيْهَا ، فَقَدْ سَأَلَكَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَنَعَتْكَ لَكَ بِهَا ، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا ، قَابًا أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ ، وَسِبَاعٌ صَارِيَةٌ ، يَهْرُ بِسُوءِهَا عَنِ بَعْضِ ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا دَلِيلَهَا ، وَيَقْهَرُ كِبَرُهَا صَغِيرَهَا .

نَعَمْ مُعْقَلَةٌ ، وَأُخْرَى مُهَمَلَةٌ ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا ، وَرَكِبَتْ بَجَهْلُوهَا .
 مَرْوَحٌ عَاهَةٌ بِوَادٍ وَعَثٌ ، لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُسِيمُهَا ، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا . سَلَكَتْ
 بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى ، وَأَحْذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا ،
 وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا ، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَبِيتَ بِهِمْ وَلَعِمُوا يَهَا ، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا .
 رُوَيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ ، كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْمَانُ ١ يُوْشِكُ مَنْ أَسْرَعَ
 أَنْ يَنْلَحِقَ !

التَّبْرِجُ :

يقول : هذا منزل قُلْمَةٌ ؛ بضم القاف ومكون اللام ؛ أى ليس بمستوطن ؛ ويقال :
 هذا مجلس قُلْمَةٌ ، إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة . ويقال أيضا :
 هم على قُلْمَةٍ ، أى على رَحْلة ، والقُلْمَةُ أيضا : هو المال العارية ، وفي الحديث : « بئس المال
 القُلْمَةُ » ؛ وكلُّه يرجع إلى معنى واحد .

قوله : « ودار بلُفَةٍ » ، والبلعة : ما يتبلغ به من العيش .

قوله : « مَرْوَحٌ عَاهَةٌ » ، والمَرْوَحُ : جمع سَرْجٍ ؛ وهو المال السارج . والعاهة :
 الآفة ؛ أعاء القومُ أصابت ما شئتهم العاهة .

ووادٍ وَعَثٌ : لا يثبت الحافرُ وأُخِلَتْ فيه ؛ بل يغيب فيه ، ويشقّ على مَنْ
 يعيش فيه .

وأوعت القومُ : وقصوا في الوعث .

ومسيمٌ يُسِيمُهَا : راع يرعاها .

قوله : « رويدا يسفر الظلام . . . » إلى آخر الفصل ، ثلاثة أمثال محرّكة لمن عنده .

استعداد . واستقرّ أني أبو الفرج محمد بن عباد رحمه الله وأنا يومئذ حدثت هذه الوصية فقرأتها عليه من حِطّلي ، فلفنا وصليّتُ إلى هذا الموضع صاح صيحة شديدة ، وسقط - وكلّ جباراً قاسى القلب .

[أقوال حكيمة في وصف الدنيا وفناء الخلق]

واعلم أنا قدما في وصف الدنيا والممات . وابتوت من محاسن كلام الصالحين والحكماء ما فيه الشفاء ، ونذكر الآن أشياء أخر .

من كلام الحسن البصري : يا بن آدم ، إنما أنت أيام مجموع ، فإذا مضى يوم مضى بمصك .

عن بعض الحكماء : رحم الله أمراً لا يفرّ ما يرى من كثرة الناس ، فإنه يموت وحده ، ويقرّ وحده ، ويحاسب وحده .

وقال بعضهم : لا وحة لمقاساة المموم لأهل الدنيا ولا الاعتداد بشيء من متاعها ، ولا التخلّي منها ، أمّا ترك الاهتمام لها ، فمن جهة أنه لا سبيل إلى دفع الكائن من مقدورها ، وأمّا ترك الاعتداد بها ؛ فإنّ مرجع كلّ أحد إلى تركها ، وأمّا ترك التخلّي عنها فإنّ الآخرة لا تدرك إلّا بها .

ومن كلام بعض الحكماء : أفضل اختيار الإنسان ما توجه به إلى الآخرة ، وأعرض به عن الدنيا ؛ وقد تقدّمت الحجة وأدنا ، الرحيل ، ولنا من الدنيا على الدّيات دليل ؛ وإنّما أحدنا في مدّة بقائه صريع لمرض ، أو مكتئب بهم ، أو مطروق بمصيبة ، أو مترقب لخوف ، لا يأمن المرء أصناف لذته من الطعام والشروب أن يكون موته فيه ، ولا يأمن مملوكه

وجاريته أن يقتلاه بحديد أو سم ؟ وهو مع ذلك عاجز عن استدامة سلامة عقله من زوال ،
وصممه من صممه ، وبصره من عمى ، ولسانه من خرس ، وسائر جوارحه من رمانة ، ونفسه
من تلف ، وماله من يوار ، وحبيبه من فراق ؛ وكل ذلك يشهد شهادة قطعية أنه فقير
إلى ربه ، دليل في قبضته ، محتاج إليه . لا يزال المرء بخير ما حسب نفسه ، وعمر آخرته
بتخريب دنياه ؛ وإذا اعترضته بحار المكار ، جعل معارها الصبر والتأسي ، ولم يفتّر بتتابع
النعم ، وإبطاء حلول النعم ، وأدام محبة التي ؛ وقطع النفس عن الهوى ؛ فإنما حياته كبضاعة
يفتق من رأس المال منها ؛ ولا يمكنه أن يزيد فيها ؛ ومثل ذلك يوشك فساؤه
وسرعة زواله .

وقال أبو التامية في ذكر الموت :

سُبَّاشِرُ التُّرْبَاءِ خَدَّكَ	وسيضحك الباكون بعدك ^(١)
وَلَيَزِلَنَّ بِكَ الْبَيْلُ	وَلَيُخْلِفَنَّ الْمَوْتُ عَهْدَكَ
وَلَيَفِينَنَّكَ مِثْلَ كَذَا ^(٢)	أَفْنَى أَبَاكَ بِلَى وَجَدَكَ ^(٣)
لَوْ قَدَرْتُ رَحْلَتَ عَنِ الْقَصْوِ	رَوَّطِيهَا وَسَكَنْتَ لَخَدَّكَ ^(٤)
لَمْ تَنْفَعْ إِلَّا بَعْدَ	لَوْ صَالِحٍ قَدْ كَانَ عِنْدَكَ

(١) ديوانه ٨٦ ، ٨٧ ، والتراب : التراب ، ورواية الديوان :

• لَتَبَّاشِرُ الْأَجْدَاثِ وَخَدَّكَ •

(٢) الديوان : « بالقي » .

(٣) الديوان : « به وجدك » .

(٤) الديوان :

لَوْ قَدَرْتُ ظَعْنَتَ عَنِ الْبَيْتِ تِ وَدَوَّحِيهَا وَسَكَنْتَ لَخَدَّكَ

وترى الذين قسمت ما لك بينهم حصصاً وكذلك^(١)
يتلذذون بما جحدت لهم ولا يجدون قسرك

الأصل :

وَاعْلَمَ يَا بَنِيَّ أَنَّ مِنْكَ كَانَتْ مَطِيئَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَإِنَّهُ يُسَارُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ
وَاقِعًا ، وَيَقْطَعُ السَّافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَإِدْعَا .
وَاعْلَمَ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَنْلُجَ أَمْلَكَ ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ
قَسْلَكَ .

فَضَمَّنَ فِي الطَّلَبِ ، وَأُجِيلَ فِي الْكُتُبِ ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ ؛
وَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَلَا كُلُّ مُجِيلٍ بِمَحْرُومٍ .
وَأَكْرَمَ نَهْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَأَلْتَهُ إِلَى الرَّعَائِبِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَمْتَنَحَ
بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَمَاسًا . وَلَا تَكُنْ عِنْدَ عَيْرِكَ وَقَدْ حَمَلَكَ اللَّهُ حُرًّا . وَمَا خَيْرُ
خَيْرٍ لَا يُنَالُ^(٢) إِلَّا بِشَرٍّ ، وَبِشَرٍّ لَا يُنَالُ إِلَّا بِسُوءٍ .

وَإِنَّكَ أَنْ تُوَحِّفَ بِكَ مَطَايَا الطَّعْمِ ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْمَلَكَةِ . وَإِنْ اسْتَطَعْتَ
أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو رِئْمَةٍ فَعْمَلٌ ، فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قَسَمِكَ ، وَآخِذٌ سَهْمِكَ ،
وَإِنَّ الْبَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُنْحَانُهُ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ
كُلُّ مَنَّهُ .

(١) الديوان :

وكان ححك قد عدا ما بينهم حصصاً وكذلك

(٢) د : د لا يوجد .

البسرح :

مثل الكلمة الأولى قول بعض الحكماء - وقد نسب أيضا إلى أمير المؤمنين عليه السلام :
أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام .

قوله : « نَحْمَسِنَ فِي الطَّلَب » من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « إِنَّ رُوحَ
الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْكُلَ رِجْلُهَا ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ » .
وقال الشاعر :

ما اعتاضَ بادلٌ وجهه بسؤاله عِوَضًا وَلَوْ مَالِ النَّسِيِّ بِسؤالِ
وإذا التَّوَالَى إِلَى السُّؤالِ قَرْنَتَهُ^(١) رَجَحَ السُّؤالُ وَخَفَّ كُلُّ نَوَالِ

وقال آخر :

رَدَدْتُ رُوحِي وَحَمِي عَنْ مَحَبَّتِهِ زِدْ لِقَتَالِ بَهَاءِ الْعَارِمِ الْخَدِيمِ^(٢)
وَمَا أَنَا بِوَخِيرِ الْقَوْلِ لِحُدُودِهِ حَقِيقَتِي لِي مَاءٌ وَحَمِي أَمْ حَقِيقَتِي دَمِي

وقال آخر :

وإني لأحتار الزَّهيدَ عَلَى الْفَنَى وَأَجْزَأُ بِالْمَالِ الْقَرَّاحَ مِنَ الْمَحْضَرِ
وَأَدْرِجُ الْإِمْلَاقَ صَبْرًا وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْفَنَى كَيْ لَا أَهِنَ لَهُ عِرْضِي

وقال أبو محمد الزَّيْدِيُّ فِي الْمَأْمُونِ :

أَبْقَى لَنَا اللَّهُ الْإِمَامَ وَزَادَهُ تَرَفًّا إِلَى الشَّرَفِ الَّذِي أُعْطَاهُ
وَاللَّهُ أَكْرَمُنَا بِأَمَّا مَعَشَرِ عُتْقَاءَ مَنْ رَتَمَ الْعِبَادَ سِوَاهُ

وقال آخر :

كَيْفَ النُّهوضُ بَعْدَ أَوَّلَيْتَ مِنْ حَسَنِ أَمْ كَيْفَ أَشْكُرُ مَا طَوَّقَتْ مِنْ رَتَمِ !

(١) د : د وزنته . (٢) الخدم : الخاطم .

ملكتني ماء وجهه كاد يسكبهُ دلّ السؤال ولم تنجع به همي
وقال آخر :

لا تحرصن على الحطام فإنما يأتيك رفقك حين يؤذن فيه
سقى القضاة قدره وزمانه ومات به يأتيك أو يأتيه
وكل يقال : ما استغنى أحد بالله إلا احتر الناس إليه .

وقال رجل في مجلس فيه قوم من أهل العلم : لا أدري ما يحمل من يؤمن بالقدر على
الحرص على طلب الرزق ! فقال له أحد الحاضرين : يحمله القدر ، فسكت .
أقول : لو كنت حاضرا لقلت : لو حمله القدر لما ساء المقلد عن الحرص ، ولما مدحوه
على المعة والقناعة فإن عاد وقال : وأوثقت الحائم القدر إلى المدح والدم والأمر والنهي ؛
فقد جعل نفسه وعبره من الناس ؛ بل من جميع الحيوانات بمنزلة الجحادات التي يحرّكها
غيرها ومن بلغ إلى هذا الحد لا يسكّم

وقال الشاعر :

أراك تريدك الأيام جرحاً على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها فنت حسبي قد رضيت لها

أبو الساهية :

أى عيش يكون أطيب من عي يش كعاب قوت بقدر البلاغ^(١)
قرنتني الأيام عقلي ومالي وشدي وصحتي وفراغي^(٢)
وأوصي بعض الأدباء ابنه فكتب إليه :

(١) ديوانه ١٦٤ ، والأغاني ٤ : ٤٠ والبلاغ : الكفاية .

(٢) الديوان والأغاني : « غبتي الأيام » .

كُنْ حَسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّ خَلَقَتْ بِي وَاحْسَدُهُ عَلَى مَا رَزَقَكَ
وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَرَصَ يَطْفَى رَوْحَكَ فَحَانَبَ الْحَرَصَ وَحَسَنَ خَلْقَكَ
وَاصْدُقْ وَصَادِقُ أَبَدًا مَنْ صَدَقْتَ دَارِ مُعَادِيكَ وَمُنَى مِنْ وَمَقَكَ
وَاحْمِلْ لِأَعْدَائِكَ حَزْمًا مَلَقْتَ وَحَبِّتْ حَشَوَ الْكَلَامِ مَنْطِقَكَ
هَذِي وَصَاةَ وَالِدٍ قَدْ عَشَقَكَ وَصَاةَ مَنْ يَقْلِقُهُ مَا أَقْلَقَكَ
• أُرْشِدُكَ اللَّهُ لَهَا وَوَهَّكَ •

أبو النباهية :

أَحْلُ النِّفَى مِمَّا يُوْمَلُ أَسْرَعُ وَأَدَاكَ تَجَمُّعُ دَائِمًا لَا تَشِبُّ^(١)
قُلْ لِي لِمَنْ أَصْبَحْتَ تَجَمُّعُ دَائِمًا^(٢) أَلَيْسَلْ عَرَسِيكَ لَا أَبَاكَ تَجَمُّعُ !

وأوصى رباب الله عبيد الله عند موته ، فقال : لا تدنسن عروصك ، ولا تندلن وجهك ،
ولا تخلفن جدتك بالطلب إلى مَنْ إلى يدك يكن رده عليك عيبا ، وإن مضى حاجتك
حملها عليك مبرا ، واحتيل الفقر بالتزويج مما في أيدي الناس^(٣) ، والزم الصاعقة بما قسم لك ،
فإن سوء عمل الفقير يصع الشريف ، ويحمل الذُّكْرُ ، ويوجب الحرمان .

• • •

الأصل :

وَتَلَاْفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَبْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ ،
وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي بَدَنِ
فَقِيرِكَ ، وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ ، خَيْرٌ مِنَ الطَّسْبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْجِرْفَةُ مَعَ الْيَمَةِ خَيْرٌ مِنَ
الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِرَبِّهِ ، وَرُبُّ سَاعِرٍ فِيمَا يَضُرُّهُ !

(١) ديوانه ١٤٤ . (٢) الديوان : « تجمُّع ما » .

(٣) « د » « مما في أيدي غيبك » .

مَنْ أَكْثَرَ أَفْجَرَ ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ .

قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ ، وَبَارِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَكُنْ عَنْهُمْ .

يُشْسَ الْعَطَامُ الْحَرَامُ ! وَطَلُمُ الضَّعِيفِ الْفَحْشُ الْعُلَمُ !

إِذَا كَانَ الرَّمَقُ خُرْقًا ، كَانَ الْحُرْقُ رِقًّا .

رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاهُ دَاهٍ ، وَالدَّاهُ دَوَاهٍ . وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ ،

وَعَشَى الْمُسْتَنْصَحُ .

وَأَيُّكَ وَالْإِتِّكَالَ عَلَى الْمَتَى فَإِنَّهَا بَصَائِعُ النَّوْكَى . وَالْمَقْلُ حِطُّ التَّجَارِبِ ،

وَالْخَيْرُ مَا حَرَّبَتْ مَا وَقَعَتْكَ . بَادِرِ الْفُرْصَةَ ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ

يُمِيبُ ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَثُوبُ ، وَمِنْ الْقَمَادِ بِسَاعَةِ الزَّادِ ، وَمَقْسَدَةُ الْمَادِ . وَلِكُلِّ

أَمْرٍ عَاقِبَةٌ ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ .

التَّاجِرُ مُحَاطِرٌ ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أُنْمَى مِنْ كَثِيرٍ !



الشرح:

هذا الكلام قد اشتمل على أمثال كثيرة حكيمة .

أولها قوله : « تَلَا فَيَك مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنَطَقِكَ » ،

وهذا مثل قولهم : أنت قادر على أن تحمل صمتك كلاماً ، ولست بقادر على أن تحمل كلامك

صمتاً ؛ وهذا حق ؛ لأن الكلام يُسْمَعُ ويبقى ؛ فلا يستطيع إعادته صمتاً ، والصمت عدم

الكلام ، فالقادر على الكلام قادر على أن يبدله بالكلام ، وليس الصمت بمنقول

ولا مسموع فيُتَعَذَّرُ استدراكه .

وثانيها قوله : « حفظ ماى يَدَيْكَ أَحَبَّ لِيَّ مِنْ طَلَبِ مَاى أَيْدَى عِيْرِكَ » ، هذا مثل قولهم فى المثل : البخل خير من سؤر لبحيل ، وليس مراد أمير المؤمنين عليه السلام وصايته بالإمساك والبخل ، بل نهيه عن تنفريط والتبذير ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ ^(١) ؛ وأحق أساس مَنْ أصاح ماله اتكالا على مال الناس ، وغلاماً أنه يقدر على الاستخلاف ، قال الشاعر :

إِذَا حَدَّثْتُكَ النَّسْأُ أَتَكَ قَادِرٌ عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدَى الرَّحَالِ فَكَذِّبِ

وثالثها قوله : « مرادة اليأس حير من الطلب إلى التلس » ، من هذا أخذ الشاعر قوله :

وَأِنْ كَانَ طَعْمُ الْيَاسِ مُرًّا فَإِنَّهُ أَلَذُّ وَأَخْلَى مِنْ سُؤَالِ الْأَرَادِلِ

وقال البحتري :

وَالْيَاسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى نَعْمًا كَقُلُوبِ الْحَائِطِ الْمُرُورِ ^(٢)

ورابعها قوله : « الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور » ، والحرفة بالكسر مثل الحرف بالضم ، وهو نقصان الحظ وعدم الدن . ومنه قوله « رجل محارف » ، بفتح الراء ، يقول : لأن يكون المرء هكذا وهو عفيف المَرْج واليد ، خير من الغنى مع الفجور ؟ وذلك لأن ألم الحرفة مع العفة ومشقتها إنما هى فى أيام قليلة وهى أيام العمر ، ولذّة الغنى إذا كان مع الفجور ، ففى مثل تلك الأيام يكون ؛ ولكن يستمتع عذاباً طويلاً ، فالحال الأولى خيرٌ لا محالة . وأيضاً فى الدنيا خبر أيضاً للذكر الجليل فيها ، والذكر القبيح فى الثانية ، وللمحافظة على المروءة فى الأولى وسقوط المروءة فى الثانية .

وخامسها قوله : « المرء أحفظ لسرّه » أى الأولى ألا تنوح بسرّك إلى أحد ، فأنت
أحفظ له من غيرك ؛ فإن أدعته فانتشر فلا تنم إلا نفسك ، لأنك كنت عاجزا عن حفظ
سرّ نفسك ، فغيرك عن حفظ سرّك وهو أحنبى لأعجب ، قال الشاعر :

إذا صاقَ صدرُ المرءِ عن حفظِ سرِّه فصدّرُ الذى يُستودعُ السرَّ أضيقُ

وسادسها قوله : « ربّ ساع فيها بصرّه » ، قال عبد الحميد الكاتب فى كتابه إلى أبى
مسلم : لو أراد الله بالتملة صلاحًا ، لما أنت لها حاسا .
وسامسها قوله : « من أكثر أهره » يقول : أهر الرجل ؛ إذا أخصى فى المطلق السوء
والخنا ، قال الشماخ :

كأحمدِ الأعراقِ قال ابنُ صرّةٍ عليها كلاما طريفاً وأهجرًا^(١)

وهذا مثل قولهم : من أكثر كلامه كثر سقطه . وقالوا أيضا : قلنا سليم مكثار ، أو
أمن من مثار .

وثامسها قوله : « من تفكر أبصر » ؛ قالت الحكماء : الفكر تحديق العقل نحو
المعقول ، كما أن النظر البصرى تحديق البصر نحو المحسوس ، وكما أن من حدّق نحو البصر
وحدقته صحيحة والواسع صرّعة لا بدّ أن يبصره ؛ كذلك من نظر بيمين عقله ، وأفكر
فكرا صحيحا ، لا بدّ أن يدرك الأمر الذى فكر فيه وببالة .

وثاسعها قوله : « قارن أهل الخير تكن معهم ، وبإين أهل الشرّ تن عنهم » ، كان
يقال : حاجبك وحهمك ، وكانتك لسانك ، وحليستك كلّك . وقال الشاعر :

عن المرء لا تسألْ وسلْ عن قريبه فكلّ قرينٍ بالبقارِ مُقتَدِرٍ

(١) ديوانه ٢٨ ، وروايته : « محدّد الأعرف . وإن صرّتها : ابن زوجها .

وعاشرها قوله : « بثس الطعام الحرام » ، هذا من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ سَعِيرًا ۝ ﴾^(١) .

وحادي عشرها قوله : « ظلم الضعيف ألحش الظلم » . رأى معاوية ابنه يزيد يضرب علامة ، فقال : يا بني ، كيف لا يسع حصك من تضربه فلا يتمتع منك ! وأمر المؤمن بإشخاص الخطأ بي القاص^(٢) من البصرة ، فمما مثل بين يديه ، قال له : يا سليمان ، أت القائل : المراق عين الدنيا ، والبصرة عين المراق ، والمريد عين البصرة ، ومسجدي عين المرید ، وأنا عين مسجدي ، وأنت أعور ، فبن عين الدنيا عوراء ! قال : يا أمير المؤمنين ، لم أفل داك ، ولا أظن أمير المؤمنين أحضرني لذلك ، قال : يلغني أنك أسحت فوحدت على سارية من سوارى مسجديك :

رحم الله محمدًا • أيام كان تقيًا

فأمرت بمحوه ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، كان « ولقد كل نبيا » فأمرت بإزالته ، فقال : كذبت كات القاف أصح من عينك الصحيحة ، ثم قال : والله لولا أن أقيم لك عبد العامة سوقاً لأحسنت تأديبك ، قال : يا أمير المؤمنين ، قد ترى ما أنا عليه من الضعف والزمانة والهرم وقلة البصر ؛ فإني عاقبتني مصوماً ذكر قول ابن عمك علي عليه السلام : « ظلم الضعيف ألحش الظلم » ، وإن عاقبتني بحق ، « ذكر أيضا قوله : « لكل شيء رأس ، والحلم رأس السؤدد » . فنهض المؤمن من مجلسه وأمر برده إلى البصرة ، ولم يصله شيء ، ولم يحضر أحد قط مجلس المؤمن إلا وسنه عدا الخطائي ؛ وليس هذا هو المحدث الحافظ المشهور ؛ داك أبو سليمان أحمد بن محمد بن أحمد السقي ، كان في أيام الطيع والطائع ، وهذا قاص بالبصرة كان يقال له أبو ذكريا سليمان بن محمد البصري .

وثاني عشرها قوله : « إذا كان الرق حرقا ، كان الحرق رفقا » ، يقول : إذا كان استعمال

الرفق مفسدة وزيادة في الشر فلا تستعمله ؟ فإنه حينئذ ليس برفق بل هو خرق ، ولكن
استعمل الخرق ؛ فإنه يكون رفقا والحالة هذه ، لأن الشر لا يلقى إلا بشر مثله ، قال عمرو
ابن كثوم :

أَلَا لَا تَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَعَجَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(١)
وفي المثل : إن الحديد بالحديد يُملح .
وقال زهير :

وَمَنْ لَا يَدُّ عَنْ حَوْصِهِ سِلَاحَهُ يُهْدِمُ وَمَنْ لَا يُطِمْ النَّاسَ يُطِمْ^(٢)
وقال أبو الطيب :

وَوَصَّ النَّدَى فِي مَوْصِعِ السَّيْفِ مَالَمًا مُضِرًّا كَوْصِعِ السَّيْفِ فِي مَوْصِعِ النَّدَى^(٣)
وثالث عشرها قوله : « ورعنا كان بطواد داء ، والداء دواء » ؛ هذا مثل قول
أبي الطيب :

• رَمَّا صَحَّتِ الْأَجْسامُ بِالْعِلَلِ^(٤) •

ومثله قول أبي نواس :

• وَدَاوَنِي بِالنَّحْيِ كَأَنَّهُ الدَّاءُ^(٥) •

ومثل قول الشاعر :

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ دَوَاءً وَلَكِنْ كَانَ سُقْمًا عَالِفًا
ورابع عشرها قوله : « رعنا نصح غير انصح ، وعش المستصح » . كان المفردة بن
شعبة ينفخ عليا عليه السلام منذ أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتأكدت

(١) من المعلقة — بفتح التبري ٢٣٨ ، (٢) ديوانه ٣٠ .

(٣) ديوانه ١ : ٢٨٨ ، (٤) ديوانه ٣ : ٨٦ ، وصدره :

• كَلَّمْتُ عَتَبَكَ نَحْمُودُ عَوَاقِبُهُ •

(٥) ديوانه ٢٣٤ ، وصدره :

• دَعُ عَمَكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ كَرَاهٍ •

يُنْفِضْتَهُ إِلَى أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَانٍ وَعُمَرَ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ يَوْمَ بُيُوعِ بِالْخِلاَفَةِ أَنْ يَتَرَ مَعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ مَدَّةَ يَسِيرَةٍ ، فَإِذَا حُطِبَ لَهُ بِالشَّامِ وَتَوَصَّاتِ دَعْوَتِهِ دَعَاهُ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ عُمَرُ وَعُمَانُ يَدْعُوَانِهِ إِلَيْهِمَا ، وَصَرَفَهُ فَلَمْ يَقْبَلْ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ نَصِيحَةً مِنْ عَدُوِّ كَاشِحٍ .

وَاسْتَشَارَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَدَاةَ اللَّهِ مِنَ الزَّيْرِ وَهِيَ عَمَكَةٌ فِي الْخُرُوجِ عَنْهَا ، وَقَصَّدَ الْعِرَاقَ ظَانًّا أَنَّهُ يَنْصَحُهُ فَعَثَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لَا تَقُمْ عَمَكَةً ، فَلَيْسَ بِهَا مَنْ يَبَايَعُكَ ؛ وَلَكِنْ دُونَكَ الْعِرَاقَ ، فَإِنَّهُمْ مَتَى رَأَوْكَ لَمْ يَمْدُؤُوا بِكَ أَحَدًا ، فَخَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ ؛ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ .

وْخَامِسَ عَشْرَهَا قَوْلُهُ : « إِيَّاكَ وَالْإِنْتِكَالَ عَلَى الْمُنَى ، فَإِنَّهَا بَصَائِعُ النَّوْكَى » ، جَمْعُ أَنْوَكٍ وَهُوَ الْأَحَقُّ ، مِنْ هَذَا أَخَذَ أَبُو تَمَامٍ قَوْلُهُ :

مَنْ كَانَ مَرَّعَى عَزِيمِهِ وَهَمُومِهِ رَوْضُ الْأَمَانِ لَمْ يَرْلِ مَهْرُولًا^(١)

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : ثَلَاثَةُ تَخْلِيقِ الْعَقْلِ ، وَهُوَ أَوْصَحُ دَلِيلٌ عَلَى الصَّغْفِ : طَوْلُ التَّمْثِي ، وَسُرْعَةُ الْجَوَابِ ، وَالِاسْتِعْرَابُ^(٢) وَ الْمَصْحُوحُ . وَكَانَ يُقَالُ : التَّمْثِي وَالْحَلْمُ سَيَّانٌ . وَقَالَ آخَرُ : شَرَفَ الْفَتَى تَرَكَ الْمُنَى .

وَسَادِسَ عَشْرَهَا قَوْلُهُ : « اعْقِلْ حِفْظَ التَّحَارِبِ » مِنْ هَذَا أَخَذَ الْمُتَكَلِّمُونَ قَوْلَهُمُ : الْعَقْلُ مَوْحَانٌ : عَرَبِيٌّ ، وَمَكْتَسَبٌ ، « الْعَرَبِيُّ الْعُلُومَ الْبَدِيعِيَّةَ ، وَالْمَكْتَسَبُ مَا أَهْدَتْهُ التَّجَرِبَةُ وَحَفِظْتَهُ الْمَسْ .

وَسَابِعَ عَشْرَهَا قَوْلُهُ : « حَيْرَ مَا حَرَّبْتَ مَا وَعَظْتَ » ، مِثْلُ هَذَا قَوْلُ أَفْلَاطُونٍ : إِذَا لَمْ تَعْظُوكَ التَّجَرِبَةُ فَلَمْ تَجَرِّبْ ، بَلْ أَنْتَ سَادِحٌ كَمَا كُنْتَ .

وْثَامَنَ عَشْرَهَا قَوْلُهُ : : بِإِدْرِ الْفُرْصَةِ ، فَبَرَّ أَنْ تَكُونَ عُصَّةً ، حَصْرُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عِنْدَ هَانِيٍّ بْنِ عُرْوَةَ عَائِدًا ، وَقَدْ كُنَّ لَهُ مَسْلَمٌ بْنُ عَقِيلٍ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَقْتُلَهُ إِذَا جَلَسَ

واستقر ، فلما جلس حمل مسلم يؤامر نفسه ويريد لها على الثوب به فلم تطعه ، وجعل هائياً
ينشد كأنه يترجم بالشعر :

• ما ألتظار بلى لا تحبها •

وبكر ذلك ، فأوجس عبيد الله حيفة ومهض ، فماد إلى قصر الإمارة ، وهت مسلماً
منه ما كان يؤمله بإضاعة الفرصة ، حتى صار أمره إلى ما صار .
وتاسع عشرها قوله : « ليس كل طالب يصيب ، ولا كل عائب يشوب » ، الأولى
كقول القائل :

ما كل وقت ينال المرء ما طلباً ولا يسوغه القدر ما وهباً

والثانية كقول عبيد :

وكل ذي عيبة يشوب وعائب الموت لا يشوب^(١)

العشرون قوله : « من الفساد ، إضاعة المراد ، ومنسدة المعاد » ، ولا ريب أن من كان
في سفر وأصاع راده ، وأفقد الخيال التي يعود إليها فإنه أحق ، وهذا مثل ضربه للإنسان في
حالي دنياه وآخرته .

الحادي والعشرون قوله : « ولكل أمر عاقبة » هذا مثل المثل المشهور « لكل سائل قرار » .
الثاني والعشرون قوله : « سوف يأتيك ما قدر لك » ، هذا من قول رسول الله صلى
الله عليه وآله : « وإن يقدّر لأحدكم رزق في قفة جبل أو حصيض بقالع^(٢) يأتيه » .

الثالث والعشرون قوله : « الناحر محطر » هذا حق ، لأنه يتمجّل بإحراج الثمن ولا
يعلم : هل يعود أم لا ! وهذا الكلام ليس على ظاهره ، بل له باطن ، وهو أن من مزج
الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة ، مثل قوله : « خَطُّوا مَمَلَّاتٍ لِحَاً وَآخِرَ سَبَّأً »^(٣)

(٢) ب : « بقاء » تصحف ، صوابه من أ .

(١) ديوان ١٣ .

(٣) سورة التوبة ١٠٢ .

فإنه مخاطر لآفته لا يأمن أن يكون بعض تلك السيئات تحبط أعماله الصالحة ، كما لا يأمن أن يكون بعض أعماله الصالحة يكفر تلك السيئات ، والمراد أنه لا يجوز للكف أن يفعل إلا الطاعة أو المباح .

الرابع والعشرون قوله : « رمت يسر ، أئمتي من كثير » ، قد جاء في الأثر : قد يجعل الله من القليل الكثير ، ويحمل من الكثير بركة . وقال الفردق :

فإن نبياً قبل أن يبدد الحصة أقام رماناً وهو في الناس واحد

وقال أبو عثمان الجاحظ : رأيت بالبصرة أخوين ، كان أبوهما يحمي أحدهما ويغض الآخر ، فأعطى محبوبه يوم موته كل ماله - وكان أكثر من مائتي ألف درهم - ولم يعط الآخر شيئاً ، وكان يتجرف في الزيت ، ويكتسب منه ما يصرفه في ثقافة عياله ، ثم رأينا أولاد الأخ الموسر بسدد موت الأحقر من عائلة ولد الأخ المسر يتصدقون عليهم من فواصل أرزاقهم .

الأصل :

لَا خَيْرَ فِي مُبِينٍ مُهَيِّئٍ ، وَلَا فِي سَدِيقٍ طَبِيبٍ .
سَاهِلُ الدَّهْرِ مَا ذَلَّ لَكَ مَوْدُهُ ، وَلَا نُحَاطِرُ شَيْءٍ رَحَاءُ أَكْثَرِ مِنْهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ
تَجْمَعَ بَيْنَ مَطِيئَةِ اللِّجَاجِ .

احمل نفسك من أخيك عند صريره على الصلوة ، وعند صدوره على اللطف والمقاربة ؛
وعند مجوده على السدول ، وعند تاعده على الدُّو ، وعند شدته على اللين ، وعند
جرمه على المذير ، حتى كأنك له عند ، وكأنه ذو نعمة عليك .

وَلِيَّاكَ أَنْ تَصَحَّ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَ بِغَيْرِ أَهْلِهِ .

لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ ، وَانْحَصْ أَهْلَكَ النَّصِيحَةَ ؛
حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً ، وَتَحَرَّعِ النَّبِيْطَ فَإِنَّ لَمْ أَرْ حُرْمَةً أَهْلِي مِنْهَا عَاقِبَةً ؛
وَلَا أَلَدَّ مَعْبَةً . وَلَنْ لِمَنْ عَالَمَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِيَنَّ لَكَ ، وَحُذْ عَلَى عَدُوِّكَ
بِالْفَصْلِ فَإِنَّهُ أَحَدُ الظُّلَمَرَيْنِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَحَبِّكَ فَاسْتَنْقِرْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً
يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا . وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ ، وَلَا نُصِيحِينَ
حَقَّ أَحَبِّكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَحَدٍ مَنْ أَصَحَّتْ حَقُّهُ .
وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ . وَلَا تَرْتَعْزِ فِيمَنْ رَحِمَكَ عَنْكَ ، وَلَا يَكُونَنَّ
أَحْوَاكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى سِلَّتِهِ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَقْوَى مِنْكَ
عَلَى الْإِحْسَانِ . وَلَا يَكْتَبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ حَكَمَكَ ، فَإِنَّهُ يَسْتَمِي فِي مَصْرُوعِهِ وَتَقَعُكَ ،
وَلَيْسَ جِرَاهُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ ؛

الْبَرْجُ :

هذا الفصل قد اشتمل على كثير من الأمثال الحكيمة .

فأولها قوله : « لا خير في معين مبین ، ولا في صديق ظنين » ، مثل الكلمة الأولى

قولهم :

إِذَا تَكْفَيْتَ بَغِيرَ كَافٍ وَحَدَّثَهُ لِلْهَمِّ عَيْرَ شَافٍ

ومن الكلمة الثانية أخذ الشاعر قوله :

فَيْنَ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ شَحَطَ النَّوَى بِهِ وَهُوَ رَاعٍ لِلْوَسَالِ أَمِينُ

ومهم صديق العين أما لقاؤه فحُلُوْهُ وَأَمَّا عَيْهُ فَظُنِينُ

وثانيها قوله : « ساهل الدهر ما دلّ لك قموده » ؛ هذا استعارة ، والقمود البكر حين يمكن ظهره من الركوب إلى أن يثني ، ومثل هذا المعنى قولهم في المثل : مَنْ ناطح الدهر أصبح أجمل .

ومثله :

• ودُرّ مع الدهر كيما دلرا •

ومثله :

وَمَنْ قَامَرِ الْأَبْنَامِ عَنْ ثَمَرَانِهَا فَأَخْرَجَهَا أَنْ تَنْحَلِي وَلَهَا الْقَمَرُ^(١)

ومثله :

إذا الدهر أعطاك العيان ميريه رويداً ولا تصبُ فيصبح شامساً
وثالثها قوله : « لا يحاطر شيء رجاء أكثر منه » ، هذا مثل قولهم : مَنْ طلب الفضل ، حُرِمَ الأصل .

ورابعها قوله : « إياك وأن تصحّ بك عطية اللّحاج » ، هذا استعارة ، وفي المثل : ألجّ من خنفساء ، وألجّ من رؤسور . وكلّ يقال : اللّحاج من القنعة ، والقنعة من قلّة الحياء ، وقلّة الحياء من قلّة المروءة ، وفي المثل : يحّ صاحبك فحجّ .

وخمسها قوله : « اجعل نفسك من أحيك » ، إلى قوله : « أو تفعله بنسب أهله » اللّطف ، بفتح اللام والطاء ، الاسم من أنطمه بكذا أي برّه به ، وجاءتنا لطفة من فلان أي هدية ، والملاطفة المارة . وروى « عن اللّطف » وهو الرفق للأمر ؛ والمعنى أنه أوصاه إذا قطعه أخوه أن يوصله ، وإذا جاءه أن يبرّه ، وإذا محل عليه أن يحود عليه ، إلى آخر الوصاة .

ثم قاله : « لا تفعل ذلك مع غير أهله » ، قال الشاعر :

(١) القمر : القلة في الغمار .

وَأَنْ أَلْذِي بِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَإِنْ هَدَمُوا بَيْتِي لَمْ يَحْدَا^(١)
فَإِنْ أَكَلُوا لَحْيِي وَفَرَّتْ لِحُومُهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا بَيْتِي لَمْ يَحْدَا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بَنَحْصَرٍ تَحْتِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَحْتِي بِهِمْ سَعْدًا
وَلَا أَحْمِلُ الْخَطِيئَةَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَيْبُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْخَطِيئَةَ
وقال الشاعر :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ مَتَى كَلْشَعًا لَمَقَافُ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَائِهِ^(٢)
وَمَعِيدُهُ نَصْرِي وَإِنْ كَانَ امْرَأًا مَرَحْزَحًا فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
وَأَكُونُ وَالِيَّ سِرِّهِ وَأَصُوبُهُ حَتَّى يَحْقُقَ عَلَى وَقْتِ أَدَائِهِ
وَإِذَا الْخَوَاطِثُ أَجْجَعَتْ بِسَوَالِهِ قَرَنْتُ صَحِيفَتَنَا إِلَى جَرْنَائِهِ
وَإِذَا دُعِيَ بِاسْمِي لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا صَغِيرًا قَصِدْتُ لَهُ عَلَى سَيْبَائِهِ^(٣)
وَإِذَا أُجِنَّ قَدِيقَةٌ فِي حَذَائِهِ لَمْ أَطْلَعْ مِمَّا وَرَاءَ خِيَائِهِ^(٤)
وَإِذَا ارْتَدَى ثَوْبًا جِيلًا أَقْلُ يَأْتِيَانِ بِمَعْلَى فَضْلٍ وَدَائِهِ

وسادسها قوله : « لَا تَحْدُنْ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَمَا دَى صَدِيقِكَ » ، قد قال الناس

في هذا المعنى فأكثر ، قال بعضهم :

إِذَا صَاحَ صَدِيقُكَ مَنْ تَصَادَى فَقَدْ عَادَاكَ وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ
وقال آخر :

صَدِيقُ صَدِيقِي دَاخِلٌ فِي صَدَاقَتِي وَخَصْمُ صَدِيقِي لَيْسَ لِي بِصَدِيقٍ
وقال آخر :

تَوَدَّ عَدُوِّي ثُمَّ تَرَعَمَ أَسْنِي صَدِيقُكَ إِنْ رَأَى عَنْكَ لَمَارِبُ

(١) للمعنى الكندي ، ديوان الحماسة - يصرح لمرزوقي ١١٧٩ : ٣ .

(٢) لعروبة المديني ، الأغاني ٢٠ - ١٦٨ ، وسدقات الرمدى ٥٧ .

(٣) السيباء في الأسس : منظم فطاح الطهر .

(٤) القديقة : القليل : من الشعر . والعمر : السر .

وسابها قوله : « وامنض أهلك الصبيحة ، حسنة كانت أو قبيحة » ؛ ليس يعنى عليه السلام قبيحة هاهنا الصبيح الذى يستحق به الدم والعقاب ؛ وإنما يريد نامة له فى العاجل كانت أو ضارة له فى الآجل ، فمبّر عن السمع والصرر بالحسن والتبجح ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصْنِهِمْ سَيَيْئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْطَعُونَ ﴾ (١) .

وقد ستره قوم فقالوا : أراد : كانت نامة لك أو ضارة لك . ويحتمل تفسير آخر وهو وصيته إياه أن يحض أحام الصبيحة سواء كانت مما لا يستحيا من ذكرها وشياعها ، أو كانت مما يستحيا من ذكرها واستغاصتها بين الناس ، كمن ينصح صديقه فى أهله ويشير عليه بمراقبهم لمجور أطلع عليه منهم ؛ فإن الدس بسمون مثل هذا إذا شاع قبيحا .

وثامها قوله : « تخرّج العيط فإن لم أر حرعة أحلى منها عاقبة ولا ألد مغبة » هذا مثل قولهم : الحلم مرارة ساعة ، وحلاوة الدهر كله . وكان يقال : التدبّل للناس مصايد الشرف .

قال المردى " الكامل " : أو من على بن الحسين أبه محمد بن على عليهم السلام ، فقال : يا بنى ، عليك بتخرّج العيط من الرّحال ، فإن أملك لا يسره بصيبه من تخرّج العيط من الرّحال همرّ ألمم ؛ والحلم أعزّ ماصراً ، وأكثر عدداً (٢) .

وتاسمها قوله : « لئن لم تعطك ، وبته يوشك أن يلين لك » ، هذا مثل الشل المشهور : « إذا عرّ أخوك فهنّ » ، والأصل فى هذا قوله تعالى : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَأِدَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَثَّةٌ وَتِي حَمِيمٌ ﴾ (٣) .

وعاشرها قوله : « حد على عدوك بالعسل فإنه أحد الطمّرين » هذا معنى ملبس ، ومنه قول ابن هانئ فى المزمع (٤) :

(٢) الكامل .

(١) سورة الروم ٣٦ .

(٤) ب : « للتر » ، تصحف ، صوابه ل : ا .

(٣) سورة فصلت ٣٤ .

فَرَّابُ هَامِ الرُّومِ مَنْتَقَاً وَفِي أَعْنَاقِهِمْ مِنْ جُودِهِ أَعْيَاهُ
لَوْلَا انْبِعَاطُ السِّيفِ وَهُوَ مَسَاطُ فِي قَتْلِهِمْ قَتَلَتْهُمْ الْمَعَاءُ
وَكُنْتُ كَاتِبًا بِدِيَوَانِ الْخِلَافَةِ ، وَالْوَزِيرُ حَيْثُ نَصِيرُ الدِّينِ أَبُو الْأَرْهَرِ أَحْمَدُ بْنُ النَّاقِدِ
رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَوَصَلَ إِلَى حَصْرَةِ الدِّيَوَانِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ
الْحَرِيرِينَ عَلَى الْبَرِّ ، ثُمَّ وَصَلَ بَعْدَهُ الْهَرَمِزِيُّ صَاحِبُ هَرَمِزٍ فِي دُخُلِهِ بِالرَّاكِبِ الْبَحْرِيَّةِ -
وَهَرَمِزُ هَذِهِ فُرْشَةٌ فِي الْبَحْرِ نَحْوُ ثَمَانٍ - وَلَمَتَلَأَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَرَبِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِ
الْهَرَمِزِيِّ - وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامًا عَرَاءَ زَاهِرَةٍ لِمَا أَهْضَ الْمُسْتَفْعِرُ عَلَى النَّاسِ مِنْ عَطَايَاهُ ،
وَالْوَفُودُ تَرْدَحِمُ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَلَى أَبْوَابِ دِيْوَانِهِ - فَكُنْتُ يَوْمَ دُخُولِ الْهَرَمِزِيِّ إِلَى
الْوَزِيرِ أَيْبَا تَا سَحَتْ عَلَى الدِّيْبَةِ ، وَأَنَا مُتَشَاغِرٌ بِمَا كُنْتُ فِيهِ مِنْ مَهَامِ الْخِدْمَةِ ، وَكَانَ رَحِمَهُ
اللَّهُ لَا يَزَالُ يَذْكُرُهَا وَيَنْشُدُهَا وَيَسْتَحْسِنُهَا

يَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنْتَ الَّذِي حَقَّقْتَ بِدَاءَ بَأْتَسِ الْأَعْلَاقِ
مَا أَصَلَتْ بِمَدَادُ قَلَمِكَ أَنْ تَرَى أَبْدَأَ مَلُوكِ الْبَحْرِ فِي الْأَسْوَاقِ
وَلَهْوًا عَلَيْهَا عَيْرَةً وَتَدَامِسُوا شَمْعًا بِهَا كَتَنَاقُصِ الْعِشَاقِ
وَعَدَتْ صِلَاتُكَ فِي رِقَابِ مَرَاتِمِهِمْ وَبَدَاكَ كَالْأَطْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ
بَسْدِيدِ رَأْيِكَ أَصْلَحَتْ سَمْعَانَهُمْ وَتَأَلَّفُوا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ شِقَاقِ
لِلَّهِ هَمَّةٌ مَاجِدٌ لَمْ تَعْتَبِقْ بِسَحِيلِ آرَادٍ وَلَا أَحْذَاقِ^(٢)
جَلَبَ السَّلَاحِيبَ مِنْ أَرَاثٍ وَبَسَدَهَا حَلَبَ الرَّاكِبَ مِنْ حَزِيرَةٍ وَاقِ
هَذَا الْعَدَاءُ هُوَ الْمَدَاءُ فَدَّ عَنْ قَوْلِ ابْنِ حُجْرٍ فِي الْأَيِّ وَعِنَاقِ
وَأَطْلُهُ وَالطَّنُّ عِلْمٌ أَنَّهُ سَيَجِيئُنَا بِمَمَالِكِ الْآفَاقِ
بِمَا أُسِيرُ صَبِيحَةٍ فِي رَجِيدِهِ بِالْجُودِ غُلٌّ أَوْ أُسِيرٌ وَثَاقِ

(١) ديوانه • (الطبعة الأميرية) (١٢٧٤) .

(٢) السَّحِيلُ وَالْأَحْذَاقُ : الْحَالُ الضَّعِيفُ .

لا زال في ظلّ الخليفة ماله فني وسودده المظّم باقر

وحادي عشرها قوله : « إن أردت قطعة أحيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا ذلك له يوما » ، هذا مثل قولهم : « أحب حبيبك هوأ ما ، عسى أن يكون بفيضك يوما ما ، وأنقص بفيضك هوأ ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما » ، وما كان يقال : إذا هويت فلا تكن عاليا ، وإذا تركت فلا تكن قاليا .

وثاني عشرها قوله : « من ظنّ حبرا فصدق حقه » كثير من أرباب العلم يفعلون هذا ، يقال لمن قد شدا طرفاً من العلم : هذا عالم ، هذا فاضل ، فيدعوه ما ظنّ فيه من ذلك إلى تحقيقه ، فيواظب على الاشتغال بالعلم حتى يصير عالماً ، أصلاً حقيقة ، وكذلك يقول الناس : هذا كثير العبادة ، هذا كثير الزهد ، لمن قد شرع في شيء من ذلك ، فتحمله أقوال الناس على الالتزام بالزهد والعبادة .

وثالث عشرها قوله : « ولا نضيم حق أخيك أنك لا على ما بينك وبينه ، فإنه ليس لك بأح من أصمت حقه » ، من هذا اسحو قول الشاعر :

إذا ختمت بالغيّب عهدي فما لكم تُدِلّون إِدلالَ المقيم على العهد
صَلُّوا وافعلوا فُلَّ المِدَلِّ بوجهِه وإلّا مُصَدِّوا وافعلوا فُلَّ دِي الصِّدِّ

وكان يقال : إضاعة الحقوق ، داعية العقوق .

ورابع عشرها قوله : « لا ترعنّ فيمن رهد عليك » الرغبة في الزاهد هي الداء الميأء ، قال العباس بن الأحنف :

ما زِلْتُ أرْهَدُ في مودّة راعٍ حتى أَتَلَيْتُ برعْبِهِ في زاهدٍ
هذا هو الداء الَّذِي ضاعَتْ به حَيْلُ الطَّيِّبِ وطال يَأْسُ العائِدِ

وقد قال الشعراء المتقدمون والمتأخرون فأكثرها ، نحو قولهم :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَمَتْ حَذَاكَ وَأَمِلَّ ۖ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلْبِ مُتَحَوِّلٌ^(١)

وقول قابط شرا^(٢) :

إِنِّي إِذَا حُلَّةٌ صُنْتُ نَائِلَهَا ۖ وَأَمَسْتُ بِضَعِيفِ الْحِلِّ أَخْذَاقِي^(٣)

نَجُوتُ مِنْهَا نَحَائِي مِنْ بَحِيلَةٍ إِذَا ۖ أَتَيْتُ لَيْلَهُ خَبِثَ الرَّهْطُ أُرْوَاقِي^(٤)

وخامس عشرها قوله : لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلتك ، ولا

تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان . هذا أمر له بأن يصل من قطعه ، وأن

يحسن إلى من أساء إليه .

ظهر المؤمن عبد الله بن هارون الرشيد يكتب قد كتبها محمد بن إسماعيل بن جعفر

الصادق عليه السلام إلى أهل الكرخ وغيرهم من أعمال أصفيهان يدعوم فيها إلى نفسه ،

فأحصرها بين يديه ، ودفنها إليه ، وقال له : أعرف هذه ؟ فأطرق خجلاً ، فقال له :

أنت آمن ، وقد وهنت هذا الدرع ليل وفاطمة عليهما السلام ، فقم إلى منزلك ، وتخير

ما شئت من الذنوب ، فأباً تتخير لك مثل ذلك من العو .

وسادس عشرها قوله : « لا يكبرن عبيك ظلم من ظلمك ، فإنه يسعى في مضرتك وطمعك

وليس حزاء من سررك أن تسوء » ، جاء في الخبر المرفوع أنه صلى الله عليه وآله سمع عائشة

تدعو على من سرق عقدا لها ، فقال لها : « لا تمسحى عنه بدعائك ، أى لا تحمقى عذابه » .

وقوله عليه السلام : « وليس حزاء من سررك أن تسوء » ، يقول : لا تقتحم ممن ظلمك فإنه

قد نفعك في الآخرة بطلمه لك ، وليس حزاء من يتبع إساماً أن يسيء إليه . وهذا مقام حليل

(٢) التفصيلات ٨ .

(١) لمن بن أوس ، ديوانه ٥٩ .

(٣) الحلة : الصدقة ، وتقال للصدق ، وتنطق على الذكر والمؤنث والمثنى والجمع ؛ وأنت الضائر من

أجل اللقط . والأخذاق : القطع من الجبال .

(٤) الخبث : اللين من الأرض . الرهط : موسم . ألبت أرواقى : استغرقت جهدي وعدوت عدو أشد بدياً

لا يقدر عليه إلا الأفراد من الأولياء الأبرار . ونقص بعض الجارية على قوم صالحين ،
محسبهم وقيدهم ، فلما طال عليهم الأمر رفر بعضهم رفرة شديدة ، ودعا على ذلك الجبار ،
فقال له بعض أولاده - وكان أفضل أهل زمانه في السادة . وكان مستجاب الدعوة :
لا تدع عليه فتخفف من عذابه ، قالوا : يا فلان ، لا ترى ما ما وبك ! لا يأف ربك لنا !
قال : إن لفلان مهبطاً في النار لم يكن يسمنه إلا بما تزون ، وإن لكم لمصداً في الجنة
لم تكونوا لتسلفوه إلا بما تزون . قالوا : فقد نال منا العذاب والحديد ، فادع الله لنا
أن يخلصنا وينقذنا مما نحن فيه ، قال : إني لأظن أني لو فعلت فعل ، ولكن والله
لا أفعل حتى أموت هكذا ، فأتى الله فأقول له : أي رب سئل فلان لم فعل بي هذا ؟
ومن الناس من يحمل قوله عليه السلام : « وليس حراء من سرك أن سوءه » ، كلمة مجردة
مستقلة بنفسها ، ليست من تمام الكلام الأول ، والصحيح ما ذكرناه .

وسابع عشرها - ومن حقه أن يقدم ذكره قوله : « ولا يكن أهلك أشق الخلق بك » ،
هذا كما يقال في المثل : من شؤم الساحرة أنما أول ما تبدأ بأهلها ، والمراد من هذه الكلمة
النهي عن قطيعة الرحم وإقصاء الأهل وحرمانهم ، وفي الخبر المرفوع : « صلوا أرحامكم
ولو بالسلام » .

الأصل :

وَأَعْلَمَ يَا بَنِيَّ أَنَّ الرَّزْقَ رِزْقٌ : رِزْقٌ تَطْلُسُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُسُكَ ، فَإِنْ أَنتَ
لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ .

مَا أَقْبَحَ الْخُصُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَالْجَمْعَ عِنْدَ الْيَسَى !
إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ، مَا أَسْنَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ حَازِعًا عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ
مِنْ يَدَيْكَ ، فَاجْرِغْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ .

اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَقْدَرِكَ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ ؛ وَلَا تَكُونَنَّ مِنْ
لَا تَنْفَعُهُ السِّعَةُ إِذَا بَالَتْ فِي إِيْلَائِهِ ، فَإِنَّ الْمَاقِلَ يَتَمِطُّ بِالْآدَابِ ، وَالْبَهَائِمَ
لَا تَتَمِطُّ إِلَّا بِالضَّرْبِ .

اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِمَرَاتِمِهِمْ لَصَبْرٍ وَحُسْنِ انْتِبَاحٍ .
مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ حَارًا ، وَأَصَابَ مُنَاسِبًا ، وَالصَّدِيقَ مَنْ صَدَقَ عَيْتُهُ ، وَالْهَوَى
شَرِيكَ النِّمَى ، وَدُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ ، وَقَرِيبُ أَلَمٍ مِنْ بَعِيدٍ ، وَالْغَرِيبُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ .

مَنْ تَمَدَّى الْحَقُّ صَافٍ مَدَّهُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى قَدَرِهِ كَلَنَ أُنْفَى لَهُ ،
وَأَوْثَقُ سَابِ أَحَدُنَا بِهِ سَبٌّ بِسَبِّكَ وَبَيْنَ أَفْرِ سُبْحَانَهُ . وَمَنْ لَمْ يُكَالِكَ
فَهْوٌ عَدُوُّكَ .

قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكَ ، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكَ .
لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَطْهَرُ ، وَلَا كُلُّ مُرْصَةِ تُصَابُ ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ،
وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ .

أَحْرِ التُّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَصَحَّحْتُهُ ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَمْدُلُ سِلَّةَ الْمَاقِلِ .
مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ أَعْطَمَهُ أَهَانَهُ .
لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَحَى أَصَابَ .

إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ ، تَغَيَّرَ الزَّمَانُ .
سَلِّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْحَارِ قَبْلَ الدَّارِ .

البزخ :

في بعض الروايات : « أطرح عنك وإردات المأموم بحسن الصبر وكرم المزاء » ، قد مضى لنا كلام شافٍ في الرزق .

وروى أبو حيان ، قال : رفع الواقدي إلى المأمون رقعة يذكر فيها غلبة الدين عليه ، وكثرة الميال ، وقلة الصبر ، فوقع المأمون عليها : أنت رجل فيك خلطان : السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك ، وأما الحياء فهو الذي يلع بك إلى ما ذكرت ، وقد أمرنا لك بمائة ألف درهم ؛ فإن كما أصاب إرادتك فزدد في بسط يدك ، وإن كنا لم نصب إرادتك فبجبايتك على نفسك ؛ وأنت كنت حدثتني وأنت على قصاء الرشيد عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أسد بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للزبير : « يا زبير ، إن منافع الرزق يازأ العرش » ينزل الله تعالى للعباد أرزاقهم على قدر تقاتهم ؛ فمن كثر كثر له ، ومن قل قل له .

قال الواقدي : وكنت أسبغت هذا الحديث ، وكانت مداكرته إياي به أحب من صلته .



ولعلم أن هذا الفصل يشتمل على نكت كثيرة حكيمة :

منها قوله « الرزق رزقان : رزق تطلعه ، ورزق يطلبك » ، وهذا حق ؛ لأن ذلك إنما يكون على حسب ما يعلمه الله تعالى من مصلحة المكلف ، فخارة يأتيه الرزق بغير اكتساب ولا تكلف حركة ، ولا تبجثم سنى ، وتارة يكون الأمر بالعكس .

دخل عماد الدولة أبو الحسن بن بويه شيراز بعد أن هزم ابن باقرت عنها ، وهو فقير

لا مال له ، فساخت إحدى قوائم فرسه في الصَّخْرَاءِ في الأرض ، فزَل عنها وابتدراها غلمانُه
فخَلَصوها ، فظهر لهم في ذلك الموضع نَقَبٌ وسِيعٌ ، فأمرهم بحفره ، فوجدوا^(١) فيه أموالاً
عظيمة ، وذخائر لابن ياقوت ، ثم استلقى يوماً آخر على ظهره في داره شبراً الذي كان ابن
ياقوت يسكنها ، فرأى حية في السقف ، فأمر غلمانَه بالصعود إليها وقتلها ، فهربت منهم ،
ودخلت في خشب الكنيصة فأمر أن يقطع الخشب وتستخرج وتقتل ؛ فلما قلعوا الخشب
وجدوا فيه أكثر من خمسين ألف دينار ذخيرة لابن ياقوت .

واحتاح أن يفصل ويحيط ثيابه له ولأهله فقيل : ها هنا حياط حادق كان يحيط لابن
ياقوت ، وهو رجل منسوب إلى الدين والخير ، إلا أنه أصم لا يسمع شيئاً أصلاً ، فأمر
بإحصاره ، فأحصر وعنده رغب وهلع ، مما أدخله إليه كلمة ؛ وقال : أريد أن تحيط بنا كذا
وكذا قطعة من الثياب ، فارتعد الحياط واضطرب كلامه ، وقال : والله يا مولانا ماله عندي
إلا أربعة ساديق ليس غيرها ، فلا تسمع قول الأعداء في . فتعقب حماد الدولة وأمر بإحضار
الساديق ، فوجدها كلها ذهباً وحلياً وحواهر مملوءة وديعة لابن ياقوت .

وأما الرزق الذي يطلبه الإنسان ويسمى إليه فهو كثير جداً لا يحصى .

ومنها قوله : « ما أقبح الخسوع عند الحاجة ، والجفاء عند الفنى » ! هذا من قول الله
تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَخَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا حَاءَهَا
رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ
إِذَا هُمْ يَبْفُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٢) .

ومن الشعر الحكيم في هذا الباب قول الشاعر :

خُلِقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِعَمَى : تِيهُ الْفَنَى وَمَسْذَلَةُ الْفَقْرِ

فَإِذَا غَبِيتَ فَلَا تُكُنْ بِطَرَأٍ وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتَيْهٌ عَلَى الدَّهْرِ
ومنها قوله : « إِنَّمَا لَكَ مِنْ دِيَارِكَ ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ » ، هذا من كلام رسول الله
صلى الله عليه وآله : « يَا بَنِي آدَمَ ، لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْبِيتَ ، أَوْ لَيْسَتْ
فَأَقْبِيتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَقْبِيتَ » .

وقال أبو التماهية :

لَيْسَ لِلْعَتَبِ الْمُكَادِحِ مِنْ دَرٍّ يَأْهُ إِلَّا الرَّغِيفَ وَالطُّرَانَ^(١)
ومنها قوله : « وَإِنْ كُنْتَ جَازِعًا عَلَى مَا تَقَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ ، فَخُذْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ
إِلَيْكَ » ، يقول : لَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْرَعَ عَلَى مَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ ، كَمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْزَعَ
عَلَى مَا قَانَتْكَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَكَاسِبِ ؛ فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ، إِلَّا أَنْ هَذَا حَصَلَ ، وَذَاكَ
لَمْ يَحْصَلْ بَعْدَ ؛ وَهَذَا فَرْقٌ غَيْرٌ مُؤَثِّرٌ لِأَنَّ اللَّهَ يُعْطِي مَنْ هُوَ حَاصِلٌ لَكَ غَيْرَ حَاصِلٍ فِي الْحَقِيقَةِ ،
وَإِنَّمَا الْحَاصِلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَا أَكَلْتَهُ وَتَلَسَّسْتَهُ ، وَأَمَّا الْقِسِيَّاتُ وَالْمَذْخَرَاتُ فَتَمْلِكُهَا لَيْسَتْ لَكَ ،
كَأَنَّ الشَّاعِرَ :

وَرَى إِبِلًا يَسْقِي وَيَحْبِبُهَا لَهُ أَحَى تَعَبٍ فِي رَعِيهَا وَدُمُوبٍ
ضَدَّتْ وَغَدَا رَبُّهُ سِوَاهُ يَسُوقُهَا وَبُدِّلَ أَحْجَارًا وَحَالَ قَلْبُهَا
ومنها قوله : « اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ لِلْأُمُورِ أَشْهَابًا » يقال : إِذَا شِئْتَ
أَنْ تَنْظُرَ لِلدُّنْيَا بِمَدِّكَ فَانْظُرْهَا بِمَدِّ غَيْرِكَ .

وقال أبو الطيب في سيف الدولة :

ذِكْرُكَ تَطْيِيهِ ، طَلِيمَةُ عَيْبِهِ بَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى غَدَاً^(٢)
ومنها قوله : « وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ امْطَةُ . . . » إِلَى قَوْلِهِ : « إِلَّا بِالضَّرْبِ » ،
هُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

(١) الطمران : تشية طمر ، وهو الثوب المنقوش بالبال .

(٢) ديوانه ١ : ٢٨٢ ، والنص : والنص : والنص : الذي يطلع القوم على العدو .

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيَّةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ الشُّخْطِ تُبْذِرُ السَّوِيَّ (١)

ومنها قوله: «ربّ بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد»، هذا معنى مطروق، قال الشاعر:

لمعرك ما يصير البعد يوماً إذا دنت القلوب من القلوب

وقال الأحرص:

إني لأمنحك الصدود وإنّي قسماً إليك مع الصدود لأميل (٢)

وقال البحتري:

ونارحة والدار منها قرينة وما قرب ثاوي التراب معية!

ومنها قوله «والعريب من لم يكن له حميم» يريد بالحبيب ما هسا الحب لا المحبوب، قال الشاعر:

أُسرة الرد والثناء وقبهاً بين حننهما الحياة تطيب

وإذا وثّيا عن الرد يوماً فهو في الناس أجنى عريب

ومنها قوله: «مَنْ تَمَدَّى الْحَقُّ سَاقَ عَدُوِّهِ»، يريد عَدُوِّهِ هَا هُنَا طَرِيقَتُهُ، وَهَذِهِ اسْتِمَارَةٌ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَا مَشَقَّةَ فِيهَا لِسَالِكِهَا، وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ فِيهَا الشَّاقُّ وَالْمُضَارُّ، وَكَأَنَّ سَالِكِهَا طَرِيقَةً ضَيِّقَةً يَتَعَمَّرُ فِيهَا، وَيَتَخَطَّطُ فِي سُلُوكِهَا.

ومنها قوله: «مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْنَى لَهُ»، هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: «رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَهُ»، وَلَمْ يَتَعَمَّرْ طَوْرَهُ» وَقَالَ: مَنْ جَهِلَ قَدْرَهُ قَتَلَ نَفْسَهُ. وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى عَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

ومنها قوله : « أوثق سب أخذت به ، سب يترك ويترك الله سبحانه ، هذا من قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ (١) .

ومنها قوله : « فمى لم يبال لك فهو عدوك » ، أى لم يكثر بك ، وهذه الوصاة خاصة بالحسن عليه السلام وأمثاله من الولاة وأرباب الرعايا ، وليست عامة للثقة من أفعاء الناس ، وذلك لأن الوالى إذا أس من بعض دعيته أنه لا يباله ولا يكثر به ، فقد أبدى سمحته ، ومن أبدى لك سمحته فهو عدوك ، وأما غير الوالى من أفعاء الناس ، فليس أحدهم إذا لم يبال الآخر بمذوق له .

ومنها قوله : « قد يكون اليأس إدراكا إذا كل الطمع هلاكا » ؛ هذا مثل قول القائل :

مَنْ حَاشَ لَاقَى مَا يَسُو . من الأمور وما يسُرُّ
وَكَرْبٌ حَصِي قَوْفُهُ تَهَبُّ وَيَاقُوتٌ وَدُرٌّ

والمعنى : ربما كل بلوغ الأمل فى الدنيا والمور بالطلوب منها سببا للهلاك فيها ؛ وإذا كان كذلك ، كان الحرمان خيرا من العطر .

ومنها قوله : « ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب » يقول : قد تكون عورة العدو مستورة عنك فلا تظهر ، وقد تظهر لك ولا يمكنك إصابتها .

وقال بعض الحكماء : الفرصة نوعان : فرصة من عدوك ، وفرصة فى غير عدوك ، فالفرصة من عدوك ما إذا بلغتها نفعتك ، وإن فتنك صررتك ، وفى غير عدوك ما إذا أخطأك نفعه لم يصل إليك ضرره .

ومنها قوله : « فربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده » من هذا النحو قولهم في المثل : « مع الخواطي^١ سهم صائب » ، وقولهم : « رمية من غير رام » ، وقالوا في مثل اللفظة الأولى : « الجواد يكبو ، والحسام قد يبو » . وقالوا : « قديمهمو الحليم ، ويجهل العديم » .
ومنها قوله : « أحر الشر^٢ فإياك إذ شئت تمحلت^٣ » مثل هذا : قولهم في الأمثال الطفيلية : « كل^٤ إذا وحدت ، فإياك عى^٥ الحوم قادر » . ومن الأمثال الحكمية : « ابدأ بالحسنة قبل السيئة ، فليست تستطيع للحسنة في كل وقت وأت على الإساءة متى شئت قادر » .

ومنها قوله : « قطيعة الجاهل تدل حيلة اسافل^٦ » ؛ هذا حق ، لأن الجاهل إذا قطعك انتفعت ببعده عنك ، كما تنفع بمواسلة^٧ صديق اسافل لك ؛ وهذا كما يقول النكلمون : عدم المضرة كوجود النفعة ، ويكاد أن يحنى^٨ على هذا قولهم : كما أن فعل المسدة فيبيع من البارى^٩ ، فالإحلال باللفظ منه أيضا يجب أن يكون فيجاء .

ومنها قوله : « من أمن الزمان ضاه^{١٠} ، ومن أعظمه أهاه^{١١} » ، مثل الكلمة الأولى قول الشاعر :

وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْرَ قَابِيسَ عَلَى الْمَاءِ حَانَتْهُ فُرُوجُ الْأَنَامِيسِ

وقالوا : احذر الدنيا ما استقامت^{١٢} لك . ومن الأمثال الحكمية : « من أمن الزمان ضيع^{١٣} نفرا^{١٤} تحوفا^{١٥} » . ومثل الكلمة الثانية قولهم : « ادبيا كالأمة اللثيمة المشوقة ، كلما ازدادت لها عشقا وعليها تمالك^{١٦} ازدادت لك إدلالا ، وعديك شطاطا » .
وقال أبو الطيب :

وَهِيَ مَعشُوقَةٌ عَلَى الْقَدْرِ لَا تَعُدُّ قَطُّ عَهْدًا وَلَا تَتِمُّ وَمَلَا

شِيمُ الغانيات فيها فلا أذرى لدا أنت اسمها الناس أم لا^(١) !

ومنها قوله : « ليس كل من رعى أصاب » هذا معنى مشهور ، قال أبو الطيب :

ما كل من طلب العالى نافذاً فيها ، ولا كل الرجال فحولاً

ومنها قوله : « إذا تمير السلطان ، تمير زمل » . وكتب الفرس أن أتوشروان

جمع عمال السواد ويبيده دُرّه يقسها ، فخر . أى شىء أضرّ بارتفاع السواد وأدعى

إلى محقه ؟ أتكم قال ما فى نفسى حملت هذه الدرة فى فيه ؟ فقال بعضهم : انقطاع

الشرب ، وقال بعضهم : احتباس المطر ، وهن بعضهم : استيلاء الجنوب وعدم الشمال ،

فقال لوريره : قل أنت فإن أظن عنتك بمذل عقول الرعية كلها أو يزيد عليها ،

قال : تفتّر رأى السلطان فى رعنته ، ويضمر الخيف لهم ، والخوّر عليهم ،

فقال : لله أبوك ! بهذا الفعل أهلك آبائى وأحدادى لما أهلك له . ودفع إليه الدرة

فجعلها فى فيه .

ومنها قوله : « سل عن الرفيق ، سل الطريق » وعن الحار ، قيل الدار » وقد روى

هذا الكلام صرموا ، وفى المثل : « حار السوء . كلب هارث ، وأمسى بهش » .

وفى المثل : الرفيق إما رحيق أو حريق .

الأفضل :

إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً ، وإن حكيت ذلك

عن غيرك .

وَلِإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةِ النِّسَاءِ قَبْلَ رَأْيِهِنَّ إِلَى أَفْنٍ ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ ، وَاسْكُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِثْمُهُنَّ ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا بِمَرْفَنَ غَيْرِكَ فَافْعَلْ .

وَلَا تُسَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا حَوَّرَ نَفْسَهَا ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ . وَلَا تَعُدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا تُطِيعُهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا .

وَلِإِيَّاكَ وَالتَّعَايُرِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّئَمِ ، وَالتَّبَرُّثَةِ إِلَى الرَّبِّ .

وَاحْتَلِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خِدْمَتِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ ، فَإِنَّهُ أُخْرَى إِلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ .

وَأَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ ، فَإِنَّهُمْ جُنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ ، وَيَدُوكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ .

اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ، وَاسْأَلْهُ حَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي أَمَانِكَ وَالْآجَةِ ، وَاللُّدْنِيَا وَالْآخِرَةِ . وَالسَّلَامُ .

الْبَنْجُ :

نَهِاهُ أَنْ يَذْكَرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا كُلُّ مَصْحُكًا ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ شَمْلِ أَرْبَابِ الْهَرَلِ وَالْبَطَالَةِ ، وَقُلَّ أَنْ يَحْلُوَ ذَلِكَ مِنْ غِيَةِ أَوْ سَخَرِيَةٍ . ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ ، فَإِنَّهُ كَمَا يَسْتَهْجِنُ الْإِسْتِدَاءَ بِذَلِكَ يَسْتَهْجِنُ حِكَايَتَهُ عَنْ الْغَيْرِ ؛ وَذَلِكَ كَلَامٌ فَصِيحٌ ، لَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَحْوِزُ الْإِبْتِدَاءَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ ، وَيُكْرَهُ أَيْضًا حِكَايَتُهَا . وَقَالَ عَمْرٍو لَهَا سَهَاءُ

رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحلف بالله : فاحلفت به ذاكرا ، ولا آثرا ، ولا حاكيا .
وكان يقال : من مارج استخف به ، ومن كثر ضحكك قلت هيئته .

فأما مشاورة النساء فإنه من فعل شجرة الرحال ، قال الفصل بن الربيع أيام الحرب بين
الأمين والأمين في كلام يذكر فيه الأمين ويصنه بالمحر : ينسام نوم الظربان ، ويلتبه
انتباهة الدب ، همة بطيه ، ولدته فرحه ، لا يسكر في روال سمة ، ولا يروى في إمضاء
رأي ولا مكيدة ، قد شمر له عند الله عن ساقه ، وموق له أشد سهامه ، يرميه طي بمسد
الدار ملحف النافذ ، والموت القاسد : قد عتي له الدبا على متون الحيل ، وناط له
السلايا بأسة الرماح ، وشعار السيوف ، فكثته هو قال هذا الشعر ووصف به
نفسه وأحياه :

يقارع أراك ابن حمار ليته . إلى أن يرى الإصباح لا يتلثم
فيصبح من طول الطراد وحسب . نيمك ، وأضحى في التسم أصتم
وهي كأس من عمار وقبيرة . ومنهم ددج ورشح ونخدم
فشتان مايبى وبين ابن خالد . أمية في الرق الذي الله يقسم

ونحن معه نحري إلى عاية إن قصرنا عنها دُمنف ، وإن اجتهدنا في بلوعها انقطعنا ،
وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوى قويا ، وإن ضعف ضعفنا : إن هذا الرجل قد ألقى
بيده إلقاء الأمة الوكلاء ، يشاور النساء ، ويمترع على الرؤيا ، قد أمكن أهل الخسارة والسهو
من سمعه ، فهم يمتنونه الطفر ، ويبعدونه عفت الأيام ، والهلاك أسرع إليه من السيل
إلى قيعان الرمل .



قوله عليه السلام : « فإن رأيتهن إلى أفن » الأفن بالسكون : النقص ، والتأفف :

المتنقص ، يقال : فلان يتأقن فلانا ، أى ينقصه ويعيبه . ومن رواء « إلى أقن » بالتحريك فهو ضعف الرأى ، أقن الرجل يأقن أفداً أى ضعف رأيه ؛ وفى المثل : « إن الرقن تقطى أقن الأفين »^(١) والوهن : الضعف .

قوله : « واكف علبن من أبصارهن » من هاهنا زائدة ؛ وهو مذهب أبى الحسن الأحفش فى زيادة من فى الموجب ، وبحور أن يحمل على مذهب سيويه ، فيعنى به : فاكف علبن بعض أبصارهن .

ثم ذكر فائدة الحجاب ، وهما أن يدخل علبن من لا يؤثق به ؛ وقال : إن خروجهن أهون من ذلك ، وذلك لأن من تلك سنة يتمكن من الخلوة مالا يتمكن منه من براهن فى الطرقات .

ثم قال : « إن استطعت ألا يعرفن عيرك ففعل » . كان لمعضهم بيت حناء ، فحج بها ، وكان يعصب عيبيها ، ويكشف قلنس وحهما ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنما الحذر من رؤيتها الناس ، لا من رؤية الناس لها .

قال : « ولا تملك المرأة من أمرها ما حاور نفسها » ؛ أى لا تدخلها معك فى تدبير ولا مشورة ، ولا تعتمد فى حال نفسها وما يصلح شأنها .

فإن المرأة ربحانة ، وليست بقهرمانة ؛ أى إنما تصلح للمتعة واللذة ، وليست وكيلة فى مال ، ولا وزيرا فى رأى .

ثم أكد الوصية الأولى ، فقال : لا تند بكرامتها نفسها ، هذا هو قوله : « ولا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها » .

ثم نهاه أن يطعمها فى الشفاعات .

(١) اللسان (أقن ، رقى) والرقين : اندهم ؛ سعى نفسك للرقين الذى فيه ؛ يعنون الخط .

وروى الزبير بن بكار ، قال : كانت الخيزران كثيراً ما تسلم موسى أبناً - لما استخلف - في الحوائج ؛ وكان يحبها إلى كل ما تسأل ، حتى مضت أرونة أشهر من خلافته وتنازل الناس عليها ، وطعموا فيها ، فكانت الواكب تغدو إلى بابها ، وكلمته يوماً في أمر فلم يجد إلى إجابتها سبيلاً ، واحتج عليها بحجة فقالت : لا بد من إجابتي ، فقال : لا أفعل ، قالت : إني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك ، فنضب موسى وقال : ويلي على ابن الباعلة ! قد علمت أنه صاحبها ، والله لا أقصيتها لك ولا له ! قالت : والله لا أسألك حاجة أبداً ، قال : إذن والله لا أبالي ؛ فقامت منصبة ، فقال : مكانك نستوعبي كلامي ؛ وأنا والله برىء من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ لئن بلغني أنه وقف أحد من قوادى وخامستي وخدي وكتابي على بابك لأصربن عنقه ، ولأجعلن ماله ، فمن شاء فليأزم ذلك ؛ ما هذه الواك انتي تقصرون إلى بابك كل يوم ! أما لك منزل يشغلك ، أو مصعب يذكرك ، أو بيت يملكونك ! إني إنك ثم إياك أن تقتحي مالك في حجة لي أو ذي . فانصرفت وما تمقل ما نطق عليه ، ولم تنطق عنده بمحلو ولا مرة بعدها حتى هلك .



وأخذ هذه اللفظة منه وهي قوله : « إن المرأة ربحانة ، وليست بغير مائة » الحجاج فقالها للوليد بن عبد الملك ؛ روى ابن قتيبة في كتاب « عيون الأخبار » قال : دخل الحجاج على الوليد ابن عبد الملك وعليه درع وعمامة سوداء وفرس عربية وكساة ؛ وذلك في أول قدمة قدمها عليه من المراق ؛ فبعثت أم النين بنت عبد العزيز بن صهوان وهي تحت الوليد إليه : من هذا الأعرابي المستلم في السلاح عندك وأنت في قفلة ! فأرسل إليها : هذا الحجاج ؛ فأطاعت إليه الرسول ؛ [فقال : تقول لك :] والله لأن يخلو بك ملك الموت في اليوم أحياناً أحب

إلى من أن يخلو بك الحجاج : فأخبره الوليد بذلك وهو يمازحه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ دم
عنك معاكبة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة ، وليست بقهومانة ، فلا تطلعها على
سرك ومكايدة عدوك . فلما دخل الوليد عليها أخبرها وهو يمازحها بمقالة الحجاج ، فقالت :
يا أمير المؤمنين ، طبعني أن تأمره غداً أن يأتي مسلماً ؛ ففعل ذلك ، فأثأها الحجاج لحجبتها ،
فلم يزل قائماً ، ثم أذنت له ، فقالت : يا حجاج ، أمت المني على أمير المؤمنين يقتلك ابن
الزبير وابن الأشعث ! أما والله لولا أن الله علم أنك شرُّ خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام
ولا يقتل ابن ذات السطاقين ، أول مولود في دار هجرة الإسلام ! وأما نهيك أمير المؤمنين
عن معاكبة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره ، فإن كنتَ ينمرخن عن مثلك ما أحقَّه بالأخذ منك !
وإن كنتَ ينمرخن عن مثله فهو غير قابل لقولك ؛ أما والله لقد نقص ساء أمير المؤمنين
الطيب من عذارهن فبمنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أصيب من قرون ، قد أظلتك
رماحهم ، وأثمتك كما حرمهم ؛ وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من أسائهم وآبائهم ؛
فأنحاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبيهم إياه ، قاتل الله القاتل حين ينظر إليك ؛ وسنان
غزالة بين كتيبك :

أسدٌ على وى الحروب نامة ربّداء تمرُّ من صفيّر الصافر ^(١)
هلاً برزت إلى غزالة في الوعى بل كان قدك في جناحي طائر
قم فاخرج ، فقام فخرج ^(٢) .

• • •

(١) ذكر صاحب الأغاني أن غزالة الحروية لما دعت على الحجاج هي وشبيب بالكوفة تحصن منها ،
وأعلق عليه قصره ؛ فكتب إليه عمران بن حطان — وقد كان الحجاج لح في طلبه :

أسدٌ على وى الحروب نامة ربّداء تجمل من صفيّر الصافر
هلاً برزت إلى غزالة في الوعى بل كان قدك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس تركت مدبرة كأمس الدأري

(٢) ميوّن الأخبار ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .

[بعض ما قيل في الغيرة من الشعر]

فأما قوله عليه السلام : « إياك والتغابر في غير موضع غيرة » فقد قيل هذا المعنى ،
قال بعض المحدثين :

يَأْتِيهَا النَّارُ مَهْ لَا تَفَرُّ إِلَّا لِمَا تُدْرِكُهُ بِالْبَصَرِ
مَا أَنْتَ فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَنْ بَيْتَهُ الْقَبْ لَزِمَ الْحَجَرُ

وكان مسكين الدارمي أحد من يستهص الغيرة ، ويستقبح وقوعها في غير محلها ،
فمن شعره في هذا المعنى :

مَا أَحْسَنَ الْغِيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَبْجَحَ الْغِيْرَةَ فِي غَيْرِ حِينِ^(١)
مَنْ لَمْ يَزَلْ مَتَمِّمًا حِرْسَهَا فَكَيْفَ يَنْتَهِيهَا لِرَجْمِ الظُّلُونِ^(٢)
يُوشِكُ أَنْ يَنْفِرَ بِهَا بِالْقِيَامِ بِحَافِظٍ ، أَوْ يَنْصَبَهَا لِلْعِيُونِ
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا رَفْعُهَا عَنْكَ سَبِيلُ خِيَمِ كَرِيمٍ وَدِينِ
لَا تَظْهَرُنَّ يَوْمًا عَلَى عَوْرَةٍ فَيَتَّبِعَ الْقُرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ^(٣)
وقال أيضاً :

إِلَّا آتِيهَا النَّارُ الْمَشِيطُ عَلَامُ تَنَارٍ إِذَا لَمْ تُفَرِّ^(٤)
فَمَا خَيْرُ حِرْمٍ إِذَا خَتَمَهَا وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُزَرَّ
تَنَارٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَمْنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ
فَإِنِّي سَأَخْلِي لَهَا بَيْتَهَا فَتَحْفَظَ لِي قَسَمَهَا أَوْ تَذَرَّ

(١) أمال للرضي ١ : ٤٧٦ . (٢) الأمل : « لرحم الظنون » .

(٣) أي إياك أن تطلع المرأة منك على زنا وريبة ، فإنها أيضاً تزنني ، أو جعل كما قلت .

(٤) أمال للرضي ١ : ٤٧٥ ، ٤٧٦ .

إذا الله لم يعطه ودها فلن يعطى الوُدَّ سوطاً مُمَرَّ
ومن ذا يُراعى له عِرسُهُ إذا ضمه والركاب السَّعْرُ (١)
وقال أيمن :

ولستُ أُمراً لا أبرحُ الدهرَ قعداً إلى حبِّ عِرسى لا أفارقها يَشْرُ (٢)
ولا مقبلاً لا أبرحُ الدهرَ بينها لأحمله قبل المات لها قَبْراً
ولا حاملاً ظننى ولا قولَ قاتلٍ على عِيرةٍ حتى أحيط به خُفْراً
وهى أُمراً راعيتُ مادمتُ شاهداً فكيف إذا مسرتُ من بيتها شهراً
إذا هى لم تُحصينُ لى فى شأنها فليس بمجيبها بنائى لها قصراً

فأما قوله : « واحصل لكلِّ إنسان من حَدمك مملاً تأخذه به » ، فقد قالت الحكماء
هذا المعنى ، قال أبو رزى وصيته لولده شيرويه : وانظر إلى كتابك ، فمن كان معهم
دا ضياع قد أحسن عمارتها فوله الخراج ، ومن كان منهم ذا عبيد قد أحسن سياستهم
وتكليفهم فوله الجند ، ومن كان معهم داسرارى وخرائر قد أحسن القيام عليهن فوله
السلطات والقهرمة ، وهكذا فاصنع فى حَدم دارك ، ولا تحمل أمرك فوضى بين حديمك
ففسد عليك ملكك .

وأما قوله : « فأكرم عشيرتك فإنهم جناحك » فقد تقدّم منا كلام فى وحبوب
الاقتصاد بالعشائر .

[اعتزاز الفرزدق بقومه]

روى أبو عبيدة قال : كان الفرزدق لا يشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعداً ،

(١) الأماي : « العلى » .

(٢) أماي الرضى ١ : ٤٧٦ ، ودوايته : « وإن امرؤ » .

فدخل على سليمان بن عبد الملك يوما ، فأنشده شعرا فخر فيه بآبائه ، وقال من جلته :
 تالله ما سمعت من ناقة رجلا مثل إذا الريح تفتحي على الكور^(١)

فقال سليمان : هذا المدح لي أم لك ؟ قال : لي ولك بأمر المؤمنين ، فغضب سليمان
 وقال : ثم فأنتم ، ولا تشد سده إلا قائما ، فقال الفرزدق : لا والله أو يسقط إلى الأرض
 أكثرى شعرا . فقال سليمان : ويلي على الأحمق ابن القاعة ! لا يكفى ، وارتفع صوته ،
 فسمع الضوضاء بالباب ، فقال سليمان : ما هذا ؟ قيل : بنو تميم على الباب ، قالوا : لا يتشد
 الفرزدق قائما وأيدينا في مقابض سيوفنا ، قال : فليشد قاعدا .

[وفود الوليد بن جابر على معاوية]

وروى أبو عبيد الله محمد بن موسى بن عمران الحراني ، قال : كان الوليد بن جابر بن ظالم
 الطائي ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم صحب عليا عليه السلام ،
 وشهد معه صفين ، وكان من رجاله المشهورين ، ثم وفد على معاوية في الاستقامة^(٢) ، وكان
 معاوية لا يثبت^(٣) ؛ معرفة بعينه ؛ فدخل عليه في جملة الناس ، فلما انتهى إليه استنسبه ،
 فانتسبه ، فقال : أنت صاحب ليلة الحرير ؟ قال : نعم ، قال : والله ما تخلو مسامعي من رجرك
 تلك الليلة ، وقد علا صوتك أصوات الناس ، وأنت تقول :

شدوا فداء لكم أمي وأبي فإنا الأمر غدا لمن علب
 هذا ابن عم المصطفى والمتجرب نسيه للملأ سادات العرب
 ليس بموصوم إذا نص السب أول من صلي وصام وأقرب

قال : نعم ، أما قائمها . قال : فلماذا قتلها ؟ قال : لأننا كنا مع رجل لا نعلم خصلة

(١) من قصيدة في ديوانه ١ : ٢٦٢ - ٢٦٧ ؟ وذكر فيه أنه مدح بها يزيد بن عبد الملك .

(٢) كذا في الأصول .

(٣) كذا في ١ وهو الصواب ، وفي ب : « لا ينسبه » .

توجب الخلافة ، ولا فضيلة تصير إلى التقدمة ، إلا وهي مجموعة له ؛ كان أول الناس سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأرجحهم حِلماً ، فات الحيد فلا يشق غباره ، يستولى على الأمد فلا يخاف عثاره ، وأوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره ، وسلك القصد فلا تدرُس آثاره ، فلما ابتلانا الله تعالى باقتضائه ، وحول الأمر إلى من يشاء من عباده ، دخلنا في حملة المسلمين فلم نزع يدنا عن طاعة ، ولم نصدع صعاة جماعة ؛ على أن لك منا مظهر ، وقلوبنا بيد الله ، وهو أملاك بها منك ، فقبل صنونا ، وأعريض عن كدرنا ، ولا تُثرِ كوامس الأحقاد ، فإن النار تقدح بالزناد . قال معاوية : وإني لهددي يا أحاطي بأوباش المراق أهل النفاق ، ومعدن اشتقاق افعال : يا معاوية هم الدين أشرقوك ماريق ، وحسوك في المضيق ، ودادوك عن سنى الطريق ؛ حتى كنت منهم بالمصاحف ؛ ودعوت إليها من صدق بها وكذبت ، وآمن بمنزلها وكمرت ، وغرف من يؤمنها ما أمكرت . منصب معاوية وأدار طرفه فيمن حوله فإذا جلّهم من مصر ومصر قليل من اليمن ، فقال : أيها الشقي الخائن ؛ إني لإخبل أن هذا آخر كلام تنوء به . وكان عفير^(١) بن سيف بن ذي يزن يباب معاوية حيثئذ . فصرف موقف الطائي ومراد معاوية ، لحافه عليه ، فهجم عليهم الدار ، وأقل على الجارية ، فقال : شامت الوحوه دلاً وقلاً ، وجداً وقلاً ، كشم الله هذه الأنف كشم^(٢) مربعاً . ثم انتفت إلى معاوية ، فقال : إني والله يا معاوية ما أقول قولي هذا حباً لأهل العراق ، ولا جنوحاً إليهم ؛ ولكن الخليفة تذهب ان غضب ، لقد رأيتك بالأمس ، خاطبت أحاربيته - يعني سمصة بن موحس . وهو أعظم جرماً عندك من هذا ، وأنكأ^(٣) لقبك ، وأقدح في صفاتك ، وأحد في عداوتك ، وأشد انتصاراً في حركتك ، ثم أثبتته وسرّحته ؛ وأنت الآن تجمع على قتل هذا - رمت - استصناراً لجماعتنا ؛ فإننا لا نمر ولا نعل ؛ ولمرئ لو وكنك ألباء قحطان إلى قومك لكان جسدك العار ، وذكرك الدار ،

(١) : « عبيرة » . (٢) ب : « كتم » تحريف صوابه من ا ، وكشم الأقب : استأمله قطعاً .
(٣) كذالي ا . وفي ب : « وإدكاه » .

وحدك المفلول ، وعرشك المثلول ، اربع على ظلمك^(١) ، واطونا على بلاتنا^(٢) ،
ليسهل لك حرّنا ، ويتطامن لك شاردنا ، فإننا لا نرأى بوقع الصيم ، ولا نتلمظ
جُرع الخسف ، ولا نغمز بغاز العيق ، ولا نند على الغضب . فقال معاوية : الغضب
شيطان ، ظروبع نفسك أيها الإنسان ، فإننا لم نأت إلى صاحبك مكروها ، ولم نرتكب
منه مفضها ، ولم ننتهك منه محرّما ، فدونك فإنه لم يضقّ عنه حلمنا ووسع غيره . فأخذ
عُفَيْرَ بَيْدِ الْوَلِيدِ ، وخرج به إلى منزله ، وقال له : والله لتؤوينّ بأكثر مما آب به معدى
من معاوية . وجمع من بدمشق من الليابة ، وفرض على كلّ رجل دينارين في عطائه ،
فبلغت أربعين ألفا ، فتعجلها من بيت المال ، ودفنها إلى الوليد ، وردّه إلى العراق .

(١) اربع على ظلمك ، أى توقف .

(٢) اطونا على بلاتنا ؟ أى احسبنا على مايقبنا من إساءة .

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

وَأُرْدَيْتَ حَيْلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا ؛ حَدَّثْتَهُمْ بِسَيِّئِكَ ، وَالْقِيَتَهُمْ فِي مَوْجٍ بِمَحْرُكٍ ،
نَفَّسَهُمُ الظُّلُمَاتُ ، وَتَقَلَّطَهُمُ رِيحُ الشُّبُهَاتِ ، فَجَارُوا عَنْ وَجْهِهِمْ ، وَكَسَوْا عَلَى
أَعْقَابِهِمْ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ
الْبَعَاثِ ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوا نَعْدَ مَرْفَعِكَ ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَارَرَتِكَ ،
إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنْ لُغْمِنِي .

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ ، وَحَادِبِ الشَّيْطَانِ قِيَادَكَ . فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ
عَنكَ ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ ، وَالسَّلَامُ .

• • •

الشرح :

أُرْدَيْتَهُمْ : أَهْلَكْتَهُمْ . وحيلًا من الناس ، أى مُنْقَطِعًا من الناس . والنقى : الضلال .
وجاروا : عدلوا عن القصد . ووجههم : بكسر الواو ، يقال : هدا وجه الرأى ،
أى هو الرأى بنفسه ، والاسم الوجه بالكسر ويجوز بالصم .

قوله : « وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ » ؛ أى لم يعتمدوا على الدين ؛ وإنما أوردتهم الحجة
ونحوه الجاهلية ، فأخذوا إليها وتركوا الدين ، والإشارة إلى بني أمية وخلفائهم الذين اتهموا
عليه السلام بدم عثمان ، فقاموا عن الحسب ، ولم يأخذوا بموجب الشرع فى تلك الواقعة

ثم استثنى قوما قاموا، أي رجسوا عن نصرة معاوية؛ وقد ذكرنا في أخبار مدين من فارق معاوية ورجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، أو فارقه واعتزل الطائفتين.

قوله: « حملهم على الصب » أي على الأمر الشاق؛ والأصل في ذلك البعير المستعصب بركبه الإنسان فينرر بنفسه.



[ذكر بعض ما دار بين علي ومعاوية من الكتب]

وأول هذا الكتاب :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإن الدنيا دار تجارة ، وربحها أو خسرها الآخرة ؛ فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة ، ومن رأى الدنيا بمينها ، وقدرها بقدرها ! وإنّي لأعظك مع عليّ بسابق العلم فيك بما لا مردّ له دون نفاذه ؛ ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانة ، وأن يمدّحوا النوى والرشيد ، فاتق الله ؛ ولا تكن ممن لا يرجو الله وقلوا ، ومن حقّت عليه كلمة العذاب ؛ فإن الله بالمرصاد . وإنّ دنياك ستدبر عنك ، وستمود حسرة عليك ؛ فأقطع عمّا أت عليه من النوى والصلال ، على كبر سنك ، وفناء عمرك ؛ فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيّل الذي لا يصلح من جانب إلّا فسد من آخر ، وقد أردبت حبالا من الداس كثيرا ، حدّتهم بنفك . . . إلى آخر الكتاب .

قال أبو الحسن علي بن محمد الدائمي : فكتب إليه معاوية :

من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب ، أما بعد ؛ فقد وهت على كتابك ، وقد أبيت على الفخر إلّا تماديا ، وإنّي لعالم أنّ الله يدعوك إلى ذلك ممرّك الذي

لا بد لك منه ؛ وإن كنت موافقاً ، فلزدغياً إلى غيبك ، فطالما حفت عقلت ، ومنيت
نفسك ما ليس لك ، والتويت على من هو خير منك ؛ ثم كانت العاقبة لغيرك ، واحتملت
الورر بما أحاط بك من حطيتك . والسلام .

فكتب على عليه السلام إليه :

أما بعد ، فإن ما أتيت به من ضلالتك ليس يبيد الشبه مما أتى به أهلك وقومك
الذين حملهم الكفر وتغنى الأباطيل على حمد محمد صلى الله عليه وسلم حتى صرخوا
مصارعهم حيث علت ؛ لم يمنعوا حرباً ، ولم يدفعوا عطياً ، وأنا صاحبهم في تلك
الواطن ، الصالي بحربهم ، والبال لخدمهم ، والقائل لردوس الضلالة ،
والترفع إن شاء الله خلفهم بسلفهم ؛ فبئس الخلف خلف أنس سلفاً محمداً وعظه
النار . والسلام .

قال : فكتب إليه معاوية :

أما بعد ؛ فقد طال في النسي ما استمرت أذراجك ، كما طالما تمسدى عن الحرب
نكوسك وإبطائك ، فتوعد وعيد الأسد ، وترؤغ ورعان الثعلب ، فقتام تحيد عن لقاء
مباشرة الليوث الضارية ، والأطامى القاتلة ، ولا تستبعدنها ، فسكل ما هو آت قريب
إن شاء الله . والسلام .

قال : فكتب إليه على عليه السلام :

أما بعد ، فما أعجب ما يأتي منك ، وما أعظم ما أنت إليه صائر ! وليس إبطائي عنك
إلا ترقباً لما أنت له مكذب ؛ وأنا به مصدق ! وكأني بك غداً وأنت تصح من الحرب
صحيح الجال من الأبطال ، وستدعونني أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بالسنتكم ،
وتجحدونه بطوبكم . والسلام .

قال : فكتب إليه معاوية :

أما بعد ، فدعني من أساطيرك ، واكشف عني من أحاديثك ، واقصر عن تفوئك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واقترائك من الكذب ما لم يقل ، وغرور من معك والخداع لهم ؛ فقد استغويتهم ، وبوشك أمرك أن ينكشف لهم فيزلوك ، ويعلموا أن ما حثت به باطل مصمحل . والسلام .

قال : فكتب إليه علي عليه السلام :

أما بعد ؛ فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء شيعين الرحيم الحق^(١) أساطير الأولين ، ونبدتموه وراء ظهوركم ، وجهدتم بإطماء نور الله بأيديكم وأفواهكم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . ولعمري ليتمن النور على كرهك ، وليمنن العلم بصعارك ، ولتخارين نفسك ، فمت في ديارك المعطمة عنك ما طاب لك ؛ فكأنك ساطلك وقد انتصى ، وبملك وقد هوى ؛ ثم تصير إلى طغي ؛ لم يظلمك الله شيئاً ، ثم كرمك بظلام للعبيد !

قال : فكتب إليه معاوية :

أما بعد ؛ فما أعظم الرين على قلبك ، وانقطاع عني نصرتك ! الشر من شيعتك ، والحسد من حليقتك ، فشمز للحرب ، واصر للصرب ، هو الله يرجمن الأصر إلى ماعلت ، والمأقية للمتقين . هيهات هيهات ! أخطأك ما عني ، وهوى قاتك مع من هوى ؛ فارتع على ظلمك ، وقس شررك بمررك ؛ لتعلم أين حالك من حل من برر الجبال حقه ، ويفصل بين أهل الشك عنه . والسلام .

قال : فكتب إليه علي عليه السلام :

أما بعد ، فإن مساوئك مع علم الله تعالى منك حالت بينك وبين أن يصلح لك أمرك ، وأن يرعوى قلبك ، وابن الصخر اللعين ! زحمت أن يرر الجمال حلمك ، ويفصل بين أهل الشك علمك ، وأنت الخلف المافق ، الأعلم القاب ، القليل العقل ، الجبان الرذل ، فإن كنت صادقاً فيما تسطر ، ويعيبك عليه أحوبي منهم ، فدع الناس حاب ، وتيسر لما دعوتني إليه من الحرب ، والصر على

الضرب ، واعتُ الهريقين من القتال ، ليعلم أيتنا المرين على قلبه ، النطلى على بصره ، فأنا أبو الحسن ، قاتل جدك وأخيك وخالك ، وما أنت منهم بمعيد ؟ والسلام !

قلت : وأعجب وأطرب ما جاء به الدهر - وإن كانت عجائبه وبدائمه جمة - أن يُنفى أمر على عليه السلام إلى أن يصير معاوية نِدْأه ونظيره مماثلاً ، يتمارضان الكتاب والجواب ، ويتساويان فيما يواحه به أحدهما صاحبه ، ولا يقول له على عليه السلام كلمة إلا قال مثلها ، وأحسن مساً منها ، فليت محمداً صلى الله عليه وآله كان شاهد ذلك ؛ ليرى هياناً لا خيراً أن الدعوة التي قام بها ، وقاسى أعظم الشاق في تحملها ، وكابد الأهوال في النّب عنها ، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها ؛ وشيد أركانها ، وملا الآفاق بها ، خلّصت صفوا صفوا لأعدائه الذين كذبوه ؛ لما دعا إليها ، وأخرجوه عن أوطانهم لما حض عليها ، وأدموا وجهه ، وقتلوا عمه وأهله ، فكأنه كان يسمى لهم ، ويداب لراحتهم ؛ كما قال أبو سفيان في أيام عثمان ، وقد مرّ بقبر حمزة ، وضربه برجله ، وقال ؛ يا أبا حمزة ! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أسى في يد ملأنا اليوم يتلقبون به ! ثم آل الأمر إلى أن يباخر معاوية علياً ، كما يتفاخر الأكفاء والنظراء ...

إذا حير الطائي بالبخل مادي	وقرّع قساً بالمهاة باقل
وقال الشها للشمس : أنت خفية	وقال الدحجى : يا صبع لو نك حائل
وفاخرت الأرض السماء سفاهة	وكاثرت الشهب الحما والمنازل
فياموت زرّ بن الحياة ذميمة	وياتس جدى بن دهر ك هازل

ثم أقول ثانياً لأمير المؤمنين عليه السلام : ليت شعري ؛ لماذا فتح باب الكتاب

والجواب بينه وبين معاوية! وإذا كانت الضرورة قد قادت إلّ ذلك، فهلا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرض للمفاخرة والناقرة! وإذا كان لابدّ منهما فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله، وبأشدّ منه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) وهلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفیه الأحمق، هذا مع أنه القاتل: مَنْ وَاجَهَ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ قَاتِلُوا فِيهِ مَا لَا يَمْلِكُونَ أَمْ لَا يَمْلِكُونَ مَا لَا يَمْلِكُونَ عَلَيْهِ وَقَاتِلُوا فِيهِ الْبَاطِلَ.

أَيُّهَا الشَّامِيُّ لِيَتَحَبَّبَ مِنِّي إِنَّمَا أَنْتَ فِي الضَّلَالِ تَهِمُّ^(٢)
لَا تَسُبَّنِي فَلَسْتُ بِسَيِّئٍ إِنْ سَيِّئَ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ^(٣)

وهكذا جرى في القنوت والتمن، قُتت بالكوفة على معاوية، ولمنه في الصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه عمرو بن العاص وأبا موسى وأبا الأعور السلمي وجبيب بن مسلمة، فبلغ ذلك معاوية بالشام، فغنت عاياه، ولمنه بالصلاة، وخطبة الجمعة، وأضاف إليه الحسن والحسين وابن عباس والأشتر النخعي؛ ولمنه عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما ينبغي هنا الآن، وقد أمر هو بالفه!

(١) سورة الأنعام ١٠٨ . (٢) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يهجو مكياً الفارسي .

(٣) السب: بالكسر: القى سباًك .

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى من بن العباس وهو عامله على مكة

أما بعد ، فإن عيسى بالمغرب كتب إلى يلمى أنه وحه إلى المؤمنين أناس
من أهل الشام ، المعنى القلوب ، الصم الأسماع ، السكهم الأنصار ، الدين يلبسون
الحق بالباطل ، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ، ويحترمون الدنيا دهرها
بالدين ، ويشترون عاجلها بأجل الأبرار المتقين ؛ ولئن يعود بالعبث إلا عامله ،
ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله .

فأقم على ما في يدك قيام الحارم الطيب ، والناسح اللب ، التابع
لسلطانه ، المطيع لإمامه .

وإياك وما يمتد منه ، ولا تكن عند السماء بطرا ، ولا عند النساء مشلا .
والسلام .

الشرح :

كل معاونة قد تمت إلى مكة دعاء في السر يدعو إلى طاعته ، ويشطون العرب عن
نصرة أمير المؤمنين ، ويوقعون في أنفسهم أنه إنما قاتل لعنان أو خذل ، وإن الخلافة

لا تصلح فيمن قتل أو خذل ، ويشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم وأخلاقه وسيرته ، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكتاب إلى عامله بمكة ، ينسبه على ذلك ليعتمد فيه بما تقتضيه السياسة ، ولم يصرح في هذا الكتاب بحانا يأمره أن يفعل إذا ظفر بهم .

قوله : « عيني بالمعرب » ، أى أصحاب أحواره عند معاوية ، وصحبي الشام معربا لأنه من الأقاليم المغربية .
والموسم : الأيام التي يقام فيها الحج .

وقوله : « ويحتلبون الدنيا دَرَّها بالدين » دلالة على ما قلنا : إيهام كانوا دُعاة يطهرون سميت الدين ، وناموس المادة ؛ وفيه إبطال قول من " طن " أن المراد بذلك الترايا التي كان معاوية يعيها ، فتصير على أعمال على عليه السلام . وجرها منصوب بالبدل « من الدنيا » وروى : « الذين ياتسون الحق بالباطل » أى يظنونهم ؛ أى يتسمون معاوية وهو على الباطل التماسا وطلبا للحق ، ولا يظنون أنهم عد ضلوا .

قوله : « وإياك وما يعتذر منه » من الكلمات الشريفة الجليظة الموضع ، وقد رويت مرفوعة ، وكان يقال : ما شيء أشد على الإنسان من حمل المروءة ، والمروءة ألا يعمل الإنسان في غيبة صاحبه ما يعتذر منه عند حضوره .

قوله : « ولا تكن عند النعماء بطرا ، ولا عند البأساء فشلا » معنى مستعمل ، قال الشاعر :

هلستُ بمعراج إذا الدهر سرتني ولا جارعٌ من صرّفه التقلير
ولا أتعنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أدرك

[قُتَم بن عباس وبعض أخباره]

فَأَمَّا قُتَم بن العباس ، فَأَمَّهُامُ إِخْوَتُهُ ، وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ "الاستيعاب" ..
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن جَعْفَرٍ ، قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَعَبِيدُ اللَّهِ وَقُتَمُ ابْنَا الْعَبَّاسِ نُلْعَبُ ، فَرَى بِأَرْسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاكِبًا ، فَقَالَ : « اِرْضُوا إِلَيَّ هَذَا الْفَتَى » يَعْنِي قُتَمَ - فَرَفَعَ إِلَيْهِ ! فَأَرْدَفَهُ
خَلْفَهُ ، ثُمَّ جَعَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَدَعَا لَنَا ، فَاسْتَشْهَدَ قُتَمَ بِسَمَرْتُنَدٍ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ قُتَمُ آخِرَ النَّاسِ عَهْدًا
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّ آخِرٍ مِنْ حَرْجٍ مِنْ فِجْرِهِ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ . قَالَ : وَكَانَ الْمَغِيرَةُ
ابْنُ شُعْبَةَ يَدْعِي ذَلِكَ لِسَمِهِ ، فَأُكْرِعَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : بَلِ آخِرُ
مَنْ خَرَجَ مِنَ الْقَرْنِ قُتَمُ بنُ الْعَبَّاسِ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَكَانَ قُتَمُ وَالِيًا لِمَلِكٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَكَّةَ ، عَزَلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
خَالِدُ بنُ الْعَاصِ بنِ هِشَامٍ بنِ النُّعَيْرَةِ الْفَزَارِيِّ - وَكَانَ وَالِيَهَا لَعْنًا - وَوَلَّاهَا أَبَا قَتَادَةَ
الْأَنْصَارِيَّ ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا وَوَلَّى مَكَّةَ قُتَمَ بنَ الْعَبَّاسِ ، فَلَمْ يَزَلْ وَالِيَهَا حَتَّى قُتِلَ عَلَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ : هَذَا قَوْلُ خُذَيْمَةَ ^(١) ، وَقَالَ الزَّيْزِيدُ بنُ بَكَّارٍ : اسْتَعْمَلَ عَلَى عَالِيهِ السَّلَامُ قُتَمَ
ابْنَ الْعَبَّاسِ عَلَى الْمَدِينَةِ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَاسْتَشْهَدَ قُتَمَ بِسَمَرْتُنَدٍ ، كَانَ خَرَجَ إِلَيْهَا مَعَ سَعِيدِ بنِ صُهَيْبٍ بنِ عَفَّانَ
زَمَنَ مُعَاوِيَةَ فَقُتِلَ هُنَاكَ ^(٢)

قَالَ : وَكَانَ قُتَمُ يُشَبِّهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَفِيهِ يَقُولُ دَاوُدُ بنُ مَسْلَمٍ ^(٣) :

(١) الاستيعاب ٥٥١ - ٥٥٢ .

(٢) هو خُذَيْمَةُ بنُ حَيَّاطِ الشَّيْبَانِيُّ الصَّرُوفِيُّ بِشَاطِئِ بَيْتِ سَابَةِ . وَانْظُرْ طُلُوحَاتِ الْحِفَاظِ ٢ : ٢٦ .

(٣) في الاستيعاب : « سَلِيمٌ » .

عُثِّقَتْ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ رَحْلٍ	يَا نَاقُ إِنِ ادْنَيْتَنِي مِنْ قَسَمٍ
إِنَّكَ إِنِ ادْنَيْتَ مِنْهُ غَدَاً	حَافِظِي الْبُسرَ وَمَلَّتِ الْمَدَمُ
وَيَكْفُهُ بِحَرٍّ وَوِي وَجْهَهُ	يَدْرُ وَفِي الْعَرَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
أَصَمَّ عَنْ قِيلِ الْخَنَاصِمِ	وَمَا عَلَى الْخَيْرِ بِهِ مِنْ حَمَمٍ
لَهَيْدَرٍ مَا «لَا» وَبِ «لَا» قَدِ دَرَى	فَمَاتَهَا وَلَعْتَاضَ مِنْهَا نَعَمٌ

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام :

إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توحده من عرله بالأشتر عن مصر ، ثم توفى الأشتر
في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ تَلَفَعَنِي مَوْحِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيعِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ . وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ
ذَلِكَ اسْتِطَاعًا لَكَ فِي الْعَهْدِ ، وَلَا ارْتِيَادًا لَكَ فِي الْيَعْدِ ، وَلَوْ رَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ
مِنْ سُلْطَانِكَ ، لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَشْرُ عَلَيْكَ مَوْتَةً ، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلَايَةً .

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيَّتُهُ أَمْرًا يَمُوتُ كَانَ رَحُلًا لَنَا بَاصِحًا ، وَعَلَى غَدُونَا
شَدِيدًا نَافِيًا ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ ! فَلَقَدْ اسْتَكْمَلَ يَمَانَهُ ، وَلَاقَى رَحْمَتَهُ ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ ؛
أَوْلَاءُ اللَّهِ رِضْوَانَهُ ، وَمَا عَمَّ التَّوَكُّلَ لَهُ !

فَأَصْبَحَ لِعَدُوِّكَ ، وَآمِنٌ عَلَى بَصِيرَتِكَ ، وَشَمَرٌ لِحَرْبٍ مِنْ حَارَبَتِكَ ، وَادْعُ
إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ، وَأَكْثِرِ الْإِسْتِعَانَةَ بِاللهِ بِكَعِكَ مَا أَهَمَّكَ ، وَيُعِينِكَ عَلَى مَا يُزِيلُ
بِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الشرح :

[محمد بن أبي بكر وبعض أخباره]

أم محمد رَحِمَهُ اللهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُيْسٍ الْخُثَمِيَّةُ : وَهِيَ أُخْتُ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ

عليه وآله ، وأخت لبابة أم الفضل وعبد الله زوج العباس بن عبد المطلب ؛ وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة ؛ وهي إذ ذاك تحت جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فولدت له هناك محمد بن جعفر وعبد الله وعونا ، ثم هاجرت أمه إلى المدينة ، فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها أبو بكر ، فولدت له محمد بن أبي بكر هذا ، ثم مات عنها فتزوجها علي عليه السلام ، فولدت له يحيى بن علي ، لا خلاف في ذلك .

وقال ابن عبد البر في " الاستيعاب " : ذكر ابن الكلبي أن عون بن علي اسم أمه أسماء بنت عميس ، ولم يقل ذلك أحد غيره .

وقد روى أن أسماء كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ، فولدت له بنتا تسمى أمة الله . وقيل أمانة . ومحمد بن أبي بكر ممن ولد في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال ابن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " : ولد عام حجة الوداع في عقب ذي القعدة بدى الخليفة ، حين توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحج ، فسقطت عائشة عمدا ، وكنته أبا القاسم بعد ذلك لما ولد له ولد سمى القاسم ، ولم تكن الصحابة ترى بذلك بأسا ؛ ثم كان في حشر علي عليه السلام ، وقتل بمصر ، وكان علي عليه السلام يُثنى عليه ويقرّطه ويفضله ؛ وكان لحمد رحمه الله عبادة واجتهاد ؛ وكان ممن حضر عثمان ودخل عليه ، فقال له : لو رأك أبوك لم يسره هذا المقام منك اخرج وتركه ، ودخل عليه بمده من قتله . ويقال : إنه أشار إلى من كان معه فقتلوه^(١) .

قوله : « وبلغني مورحدثك » ، أي غضبك ، وحدث علي فلان مؤجدة ، ووجدانا لغة قليلة ؛ وأشدوا ؛

كَلَامًا رَدَّ صَاحِبَهُ بِمُيَظِّرٍ عَلَى حَقِّهِ وَوَحْدَانٍ شَدِيدٍ^(٢)

(١) الاستيعاب ٢٤٢ .

(٢) لصحر المي ؛ اللسان ، الصراح (وحد) .

فأما في الحزن فلا يقال إلا وَجَدْتُ أَنَا بِالْفَتْحِ لا غير .

والجهد : الطاقة ، أى لم استبطنك في بذل طاقتك ووسعك ، ومن رواها الجهد بالفتح فهو من قولهم : اجهد جهدك في كذا ، أى ابلغ الغاية ، ولا يقال هذا الحرف هاهنا إلا مستوحا .

ثم طيب عليه السلام نفسه بأن قال له : لو تمَّ الأمر الذي شرعت فيه من ولاية الأشر مصر لموتتكم بما هو أخفَّ عليكم مثونة وثقلا ، وأقلَّ نصبا من ولاية مصر ، لأنه كان في مصر يازاء معاوية من الشام وهو مدفوع إلى حربه .

ثم أكد عليه السلام ترغيبه بقوله : « وأعجب إليك ولاية » .

فإن قلت : ما الذي بيده مما هو أخفَّ على محمد مثونة وأعجب إليه من ولاية مصر ؟

قلت : ملك الإسلام كله كان بيد علي عليه السلام إلا الشام ، فيجوز أن يكون قد كان في عزمه أن يولِّيَه اليمن أو حراسان أو أرمينية أو فارس .

ثم أخذ في التثناء على الأشر وكان علي عليه السلام شديد الاعتقاد به ، كما كان هو شديد التحقق بولايته وطاعته .

وناقا ، من تقم على فلان كذا ، إذا أسكرته عليه وكرهته منه .

ثم دعا له بالرضوان ؛ ولست أشك بأن الأشر بهذه الدعوة ينصر الله له ويكفر ذنوبه ، ويدخله الجنة ، ولا فرق عندي بينها وبين دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويأطونى لمن حصل له من على عليه السلام بعض هذا !

قوله : « وأصحِّر لعدوك » أى أبرز له ولا تستر عنه بالمدينة التي أنت فيها ، أصحر الأسد من خيسه ، إذا خرج إلى الصحراء .
وشمر فلان للحرب ، إذا أخذ لها أهبتها .

(٣٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتَتِحَتْ ، وَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ ،
فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا ، وَعَامِلًا كَادِحًا ، وَسَيِّفًا قَاطِعًا ، وَرُكْنًا دَافِعًا .
وَقَدْ كُنْتُ حَنَنْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ ، وَأَمَرْتُهُمْ بِبِنَائِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ ، وَدَعَوْتُهُمْ
مِرًّا وَجَهْرًا ، وَعَوْدًا وَبَدًا ، فَمِنْهُمْ الْآتِي كَادِحًا ، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا ؛ وَمِنْهُمْ
الْقَاعِدُ حَاذِلًا .

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا حَاجِلًا ؛ فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِي مِنْدَ لِقَائِي
مَدُونِي فِي الشَّهَادَةِ ، وَتَوَطُّبِي نَفْسِي عَلَى الْمَيِّتَةِ ، لَأُحِبِّتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ
يَوْمًا وَاحِدًا ، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا .

البيان :

انظر إلى الفصاحة كيف تملأ هذا الرجل قيادها ، وتملكه زمامها ؛ وانحجب هذه
الأملاط المنصوبة، يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاولعه؛ سليمة سهلة، تتدفق من غير تمسك
ولا تكلف ؛ حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال : « يوما واحدا ، ولا ألتقي بهم أبدا » ،
وانت وعيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة ، جاءت القرائن والفواصل

قارة مرفوعة ، وقارة مجرورة ، وقارة منصوبة ، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثرٌ بين ، وعلامة واضحة ، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإيجاز في القرآن ، ذكره عبد القاهر ، قال : انصرف إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة ، الأولى منصوبة الفواصل ، والثانية ليس فيها منصوب أصلا ؛ ولو مزجت إحدى السورتين بالأخرى لم تتميزا ، وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما .

ثم إن فواصل كل واحد منهما تساق سقافة بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية . ثم انظر إلى الصفات والوصوفات في هذا الفصل ؛ كيف قال : « ولدا ناصحا » ، « وعاملا كادحا » ، و « سيفا قاطعا » ، و « ركنا دافعا » ، لو قال : « ولدا كادحا » و « عاملا ناصحا » ، وكذلك ما بعده لا كان سوابجا ، ولا في الوقع واقعا ، مسحا من مسح هذا الرجل هذه الرايا النعيسة والخصائص الشريفة ! أن يكون علام من أبناء عرب مكة ، يشأ بين أهله ، لم يحاط الحكاء ، وخرج اعزمت بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من إفلاطون وأرسطو ! ولم يماثر أرباب الحكم الخلفية والآداب العساية ؛ لأن قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك ، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط ! ولم يرب بين الشجعان ، لأن أهل مكة كانوا ذوي تمهارة ، ولم يكونوا ذوي حرب ؛ وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض ؛ قيل لحاتم الأحمري : أجب أشجع عنسة وبسطام أم علي بن أبي طالب ؟ فقال : إنما يذكر عنسة وبسطام مع لشر والناس ، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة ، فتبيل له : على كل حال . قال : والله لو صاح في وجوهها لانا قبل أن يحمل عليهما . وخرج أفصح من سحبان وقس ، ولم تكن قريش بأفصح العرب ، كان غيرها أفصح منها ؛ قالوا : أفصح العرب جرهم وإن لم تكن لهم بياهة . وخرج أرعد الناس في الدنيا ، وأعمهم ؛ مع أن قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا ، ولا غرو فيمن كان

محمد صلى الله عليه وآله مربيه ومخرجه ، والعناية الإلهية تمتد وترقده أن يكون منه ما كان !



يقال : احتسب ولده ، إذا مات كبيرا ، وفترط ولده ، إذا مات صغيرا .

قوله : « فمنهم الآتي ... » ، قسم جنده أقساماً ، فمنهم من أجابه وخرج كلها للخروج ، كما قال تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ ﴾ ^(١) ، ومنهم من قعد واعتل بعلته كاذبة ، كما قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّا بِيُتُوكَا عَوْرَةً وَمَا عَلَيْنَا مِثْرَةٌ إِن يَأْمُرُونا إِلَّا فِرَارًا ﴾ ^(٢) ، ومنهم من تأخر وصرح ، بقعود والخذلان ، كما قال تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) . والمعنى أن خلفه كانت ماضية لحال النبي صلى الله عليه وآله ، ومن تذكر أحوالها وسيرتها ، وما جرى لها إلى أن قضيت ، علم بتحقيق ذلك .

ثم أقسم أنه لو لا طمعه في الشهادة لما أقام مع أهل العراق ولا معهم .

فإن قلت : فهلا خرج إلى معاوية وحده من غير جيش إن كان يريد الشهادة ؟

قلت : ذلك لا يجوز ، لأنه إلقاء النفس إلى التهلكة ، والشهادة شروط متى فقدت ؛

فلا يجوز أن تحمل إحدى الحالتين على الأخرى .

(٢) سورة الأحزاب ١٣ .

(١) سورة الأنفال ٦ .

(٣) سورة التوبة ٨١ .

(٣٦)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش
أنفذه إلى بعض الأعداء ، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل :

فَسَرَّخْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا ،
وَنَكَّصَ رَأْسَهُ ، فَدَحِقُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ صَفَّتِ الشَّمْسُ لِلْأَيَّامِ ، فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا
كَلَاوِلًا ، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْهَبِ سَاعَةٍ حَتَّى نَعَا جَرِيصًا ، دَمَدَ مَا أَحَدٌ مِنْهُ بِالْمُخَشَقِ ،
وَلَمْ يَتَّقِ مِمَّنْ عِبرَ الرَّمَقِ ؛ فَلَا يَأْتِي مَا نَعَا .

فَدَعَا عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرَكْتَهُمْ فِي الصَّلَالِ ، وَتَجَوَّأَهُمْ فِي الشَّقَاقِ ، وَحَاحَهُمْ
فِي النَّيِّهِ ، فَلَهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ كَهْمَايِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلِي ، فَجَرَتْ قُرَيْشًا عَمِّي نَجْوَارِي ؛ فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ؛ وَسَلَبُونِي
سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ دَأْيٍ فِي انْقِدَالٍ ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ؛
لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزًّا ، وَلَا تَعَرُّفُهُمْ عَنِّي وَخَشَةً ، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ
— وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ — مُتَصَرِّعًا مُتَحَشِّمًا ، وَلَا مُقِرًّا لِلصَّيْمِ وَاهِيًا ، وَلَا سَلِسَ الزَّمَامِ
لِلْقَائِدِ ، وَلَا وَطِيءَ الطَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُقْتَمِدِ ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ :
فَإِنْ تَسْأَلُنِي كَيْفَ أَتَى فُلَانِي سَبُورٌ عَلَى دَبِّبِ الزَّمَامِ صَلِيبُ
يَعْرِ عَلَى أَنْ تَرَى فِي كَلْبَةٍ فَبَشَمَتْ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

البُشْرُخ :

قد تقدم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصنا ذكر حال بُشْرَيْن أرملة وغلته على اليمن في أول الكتاب .

ويقال : طَلَعَت الشمس - بالتشديد - إذا مالت للغروب ، وطلعت الليل ، مشدداً أيضاً ، إذا أقبل ظلامه ، والطلُّع ، بالتحريك : بعد المصير حين تطلع الشمس للغروب ؛ ويقال : أتيت طَلْعِي ؛ أي في ذلك الوقت .

وقوله عليه السلام : « للإياب » أي للرجوع ، أي ما كانت عليه في الليلة التي قبلها ، بمعنى غيبتها تحت الأرض . وهذا الخطاب إنما هو على قدر أفهام العرب ؛ كانوا يمتدنون أن الشمس منزلها ومقرها تحت الأرض ، وأنها تخرج كل يوم فتسير على العالم ، ثم تعود إلى منزلها ، فتأوي إليه كما تأوي الناس ليلاً إلى منازلهم .

وقال الراوندي : « عند الإياب » عند الزوال : وهذا غير صحيح ، لأن ذلك الوقت لا يسمى طلوعاً ، ليال : إن الشمس قد طلعت فيه .

قوله عليه السلام : « هافتلوا شيئاً كلا ولا » ، أي شيئاً قليلاً ، وموضع « كلا ولا » نصب ، لأنه صلة « شيئاً » وهي كلمة تقال لما يستقصر وقته حداً ؛ والمرووف عند أهل اللغة : « كلاوذا » ، قال ابن هاني « المرفي » :

وأسرعُ في المين من لحظَةٍ وأقصرُ في السمع من لا ، ودا

وفي شعر الكميث « كلا وكدا تميمية »^(١) .

وقد رويت في « نهج البلاغة » ، كذلك ، « لا أن في أكثر النسخ : « كلا ولا » ، ومن أساس من برويها : « كلا ولات » ، وهي حرف أخرى « ليس » ؛ ولا تحي

(١) البيت بتملة :

كَلَّا وكدا تميميةُ ثم هيجتمُ لدى حين أن كانوا إلى النوم أفترا

« حين » إلا أن تحذف في شعر ، ومن الرواة من يروونها : « كلا ولاى » ، ولاى فتل ، معناه أبطأ .

قوله عليه السلام : « نجا حريصا » ، أى قد عصم بالريق من شدة الجهد والكرب ، يقال : جَرَّضَ بريقه يجرِّص بالكر ، مثال كسر بكسر ، ودخل حريض مثل قَدَّرَ يُقدِّرُ فهو قدير ، ويجوز أن يريد بقوله : « نجا حريصا » ، أى دا حريض ، والحريض : المصّة نفسها ، وفي المثل : « حال الحريض دون القريض » قال الشاعر :

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَفْرِقْ فِي النَّاسِ لَيْثَةً إِذَا اخْتَلَفَ اللَّحْيَيْنِ عِنْدَ الْحَرِيضِ^(١)
قال الأصمى : ويقال : هو يجرِّضُ سببه ، أى يكاد يموت ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وَأَقْلَبْنِي عِلْمًا جَرِيصًا وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَيْرَ الْوِطَاطِ^(٢)
وأحرضه الله بريقه : أعصه .

قوله عليه السلام : « بعد ما أحد منه ، فمحق » ، هو موضع الخلق من الحيوان ، وكذلك الخلق ، بالصم ؛ يقال أحد مخدقه ، فم الخلق ، بالكسر ؛ فالحل تحقّق به الشاة . والرمق : نقيّة الروح .

قوله عليه السلام : « فلايا بلاى ماى » ، أى بعد بطلان وشدة ، وما رائدة أو مصدرية ، وانتصب « لايا » على المصدر العائم مقام حال ، أى ما مبطلًا ، والعامل في المصدر محذوف ، أى أبطأ بطلًا ؛ والفائدة في تكرير اللفظة ، بالغة في وصف البطء الذى نجا موصوفه به ، أى لايا مقرونا بلاى .

وقال الراوندى : هذه القصة وهذا الحارب حريضا وبعد لأى ما نحا ، هو معاوية ، قال :
وقد قيل : إن معاوية بعث أمويًا فهرب على هذه الحال ؛ والأول أصح ، وهذا عجيب
مضحك وددت له ألا يكون شرح هذا الكتاب !

قوله : « ودع عنك قريشاً » إلى قوله : « على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله » ،
هذا الكلام حق ، فإن قريشاً اجتمعت على حربه منذ يوم يبيع بمصاً له وحسداً وحقدًا
عليه ، فأنصفوا كلهم يداً واحدة على شقائه وحربه ، كما كانت حالهم في ابتداء الإسلام مع
رسول الله صلى الله عليه وآله ، لم نحرّم حاله من حله أبداً إلا أن ذلك عصمه الله من القتل ،
فما موتا طيميا ، وهذا اعتاله إسان قتله .

قوله : « حرت قريشاً عنى الحواري ، هذا قطعوا نسبي » ، وسلطوا سلطان ابن أمي ،
هذه كلمة تجرى مجرى المثل ، تقول لمن يسىء إليك وتدعو عليه : حرتك عنى الحوازي !
يقال حراء الله بما صنع ، وحراء الله بما صنع ! ومصدر الأول حراء ، والثاني محاراة ، وأصل
الكلمة أن الحواري جمع حازية كالحواري جمع حربة ، فكأنه يقول : حَزَتْ قريشاً عني بما
صنعت لي كلَّ حيلة من نكبة أو شدة أو مصيبة أو حائجة ، أى جعل الله هذه الدواهي
كلها حزاء قريش بما صنعت لي . وسلطان ابن أمي ، يعنى به الخلافة ، وابن أمه هو رسول الله
صلى الله عليه وآله ، لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم ، أم عبد الله
وأبي طالب ، ولم يقل سلطان ابن أبي ؛ لأن غير أبي طالب من الأعمام يشركه في النسب
إلى عبد المطلب .

قال الراوندى : الجواري : جمع حازية ، وهى النفس التى تجرى ، أى حرام وفعل بهم
ما يستحقون عساكر لأحلى وفى يابتي ، وكافهم سرية تنهمر إليهم ؛ وهذا إشارة إلى بني
أمية يهلكون من بعده . وهذا تقدير عريب طريف .

وقال أيضا : قوله : « سلطان ابن أمي » يعني نفسه ، أي سلطانه ، لأنه ابن أم نفسه ، قال : وهذا من أحسن الكلام ، ولا شبهة أنه على تفسير الراوندي لو قال : وسلبوني سلطان ابن أخت خالتي ، أو ابن أخت عمي ، لكان أحسن وأحسن ، وهذا الرجل قد كان يجب أن يُمنَّحَ عليه ، ولا يمكن من تفسير هذا الكتاب ، ويؤخذ عليه أيمان البيعة ألا يتمرض له

قوله : « فإن رأيت قتال المحدثين » ، أي الخارجين من الميثاق والبيعة ، يعني الثغاة ومخالفي الإمام ، ويقال : لكل من حرج من إسلام أو حرب في الحرم أو في الأشهر الحرم : مُحِلٌّ ، وعلى هذا فسر قول زهير :

• وكم مالتنان من محِلٍّ ومُحَرَّمٍ ^(١) •

أي من لا دمة له ومن له دمة ، وكذلك قول خالد بن زيد بن معاوية في زوجته رَمْلَة بنت الزبير بن العوام :

ألا من لقل معنى عرل
يحب الميعة أحب الحِلِّ
أي ناقصة المهد أخت المحارب في الحرم ، أو أخت ناقصة بيعة بني أمية .
وروي « متخضعا متفرضا » بالصاد .

ومقرأ للعصم وبالضيم ، أي هو راض به ، صابر عليه . وواها ، أي صديقا .
السلس : السهل : ومقصد البعير : راحته .

والشعرُ ينسب إلى العباس بن مراد بن السلمي ، ولم أجده في ديوانه ، وممناه طاهر ،
وفي الأمثال الحكمية : لا تشكونَ حات إلى مخلوق مثلك ، فإنه إن كان صديقا أحزنته ،
وإن كان عدوا أشمتته ، ولا خير في واحد من الأمرين .

(١) ديوانه ١١ وصدره :

• جَمَلْنَا الْقَنَانِ عَنْ يَمِينٍ وَحَزَنَةٍ •

(٢٧)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فَبَيْنَمَا اللَّهُ مَا أَشَدَّ لَزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَمَتِّعَةِ ، مَعَ
تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ ، وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ تَعَالَى طَلِبَةٌ ، وَعَلَى عِبَادِهِ
حُجَّةٌ .

فَإِنَّمَا إِكْتَشَارُكَ الْإِحْبَاحَ عَلَى عُثْمَانَ وَخَتَلَتِهِ ؛ فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَصْرَتْ عُثْمَانَ حَيْثُ
كَانَ اسْتَصْرُ لَكَ ، وَحَدَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ اسْتَصْرُ لَهُ ، وَالسَّلَامُ .

الْبَرْخ :

أول هذا الكتاب قوله :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ حَضِرَةٌ دَاتُ رُبَّةٍ وَبَهْجَةٍ ، لَمْ يَصُبْ إِلَيْهَا أَحَدٌ إِلَّا وَشَفَلَتْهُ
بَزِيَّتُهَا عَمَّا هُوَ أَقْبَعُ لَهُ مِنْهَا ، وَبِالْآخِرَةِ أَمْرًا ، وَعَلَيْهَا حُسْنًا ، فَدَعِ يَا مُعَاوِيَةَ مَا يَمَسُّ ،
وَأَعْمَلْ لِمَا يَبْقَى ، وَاحْتَدِ الْمَوْتَ الَّذِي إِلَيْهِ مُصِيرُكَ ، وَالْحِسَابَ الَّذِي إِلَيْهِ عَاقِبَتُكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ حَالٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَكْرَهُ ، وَوَفَّقَهُ لَطَاعَتِهِ ، وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ سُوءٍ أَعْرَاهُ بِالدُّنْيَا ، وَأَسَاءَ الْآخِرَةَ ، وَسَطَّ لَهُ أَمَلُهُ ، وَعَاقَهُ عَمَّا فِيهِ صَلَاحُهُ ،
وَقَدْ وَصَلَنِي كِتَابُكَ فَوَجَدْتُكَ تَرَى غَيْرَ عَرِيضٍ ، وَتَنْشُدُ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ، وَتَنْحَبِطُ فِي عِمَايَةِ .

وتثنيه في ضلالة ، وتمتصم بغير حجة ، وتلرد بأصنف شبهة .

فأما سؤالك التاركة والإقرار لك على شام ، فلو كنت فاعلا ذلك اليوم لفعلته أمس .
وأما قولك : إن عمر ولاه فقد عزل من كان ولاه صاحبه ، وعزل عثمان من كان عمر ولاه ولم يصب للناس إمام إلا يرى من صلاح الأمة إماما قد كان ظهر لمن قبله ، أو أخفى عنهم عينه ، والأمر يحدث بهذه الأمور ، ولكل وال رأى واحتهاد . فسيحان الله ! ما أشد لزومك للأهواء المتبدعة ، والخيرة المتبعة . . . إلى آخر الفصل .

وأما قوله عليه السلام : « إنما نصرت عثمان حيث كل النصر لك . . . » إلى آخره ، فقد روى البلاذري قال : لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده ، نث يزيد بن أسد القسري ، جد خالد بن عبد الله بن يزيد أمير المرق وقال له : إذا أتيت ذا حشب فأقيم بها ، ولا تتجاوزها ، ولا تمل : الشاهد كرى ما لا يرى العائب ؛ فبني أنا الشاهد ، وأنت العائب .



قال : فأقام بذي حشب حتى قتل عثمان ، فأستقدمه حينئذ معاوية ، فعاد إلى الشام بالحيش الذي كان أرسل منه ، وإتصا صبح ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعوه إلى نفسه .

وكتب معاوية إلى ابن عباس عند صلح الحسن عليه السلام له كتابا يدعو فيه إلى بيعته ، ويقول له فيه :

ولعمري لو قتلتك بعثمان رحوت أن يكون ذلك لله رضا ، وأن يكون رأيا صوابا ، فإنك من الساعين عليه ، والخاديين له ، واسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنحك مني ، ولا بيدك أمان .

فكتب إليه ابن عباس جوابا طويلا يقول فيه : وأما قولك إني من الساعين على عثمان ، والخاديين له ، واسافكين دمه ؛ وما جرى بيني وبينك صلح فيمنحك مني .

(٣٨)

الأنزل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشر :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ قَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى أَهْلِ مِصْرَ الَّذِينَ عَمِلُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ
فِي أَرْضِهِ ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ ، فَصَرَبَتْ أَعْوَادُ سُرَادِقِهِ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، وَالْمَقِيمِ
وَالطَّاعِينَ ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ ، وَلَا مُنْكَرٌ يُنْهَاهِي عَنْهُ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَيْنِدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، لَا يَنَامُ أَبَامَ الْخَوْفِ ،
وَلَا يَسْكُلُ عَنْ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتٍ لَرَوْحٍ ؛ أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِّقِ النَّارِ ، وَهُوَ
مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَحْمَرٌ مَذْحِجٍ ، فَاسْمَعُوا لَهُ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ ،
فَإِنَّهُ سَيِّئٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، لَا كَلِيلُ الظُّلْمَةِ ، وَلَا نَاقِ الصَّرِيَّةِ ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ
أَنْ تَسِيرُوا فَانْصَرِفُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا فَاقِيمُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُخْجِئُ ،
وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي ؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِصِحِّحَتِهِ لَكُمْ ،
وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ .

السنخ :

هذا الفصل يُشكّل على تأويله ، لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد
أمير المؤمنين عليه السلام أنهم عصوا لله حين عُصِيَ في الأرض ، فهذه شهادة قاطعة
على عثمان بالعصيان ، وإتيان المنكر ، ويمكن أن يقال وإن كان متعسفًا : إن الله تعالى

غَضِبَ فِي الْأَرْضِ لَا مِنْ عَثَانَ ؛ بَلْ مِنْ وُلَاتِهِ وَأَمْرَاتِهِ وَأَهْلِهِ ، وَغَضِبَ بَيْنَهُمْ بِحَقِّ اللَّهِ ،
وَضَرَبَ الْحَوَازِ سُرَادِقَهُ بِوَلَايَتِهِمْ ، وَأَمْرَهُمْ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، وَالْقِيمِ وَالْفُتَّاعِ ، فَشَاعَ الْمَنَكَرُ ،
وَقُدِّ الْمَعْرُوفُ . يَتَى ^(١) أَنْ يَقَالَ : هَبْ أَنْ الْأَمْرَ كَمَا تَأُولَتْ ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ غَضِبُوا اللَّهَ إِلَى
مَاذَا آلَ أَمْرُهُمْ ؟ أَلَيْسَ الْأَمْرُ آلَ ^(٢) إِلَى أَنَّهُمْ قَطَعُوا الْمَسَافَةَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَتَلُوا عَثَانَ ؟
فَلَا تَعْدُوا حَالَهُمْ أَمْرَيْنَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا أَحْضَرُوا اللَّهَ بِقَتْلِهِ فَيَكُونُ عَثَانُ حَاضِياً مُسْتَحَقّاً لِلْقَتْلِ ،
أَوْ يَكُونُوا أَسْخَطُوا اللَّهَ تَعَالَى بِقَتْلِهِ فَعَثَانُ إِنَّمَا عَلَى حَقٍّ ، وَهُوَ الْفَسَاقُ الْعَصَاةُ ، فَكَيْفَ
يَجُوزُ أَنْ يَحْتَلِمَ أَوْ يَحَاطَمَ حُطَّابَ الصَّالِحِينَ ؟ وَعَمَّا أَنْ يَحَاطَبَ عَنْ ذَلِكَ بِأَتَمِّهِمْ غَضَبُوا
لَهُ ، وَجَاءُوا مِنْ مِصْرَ ، وَأَسْكُرُوا عَلَى عَثَانَ تَأْمِيرَهُ الْأَمْرَاءَ الْفَسَاقَ ، وَحَصَرُوهُ فِي
دَارِهِ طَلَبًا أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمْ مَرْوَانَ لِيَحْصِرُوهُ ، أَوْ يُؤَدِّبُوهُ عَلَى مَا كَتَبَهُ فِي أَمْرِهِمْ ، فَلَمَّا حُصِرَ
طَمَعَ فِيهِ مُبْصَرُهُ وَأَعْدَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا ، وَصَارَ مَعْظَمُ النَّاسِ إِلَيْهَا عَلَيْهِ ، وَقَتْلَ
عَدَدِ الْمَصْرِيِّينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا اجْتَمَعَ مِنَ السُّلَاسِ عَلَى حَصْرِهِ وَمَطَالَبَتِهِ بِجَلْعِ نَفْسِهِ ، وَتَسْلِيمِ
مَرْوَانَ وَغَيْرِهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَيْهِمْ ، وَعَزَلَ عَمَلَهُ ، وَالْإِسْتِبْدَالَ بِهِمْ ، وَلَمْ يَكُونُوا حِينَئِذٍ
يَطْلُبُونَ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ غَوَا مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ تَسَوَّرُوا دَارَهُ ، حَرَمًا بِمَنْ عَجِدهُ بِالسَّهَامِ
فَجُرَّحَ بِمُضْهِمٍ ، فَقَادَتِ الْضَّرُورَةُ إِلَى الزُّرُولِ وَالْإِطَاعَةِ بِهِ ، وَتَسَرَّعَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ
فَقَتَلَهُ . ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الْقَاتِلَ قُتِلَ فِي الْوَقْتِ ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِيهَا تَقْدِيمًا ، وَتَرْجُمَةً ، فَلَا يَلْزَمُ
مِنْ مَسْقَرِ ذَلِكَ الْقَاتِلِ وَعَصِيَايِهِ أَنْ يَفْسُقَ الدِّقُونَ ، لِأَنَّهُمْ مَا أَسْكُرُوا إِلَّا الْمَنَكَرَ ؛ وَأَمَّا
الْقَتْلُ فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ ، وَلَا دَامَوْهُ وَلَا أَرَادُوهُ ، فَحَارَ أَنْ يَقَالَ : إِنْهُمْ غَضِبُوا اللَّهَ ، وَأَنْ يُثْنَى
عَلَيْهِمْ وَيُعَذَّبَ .

ثُمَّ وَصَفَ الْأَشْتَرُ بِتَأْوِيلِهِ بِهِ ، وَرِثَ قَوْلَهُ : « لَا يَنَامُ أَيَّامَ الظُّلُوفِ » قَوْلُهُمْ :

« لَا يَنَامُ لَيْلَةَ يَحَافٍ ، وَلَا يَشْبَعُ لَيْلَةَ يُصَافٍ » ، وَقَالَ :

(١) كَقَالَ ١ ، وَلِ ب : « يَتَى » . (٢) سَائِطَةٌ مِنْ ب .

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مَبْطُناً مُسْتَهْذاً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجْلِ (١)

ثم أمرهم أن يطيعوه فيما يأمرهم به متى يطابق الحق ، وهذا من شدة دينه وصلابته عليه السلام ، لم يسامح نفسه في حق أحب خلق إليه أن يهمل هذا القيد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » :

وقال أبو حنيفة : قال لي الربيع في دهبير الصور : إن أمير المؤمنين يأمرني بالشيء بعد الشيء من أمور ملكه ، فأقده وأن حاتف على ديني ، فما تقول في ذلك ؟ قال - ولم يقل لي ذلك إلا في ملأ السلس : ففت له : أيا أمر أمير المؤمنين يبر الحق ؟ قال : لا ، قلت : فلا بأس عليك أن تعمل بالحق ؟ قال أبو حنيفة : فأراد أن يصطادني فاصطدته .

والذي صدع بالحق في هذا المقام الحسن البصري ، قال له عمر بن هبيرة أمير العراق في حلافة يزيد بن عبد الملك في ملأ من الناس ، منهم الشعبي وابن سيرين : يا أبا سعيد ، إن أمير المؤمنين يأمرني بالشيء أعلم أن في سعيه الهلكة في الدين ، فما تقول في ذلك ؟ قال الحسن : ماذا أقول ! إن الله ماسك من يزيد ، ولن يمنحك يزيد من الله ، يا عمر حب الله ، وادكر يوما يأتيك تتمحض لينته عن القيامة ، إنه سينزل عليك ملك من السماء فيحطك عن سرك إلى قصرك ، ويصطرك من قصرك إلى زوم فراشك ، ثم ينقلك عن فراشك إلى قبرك ، ثم لا يُغنى عنك إلا عملك ؟ فقال عمر بن هبيرة بأكيا يصطك لسانه .

قوله : « فإنه سيف من سيوف الله » ، هذا لقب خالد بن الوليد ، واختلف فيمن

(١) لأبي كبير الهذلي ، ديوان الحماسة - ، بفتح التري - ٨٦ . الهوجل : التليل الكسلان .

لقبه به ، فقيل : لقبه به رسول الله صلى الله عليه وآله ، والصحيح أنه لقبه به أبو بكر ، لقتاله .
أهل الردة ، وقتله مسيلمة .

والطُّبَّة ، بالتخفيف : حذو السيف . والنابي من السيوف : الذي لا يقطع ؛ وأصله نَبَا ، أى ارتفع ؛ فلما لم يقطع كل مرتفعاً ، فسَمِيَ نَابِيَا ؛ وفى الكلام حذف تقديره :
ولا ناب صارب الضريبة ، وصارب الضريبة هو حذو السيف ، فأما الضريبة نفسها فهو الشيء
المضروب بالسيف ، وإنما دخلته الهاء وهن كل بمعنى « مفعول » لأنه صار فى عداد الأسماء ،
كالتعليقة والأَكِيلَة .

ثم أمرهم بأن يطعموه فى جميع ما يأمرهم به من الإقدام والإحجام ، وقال : إنه لا يقدم
ولا يؤخر إلا عن أمرى ، وهذا إن كان قاله مع أنه قد سمح له أن يعمل برأيه فى أمور الحرب
من غير مراحمته فهو عظيم جداً ؛ لأنه يكون قد أقامه مقام نفسه . وحار أن يقول : إنه لا
يعمل شيئاً إلا عن أمرى ، وإن كان لا يرأيه فى المراتب على عادة العرب فى مثل ذلك ؛
لأنهم يقولون فيمن يشقون به نحر ذلك ، وقد ذهب كثير من الأصوليين إلى أن الله تعالى
قال لمحمد صلى الله عليه وآله : احكم بما شئت فى الشريعة ، فإنك لا تحكم إلا بالحق ، وإنه كان
يحكم من غير مراحمته لجبرائيل ، وإن الله تعالى قد قال فى حقه : ﴿ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى *
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ^(١) ، وإن كل عليه السلام قال هذا القول عن الأشر ، لأنه قد قرّر
منه بینه وبينه ألا يعمل شيئاً قليلاً ولا كثيراً إلا بعد مراحمته ، فيجوز ، ولكن هذا
بميد ، لأن المسافة طويلة بين العراق ومصر ، وكات الأمور هناك تنف وتفسد .

ثم ذكر أنه أمرهم به على نفسه ، وهكذا قال عمر لما أتته عبد الله بن مسعود إلى الكوفة
فى كتابه إليهم : قد أرتكم به على نفسى ؛ وذلك أن عمر كان يستفتيه فى الأحكام ، وعلى
عليه السلام كان يصول على الأعداء بالأشر ، ويقوى أنفس جيوشه بمقامه بينهم ، فلما بعثه
إلى مصر كان مؤثراً لأهل مصر به على نفسه .

(٣٩)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص :

فإِنَّكَ قَدْ جَمَعْتَ دِينَكَ نَسَاءً لِدُنْيَا لَمْرِيٍّ ظَاهِرٍ عَيْثُ ، مَهْتُولٍ سِتْرُهُ ، يَشِينُ
الْكَرِيمَ بِتَخْفِيسِهِ ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِمُخَالَفَتِهِ ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ ، وَطَلْتَ قَصْلَهُ ؛ اتَّسَعَ
الْكَلْبُ لِلصَّرْعَامِ يَكْوِذُ بِمُخَالِفِهِ ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُتَّقَى إِلَيْهِ مِنْ قَمَلٍ قَرِيبِهِ .
فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَحَدْتَ أَذْرَكَتَ مَا طَلْتَ .
عَيْنُ يُمَكِّنُ اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سَعْيَانَ أَجْرُكُمَا يَمَّا قَدَّمْتُمَا ، وَإِنْ تَفْجَرَا
وَتَنْقِيَا ، مِمَّا أَمَّاكُمْ شَرًّا لَكُمْ . وَاللَّامُ

الشرح :

كل ما قاله فيهما هو الحق الصريح بعبه ، لم يحملته بنفسه لهما ، وعيظه منهما ، إلى أن
بالغ في ذمهما به ، كما بالغ الفصحاء عند سورة المص ، وتدقق الألفاظ على الألسنة ،
ولا ريب عند أحد من العقلاء دوى الإصاف أن عمرا جعل دينة تبعاً لدنيا معاوية ،
وأنه ما يابسه وتابسه إلا على حيلة جعلها له ، وضمان تكفل له بإيصاله ، وهي ولاية مصر
مؤجلة ، وقطعة وافرة من المال معجلة ، ولولده وعلاؤه ما ملأ أعينهم .

فأما قوله عليه السلام في معاوية : « ظهري عيئه » ، فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه ؛
وكل باغ غلو .

أما مهتوك ستره ، فإنه كان كثير الهزل والخلاعة ، صاحب جُلُساء ومُتار ، ومماوية لم يتوقر ، ولم يلزم قانون الرياسة إلا منذ خرج على أمير المؤمنين ، واحتاج إلى الناموس والسكينة ، وإلا فقد كان في أيام عثمان شديد التهتك ، موسوما بكل قبيح ، وكان في أيام عمر بن الخطاب نفسه قليلا خوفا منه ، إلا أنه كان يلبس الحرير والديباة ، ويشرب في آنية الذهب والفضة ، ويركب البغال ذوات التروج المحلاة بها ، وعليها جلال الديباة والوشى ؛ وكان حينئذ شابا ، وعنده نرق الصبا ، وأثر الشبية ، وسكر السلطان والإمرة ؛ ونقل الناس عنه في كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام ، وأما بعد وفاة أمير المؤمنين واستقرار الأمر له فقد احتلف فيه ، فقيل : أنه شرب الخمر في ستر ، وقيل : إنه لم يشربه . ولا خلاف في أنه سمع النساء وطرب عليه ، وأعطى ووصل عليه أيضا .

وروى أبو الفرج الأصفهاني قال : قال تميم بن الحارث العاص لمماوية في قدمة قدمها إلى المدينة أيام خلافته : قم بنا إلى هذا الذي قد هدم شرقه ؛ وهتك ستره ، عبد الله ابن جعفر ، نقف على بابه ، فسمع غناء جواريه ، فاما ليلا ومعهما وردان علام تمرو ، ووقفا بباب عبد الله بن جعفر ، فاستمع النساء وأحسن عبد الله بوقوفهما ، فتفتح الباب ، وعزم على ممماوية أن يدخل ، فدخل ، فجلس على سرير عبد الله ، فدعا عبد الله له وقدم إليه سيرا من طعام ، فأكل ، فلما أيس قال : يا أمير المؤمنين ، ألا تأذن لجواريك أن يتنعمن أصواتهن ، فإنك قطعتهما عليهن ؟ قال : فيقلن ، فرفعن أصواتهن ، وجعل ممماوية يتعرك قليلا قليلا حتى ضرب برجله السرير ضربا شديدا ، فقال عمرو : قم أيها الرجل ، فإن الرجل الذي حثت لتلجأ أو لتعجب من أمره أحسن حالا منك . فقال : مهلا ، فإن الكريم طروب !



أما قوله: « يشين الكريم بمجلسه ، ويسفه الخليم بمخبطه » : فالأمر كذلك ، وإنه لم يكن في مجلسه إلا شتم بي هاشم وقد فهم ، والتمترص بذكر الإسلام ، والطمع عليه ، وإن أظهر الانتماء إليه . وأما طلب عمرو فعنه واتباعه أثره اتباع الكلب للأسد فظاهر ، ولم يقل : الثعلب ، غصا من قدر عمرو ، وتشبها له عما هو أشنع في الإهانة والاستخفاف .

ثم قال : « ولو بالحق أخذت أدركت ما صلت » ، أى لو قدمت عن بصره ولم تشخص إليه مماثلا به على الحق لو وصل إليك من بيت مال قدر كعائتك .

ولقائل أن يقول : إن عمرا ما كان يطلب قدر الكفاية وعلى عليه السلام ما كان يعطيه إلا حقه فقط ، ولا يعطيه لدا ولا طورا من الأطراف ، وألذى كل يطلب ملك مصر ، لأنه فتحها أيام عمر ووليها ربيعة ، وكانت حرة في قلبه ، وحرازة في صدره ، فباع آخرته بها ، فالأولى أن يقال : معناه لو أخذت بالحق أدركت ما طلبت من الآخرة .

فإن قلت : إن عمرا لم يكن على عليه السلام يعتقد أنه من أهل الآخرة ، فكيف يقول له هذا الكلام ؟

قلت : لا حائل ولا رائل في كلامه عليه السلام ، لأنه لو أحد بالحق لكان معتقدا كون على عليه السلام على الحق باعتقاده صحة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصحة التوحيد ، فيصير تقدير الكلام : لو بايتمنى معتقدا لزوم بيئتي لك لكنت في ضمن ذلك طالبا الثواب ، فكنت تدركه في الآخرة .

ثم قال مهذبا لهما ، ومتوعدا إياهما : « فإن يؤمّن الله بك ومن ابن أبي سفيان » ، وأقول : لو طهر بهما لما كان في طالب ظني بقتلهما ، فإنه كان حليما كريما ، ولكن كان يحسبهما ليحسبهم بحسبهما مادة فسادهما .

ثم قال : « وإن تُعجزا وتبقيا » ، أى وإن لم أستطع أخذكما أو أمت قبل ذلك وبقيتما بعدى ، ها أمامكما شر لكما من عقوبة الدنيا ؛ لأن عذاب الدنيا منقطع ، وعذاب الآخرة غير منقطع .

وذكر نصر بن مزاحم فى كتاب « ميفى » هذا الكتاب زيادة لم يذكرها الرضى . قال نصر : وكتب على عليه السلام إلى عمرو بن العاص :
 من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأثر ابن الأثر عمرو بن العاص بن وائل ، شافى محمد وآل محمدى المصاهرة والإسلام ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإنك تركت مردءك لامرئ فاسق مهتوك ستره ، بشيق الكرم محمدى ، وسعة الخيم بخلطه ، فصار قلبك لقبه نعا ، كما قيل : « واقى شئ طيبة » سلبك دينك وأمانتك ودياك وأخرتك ، وكان علم الله مالما فبك ، نصرت كالبث يبيع الصر عام إذا ما الليل دجى ، أو أتى الصبح يلتمس فاضل سواره ، وحوايا فريسته ، ولكن لا بجاه من القدر ، ولو مالحى أخذت لأدركت ما رجوت ، وقد رُشد من كان الحق قائده ، فإن يمسين الله منك ومن ابن آكلة الأكباد ، الحفتكما بمن قتله الله من طمة فريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن تُعجزا وتبقيا بعدى ، والله حنبكما ، وكفى بانتقامه انتقاما ، وبعقابه عقابا والسلام .

(٤٠)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِن كُنْتَ قَعَدْتَهُ فَقَدْ اسْتَخَطْتَ رَبَّكَ ، وَقَصَصْتَ
إِمَامَكَ ، وَأَخْرَيْتَ أَمَانَتَكَ . مَتَفَيَّ أَنْتَ حَرَدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ ،
وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ بَدَنِكَ ، فَأَرْفَعْ إِنِّ حِسَابُكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ
حِسَابِ النَّاسِ ؛ وَالسَّلَامُ .

الشرح :

أَخْرَيْتَ أَمَانَتَكَ : أَدَلَّسَهَا وَاهْتَسَبَهَا ، وَحَرَدْتَ الْأَرْضَ : قَشَرْتَهَا ؛ وَالْعَلَى أَنَّهُ سَبَّهَ
إِلَى الْخِيَانَةِ فِي الْمَالِ ، وَإِلَى إِخْرَابِ الصَّبِيحِ ، وَفِي حِكْمَةِ أَبِرْوَرٍ أَنَّهُ قَالَ لَخَارِنِ بَيْتِ الْمَالِ :
إِنِّي لَا أُحْتَمِكُ عَلَى حَيَاةٍ دِرْهَمٍ ، وَلَا أُحَدِّثُ عَلَى حِفْظِ عَشْرَةِ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا
تَحْقِيقُ بِذَلِكَ دِمَاقَكَ ، وَتَصْمُرُ بِهِ أَمَانَتَكَ ، وَإِنَّكَ إِن خَشْتَ قَلِيلًا خَشْتَ كَثِيرًا ، فَأَحْذَرُ مِنْ
حَاصِلَتَيْنِ : مِنَ التَّنْعَاسِ فَمَا تَأْخُذُ ، وَمِنَ الزِّيَادَةِ فَمَا تُدْهِلُ ؛ وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَجْعَلْكَ عَلَى ذِمَّةِ
الْمَلِكِ ، وَصِمَارَةِ الْمُلْكَةِ ، وَالْعِدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ ، إِلَّا وَأَتِ أَمِينٌ عَسَدِي مِنَ الْمَوْضِعِ
الَّذِي هِيَ فِيهِ ، وَمِنْ خَوَاتِمِهَا الَّتِي هِيَ عَلَيْهَا ، لِحَقِّقِ ظَنِّي فِي اخْتِيَارِي إِيَّاكَ أَحَقُّ ظَنِّكَ
فِي رَحَائِكَ لِي ، وَلَا تَتَمَوَّضْ بِخَيْرٍ شَرًّا ، وَلَا بِرَفْعَةٍ ضَمَّةً ، وَلَا بِسَلَامَةٍ نَدَامَةً ، وَلَا
بَأَمَانَةٍ خِيَانَةً .

وفي الحديث المرفوع : « من قَلِيَ لَنَا عَمَلًا فَيَتَزَوَّجْ ، وَلِيَتَّخِذْ مَسْكَنًا وَمَرْكَبًا وَخَلْعًا ،
مَنْ اتَّخَذَ سِوَى ذَلِكَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَادِلًا عَالِيًا سَارِقًا » .

وقال مرفي وصيته لابن مسعود : يَا بَنِيَّ وَالْهَدْيَةُ ، وَلَيْسَتْ بِمَحْرَمٍ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكَ الدَّالَّةَ .

وأهدى رجلٌ لعمروَ مَخْدَ خَزُورٍ فَقَبِلَهُ ، ثُمَّ ارْتَمَعَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ مَعَ خَصْمٍ لَهُ ، فَجَمَلَ
فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ يَقُولُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَفَعَيْلُ انْقِصَاءِ بَنِي وَبَيْنَهُ كَمَا يُعْمَلُ فَيُخَذُ الْخَزُورُ .
فَقَضَى عَمْرُو عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ ، وَحَرَّمَ الْهَدَايَا عَلَى الْوُلَاةِ وَالْقُضَاةِ .

وأهدى إنسانٌ إِلَى الْمَيْمَةِ سِرَاحًا مِنْ شَعْرِ ، وَأَهْدَى آخَرُ إِلَيْهِ بَعْلًا ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ لَهَا
حَصُومَةٌ فِي أَمْرِ قَرَأَمَا إِلَيْهِ ، فَجَمَلَ صَاحِبُ السِّرَاحِ يَقُولُ : إِنْ أَمَرَى أَضْوَأَ مِنَ السِّرَاحِ ؛
فَلَمَّا أَكْثَرَ قَالَ الْمَيْمَةُ : وَيَبَحُّكَ ، إِنْ الْبَعْلُ يَرْتَمِجُ سِرَاحًا فَيَكْسِرُهُ .

ومرَّ عَمْرُو بِبَنَاءٍ يُسَمَّى مَا جُرَّ وَجَبَّحَ لِبَعْضِ عَمَلِهِ فَقَالَ : أَيْتَ الدَّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تُخْرَجَ
أَعْمَاسُهَا . وَرَوَى هَذَا الْكَلَامُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَكَانَ عَمْرُو يَقُولُ : عَلَى كُلِّ مَاطِلٍ
أَمِيَانُ : الْمَاءُ وَالطَّيْنُ .

ولَمَّا قَدِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ قَالَ لَهُ عَمْرُو : يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ كِتَابِهِ ، أَسَرَقْتَ
مَالَ اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : لَسْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ وَلَا عَدُوِّ كِتَابِهِ ، وَلَكِنِّي عَدُوٌّ مَنْ
عَادَاهَا ، وَلَمْ أَسْرِقْ مَالَ اللَّهِ . فَضَرَبَهُ بِحَرِيَّةٍ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ ثَنَاهُ بِالذُّرَّةِ ، وَأَغْرَمَهُ عَشْرَةَ
آلَافٍ دَرَاهِمٍ ، ثُمَّ أَحْصَرَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مِنْ أَيْنَ لَكَ عَشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ ؟ قَالَ :
خَيْلِي تَنَاسَلَتْ ، وَعَطَايُ تَلَاخَقُ ، وَمِهَامِي تَتَنَاسَلُ ، قَالَ عَمْرُو : كَلَّا وَاللَّهِ . ثُمَّ تَرَكَ أَيَّامًا ،
ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَا تَعْمَلُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : قَدْ عَمِلَ مَنْ هُوَ خَيْرُ مِنْكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، قَالَ :
مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : يُوسُفُ الصَّدِّيقُ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنْ يُوسُفَ قَبِلَ لِمَنْ لَمْ يَضْرِبْ رَأْسَهُ

وظهره ، ولا شتم عِرْضَه ، ولا نزع مله ، لا والله لا أعمل لك أبدا .

وكلن رباد إذا ولي رحلا قال له : خذ عهدك ، ومرت إلى عميك ، وأعلم أنك محاسب رأس سنتك ، وأنتك ستصير إلى أربع حصل ، فاحتر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضيعنا استبدنا بك لصمتك ، وسلمتلك من معرفتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائنا قويتا استعنا بقوتك ، وأحسنا أدبك على حيدتك ، وأوجعنا ظهرك ، وأثقتنا غرْمك : وإن جمعت علينا الجرمين ، جمعت عليك المصرتين ، وإن وجدناك أمينا قويتا زدنا رزقك ، ورفضنا دكرك ، وكثرنا مالك ، وأوطأنا الرجال عقيقك .

ووصف أعرابي^١ عاملا خائنا قتل : الناس يأكلون أماناتهم لقما ، وهو يحسوها حسوا .

قال أنس بن أبي إيس الدؤلي^(١) لحارثة بن بدر اسداني - وقد ولي سُرْق - وبعال إنسا لأبي الأسود^(٢) :

أحار بن بدر قد وليت ولاية	مكن حردا فيها تحون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئا أصنته	لخطك من ملك العراق سُرْق ^(٣)
وإي تمبا دالمني إن للمني	لأء به الرء الهيوه ينطق ^(٤)
فإن جميع الناس إنا مكذب	يقول بما تهوى وإنا مصدق
يقولون أقسوالا ولا ينعموها	وإن قيل : هاتوا حقائقكم لم يحققوا

فيقال : إنسا يلمت حارثة بن بدر قتل : أصاب الله به الرشاد ، فلم يمد يشارته

ما في نفسي !

(١) في الكامل : « أنس بن أبي إيس » .

(٢) من نسبها إلى أبي الأسود ياقوت في معجم البلدان : ٧٣ .

(٣) سرق : إحدى كور الأهواز . (٤) الهيوه : الجان .

(٤١)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَسْتُكَ فِي أَمَانِي ، وَجَعَلْتُكَ شِمَارِي وَرِطَانِي ،
وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي رَحُلٌ أَوْ ثِقٌ مِنْكَ فِي نَفْسِي ، لِمَوَاسِقِي وَمَوَارِرِي ، وَأَذَاءَ الْأَمَانَةِ
إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الرُّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَيْبَ ، وَشَمَدُو قَدْ حَرَبَ ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ
قَدْ حَرَبَتْ ، وَهَدِيمِ الْأُمَّةِ قَدْ فُتِكَتْ وَشَعَرَتْ ، قَدَّتْ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ ،
فَعَارَفْتَهُ مَعَ الْمُعَارِفِينَ ، وَحَدَلْتَهُ مَعَ الْحَادِلِينَ ، وَحَنَنْتَهُ مَعَ الْخَائِبِينَ ،
فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ .

وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لِلَّهِ تُرِيدُ بِمُحَادِلَةٍ ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَسْعٍ مِنْ رَيْتِكَ ،
وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ ، وَتَنْوِي غُرَّتَهُمْ عَنْ قِيَمِهِمْ ،
فَلَمَّا أُمَكَّنْتُكَ الشَّدَّةَ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ انْكَرَاةً ، وَعَاجَلْتَ الْوُثْقَةَ
وَاحْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الْمَصُونَةِ لِأَرْامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ ، احْتَطَافَ
الذُّبُّ الْأَرْلَ دَامِيَةَ أَمْعَزَى انْكَسِيرَةٍ ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْبِجَارِ رَحِيبَ الصُّدْرِ
بِحَمَلِهِ ، غَيْرَ مُتَأَنِّتٍ مِنْ أَحَدِهِ ، كَأَنَّكَ - لَا أَلَا لِيَبْرَكَ - حَذَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَانِكَ
مِنْ أَيْبِكَ وَأَمِّكَ .

فَسُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ ! أَوْ مَا نَحَافُ بِقَاشِ الْحِسَابِ ! أَيُّهَا الْمَعْدُودُ
كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولَى الْأَلْسَابِ ، كَيْفَ تُسَيِّعُ نَرَانًا وَطَعْمًا ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ
حَرَامًا ، وَتَشْرَبُ حَرَامًا ، وَتَبْتَغِي الْأِيمَاءَ ، وَتَسْكِبُ نِسَاءً ، مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ ، الَّذِينَ آوَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَأُخْرِزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ !

فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْجُؤْ إِلَى هَوْلَاءِ أَعْرَافِ أُمُورِهِمْ ؛ فَإِنَّكَ إِن لَّمْ تَفْعَلْ نُمِ أَمْسِكِي اللَّهَ مِنْكَ ، لَا تُفَرِّقَنَّ إِلَى اللَّهِ مِنْكَ ، وَلَا تُصْرِتْكَ يَسْفِي الذِّى مَا صَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ .

وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ ، وَلَا ظَنِّرًا مِّمِّي بِإِرَادَةٍ ، حَتَّى آخُذَ الْحَقُّ مِنْهُمَا ، وَأُرِيحَ الْبَاطِلَ مِنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا .

وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ حَسَلًا لِّي ، أُرْكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي ، فَصَحَّ رُؤْيَا ، فَكَأَنَّكَ مَذْ بَلَسْتَ الْمَدَى ، وَدُفِيتَ نَحْتِ الثَّرَى ، وَفُرِضَتْ عَلَيْكَ أَهْمَاؤُكَ بِالْمَحَرِّ الَّذِي يُبَادِي الطَّالِمُ بِهِ بِالْحَسْرَةِ ، وَيَتَمَتَّى الْمُصْبِحُ فِيهِ الرُّحْمَةُ ، وَلَاتِ حِصْنٍ مَّاصٍ !

• • •

الشُّنْخُ :

أَشْرَكَتْكَ فِي أَمَانِي : جعلتك شريكاً فيما فُتُ فيه من الأمر ، وأتضمني الله عليه من سياسة الأمة ، وسمي الخلافة أمانةً كما سمي الله تعالى التكليف أمانةً في قوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ ^(١) . فأمّا قوله : وأداء الأمانة إلى حاضرٍ آخر ، ومراده بالأمانة الثانية ما يتعارفه الناس من قولهم : فلان ذو أمانة ، أى لا يخون فيها أسند إليه .
وكلب الزمان : اشتد ؛ وكذلك : كلب البرد .

وحرب العدو : استأسد . وخزيت أمانة الناس : ذلت وهانت .

وشقّرت الأمة : حلت من الخير ، وشعر البلد : حلامن الناس .

وقلبت له ظهر المحي : إذا كنت معه فصرت عليه ؛ وأصل ذلك أن الجيش إذا لقوا العدو وكانت ظهور مجاتهم إلى وجه العدو ، وبطون مجاتهم إلى وجه عسكرهم ، فإذا فارقوا رئيسهم وصاروا مع العدو كل وضع مجاتهم بدلا من الوضع الذي كان من قبل ، وذلك أن ظهور الترسة لا يمكن أن تكون بلا في وحواء الأعداء ، لأنها تمرى سهامهم . وأمكنك الشدة ، أى الحملة .

قوله : « أسرع الكربة » ، لا يجوز أن يقال : الكربة إلا بمد فرقة ، فسكانه لما كان مقلما في ابتداء الحال عن التعرض لأموالهم ، كان كالقار عنها ، فلذلك قال : أسرع الكربة .

والدث الأزل : الخفيف الوريكين ، وذلك أشد لعدوه ، وأسرع لوثنته ، وإن اتفق أن تكون شاة من المعرى كثيرة ودامية أيت ، كل الدث على احتطافها أقدر . ونقاش الحساب : مفاشته .

قوله : « فصح رويدا » ، كلمة تقل لمن يؤمر بالشوكة والأناة والسكون ، وأصلها الرّحل يطعم إله صحى ، وبسترها مسرعا بسر ، فلا يشعها ، فيقال له : صح رويدا .

[اختلاف الرأى فيمن كتب له هذا الكتاب]

وقد اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب ، فقال الأكثرون : إنه عبد الله ابن العباس رحمه الله ، ورووا في ذلك روايات ، واستدلوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب

كقوله : « أشركتك في أمانتي ، وجعلتك بطانتي وشعاري ، وأنه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك » ، وقوله : « علي ابن عمك قد كذب » ، ثم قال ثانيا : « قُلبت لابن عمك طهر الميعة » ثم قال ثالثا : « ولابن عمك آسيت » ؛ وقوله : « لا أبا لغيرك » ، وهذه كلمة لا تقال إلا لمثله ، فأما غيره من أبناء الناس ، فإن علياً عليه السلام كان يقول : لا أبا لك .

وقوله : « أيها الممدود كل عندما من أولى الأبواب » . وقوله : « لو أن الحسن والحسين عليهما السلام » ، وهذا يدل على أن المکتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجراها عنده .

وقد رَوَى أرباب هذا القول أن عبد الله بن عباس كتب إلى علي عليه السلام جوابا من هذا الكتاب ، قالوا : ولكن جوابه ؟

أما بعد ، فقد أتاني كتابك نعظم على ما أصبحت من بيت مال النصارى ، ولعمري إن حنفي في بيت المال أكثر مما أخذت ، والسلام .

قالوا : فكتب إليه علي عليه السلام :

أما بعد ، فإن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر مما لرجل واحد من المسلمين ، فقد أفلحت إن كان نعيمك الباطل ، وادعائك ما لا يكون يسجيك من المآثم ، ويحول لك الحرم ، إليك لأمت المهتدي السعيد إدا ! وقد بلغني أنك اتخذت مكة وطنا ، وضربت بها قلعنا ، تشتري بها موكدات مكة والمدينة والطائف ، تختارهن على عينك ، وتعطي فيهن مال غيرك ، فرجع هذالك الله إلى رُشدك ، وتب إلى الله ربك ، واخرج إلى المسلمين من أموالهم ، فمما قليل تقارق من ألفت ، وتترك ما جمعت ، وتغيب في صدع من الأرض غير مؤسد ولا ممتد ، قد فارقت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، غنيا عما خلفت ، فقيرا إلى ما قدمت ، والسلام .

قالوا : فكتب إليه ابن عباس :

أما بعد ، فإنك قد أكثرت عليّ ، ووددت أن ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها ، ونهبها وعقباتها وكليتها ، أحب إليّ من أن ألقاه بدم امرئ مسلم . والسلام .

وقال آخرون وهم الأقولون : هذا لم يكن ، ولا فارق عبد الله بن عباس عليا عليه السلام ، ولا باينه ولا حاله ، ولم ير أسيلا على البصرة إلى أن قتل علي عليه السلام .

قالوا : ويدل على ذلك ما رواه أبو المرح علي بن الحسين الأصمعي من كتابه الذي كتبه إلى معاوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام ، وقد ذكرناه من قبل ، قالوا : وكيف يكون ذلك ولم يمدحه معاوية ويحرمه إلى حمته ، فقد علم كيف احتدع كثيرا من عمال أمير المؤمنين عليه السلام واستألمهم إليه بالأموال ، قالوا وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام ، فابأله وقد علم الثبوت التي حدثت بينهما ، لم يستعمل ابن عباس ، ولا احتذبه إلى نفسه ؛ وكل من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي عليه السلام ، وما كان يلقاه به من قول وعمل الكلام ، وشديد الخصام ، وما كان يثني به على أمير المؤمنين عليه السلام ويدكر حصائمه وفصائله ، ويصدع به من مناقبه ومآثره ، ولو كان بينهما عيار أو كدر لما كلن الأمر كذلك ، بل كانت الحال تسكون بالصد لا أشهر من أمرها .

وهذا عندي هو الأمثل والأصوب .

وقد قال الراوي : المكتوب إليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن عباس ، لا عبد الله ؛

وليس ذلك بصحيح ، فإنَّ عيد الله كان عاملاً علىَّ عليه السلام على اليمن ، وقد ذكرت قصته مع بسر بن أرطاة فيما تقدّم ، ولم ينقل عنه أنه أخذ مالا ، ولا فارق طاعة .

وقد أشكل علىَّ أمرُ هذا الكتاب ، فإنَّ أنا كذّبت النقل وقلتُ : هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام ، حلفتُ الرواة ، فإنَّهم قد أخطئوا على رواية هذا الكلام عنه ، وقد دكر في أكثر كتب السير . وإن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدّيقى عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته . وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى مَنْ أصرّفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام ؛ والكلامُ يشعر بأنَّ الرجل المخاطب من أهله وبني عمه ، فإما في هذا الموضع من المتوقّفين !

(٤٢)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي ، وكان عامله
على البحرين ، فمزله واستعمل النعمان بن عجلان الزُرقي مكانه :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ وَبَّيْتُ السُّمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرْقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَبَزَعْتُ يَدَكَ
بِلَا دَمٍ لَكَ ، وَلَا تَثْرِبَ عَنَيْتَ ؛ فَقَدْ أَحْمَتُ الْوِلَايَةَ ، وَأَدْبَيْتُ الْأَمَانَةَ ،
فَأَقْبَلْتُ عَمْرَ طَيْبٍ وَلَا مَلُومٍ ، وَلَا مُتَّهِمٍ وَلَا مَأْثُومٍ ، فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى طَلَمَةَ
أَهْلِ الثَّامِرِ ، وَأَحْمَتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ ، فَإِنَّكَ رِجْمٌ أَسْتَطِيعُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ ،
وَالْإِقَاءَةِ عَمُودِ الدِّينِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

التهنئة :

[عمر بن أبي سلمة ونسبه وبعض أخباره]

أَمَّا عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فَهُوَ رَجُلٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَبُوهُ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ
عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هَلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَقُطَةَ ، يَكْنَى أَبَا حَفْصٍ ، وَلَدَ فِي السَّنَةِ
الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ بِأَرْضِ الْحِشَّةِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَوْمَ قُبُضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
ابْنَ تِسْعِ سِنِينَ ، وَتَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ سِنَةً ثَلَاثًا وَثَمَانِينَ ، وَقَدْ حَفِظَ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْحَدِيثَ ، وَرَوَى عَنْهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَغَيْرُهُ ، ذَكَرَ

ذلك كله ابن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " .

[النعمان بن عجلان ونسبه وبعض أخباره]

وأما النعمان بن عجلان الرُّزَّاقِيّ فمن الأنصار ، ثم من بني ذُرَيْق ، وهو الذي حَلَفَ على خولة روضة حمزة بن عبد المطلب رحمه الله بعد قتله ، قال [ابن] عبد البر في كتاب " الاستيعاب " : كان النعمان هذا من الأنصار وشاعراً ، ويقال : إنه كان رجلاً أحر قصيراً زردية العين ، إلا أنه كان سيّداً ، وهو العائل يوم السَّيِّمة :

وقلتم حراماً نصب سميّاً ونصكم عتيق بن عثمان حلالاً أما بكر
وأهل أبو بكر لها خبرٌ لا نهم وإنّ عليّاً كل أحلق بالأمر
وإنّ هَواً في عليّ وإنّه لأهلٌ لها من حيث يدرى ولا يدرى

قوله : « ولا تريب عبيك » ، فالتريب الاستقصاء في القول ؛ ويقال : تريت عليه ، وعربت عليه ، إذا قبحت عليه فعله .

والطَّيِّبُ : المتهم ؛ والطَّيَّةُ التهمة ، والجمع الطَّيِّن ؛ يقول : قد اطنّ زيد عمراً ، والآلف ألف وصل ، والطاء مشددة ، والنون مشددة أيضاً ، وجاء بالطاء المهمة أيضاً ، أي اتهمه . وفي حديث ابن سيرين : لم يكن عليّ عليه السلام يظنّ في قتل عثمان ، الحرفان مشدّان وهو يَمْتَلِعُ من « يَطْلُقُ » وأدغم ، قال الشاعر :

وما كلُّ مَنْ يَطْطِي أنساً مُشَبِّهٌ وما كلُّ ما يروى عليّ أقول^(١)

(١) الصحاح ٢١٦٦ من غير لغة .

(٤٣)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وكان عامله
على أردشير خرة :

بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ صَنَعْتَ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ ؛
إِنَّكَ تَقْسِمُ فِي الْمُسْلِمِينَ - الَّذِينَ حَارَّتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ -
فِيْمَنْ أَعْتَمَكَ مِنْ أَغْرَابِ غَوْمِكَ . فَوَالَّذِي فَتَنَ الْحَيَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ؛ لَيْسَ كَانَ
دَلِيلَ حَقًّا . لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَى هَوَانٍ ، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَانًا ، فَلَا تَسْتَهِنُ بِحَقِّ رَبِّكَ ،
وَلَا تُصَدِّحُ دُيُوكَ بِحَقِّ دِيْبِكَ ، فَتَكُونُ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .
أَلَا وَإِنْ حَقَّ مِنْ رَقْلِكَ وَفِمْكَ مِنَ الْعُسْلِيِّينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْعَمَلِ سَوَالًا ؛
يُؤَدُّونَ عِنْدِي عَلَيْهِ ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ .

الشرح :

قد تقدم ذكر نسب مصقلة بن هبيرة . وأردشير خرة : كورة من كورة فارس .
واعتمادك : اختارك من بين الناس ، أصله من العيمة بالكسر ، وهي خيار المال ،
اعتماد الصدق إذا أخذ العيمة ، وقد روي : « فيمن اعتمادك »^(١) بالقلب ، والمصحح

(١) ب : « اعتمادك » ! والصواب ما أثبت من أ .

المشهور الأول ، وروى : « ولتجدن بك عدى هوانا » بالباء ، ومعناها اللام ؛
ولتجدن بسب فعلك هوانك عندي ، ولباء ترد للسببية ، كقوله تعالى : ﴿ فَيَظُنُّمْ
مِنَ الدِّينِ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ ﴾ (١) .
والمحقق الإهلاك .

والمعنى أنه نهى مصفحة عن أن يقسم ائمة على أعراب قومه الذين اتخذوه سيّدا
ورئيسا ، ويحرم المسلمين الذين حارّوه بأنفسهم وسلاحهم ؛ وهذا هو الأمر الذي كان
يُكره على عثمان ، وهو إشارته إليه وأقاربه على الفداء ، وقد سبق شرح مثل ذلك
مستوفى .

(٤٤)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديته باستلحاقه :

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ بِسَعْرِ لُكْ ، وَيَسْتَعِلُّ عَرُبَكَ ، فَاحْذَرُهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْعَرَّاءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَهَنْ يَمِينِهِ وَمَنْ شِمَالِهِ ، لِيَقْتَحِمَ عَمَلَتَهُ ، وَيَسْتَبِيعَ عِرْنَتَهُ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ أُنَى سُفْيَانَ فِي رَمَضَانَ مُمَرَّزُ بْنُ الْمُطَّلَبِ قَلْتَهُ مِنْ حَدِيثِ الْمُعَسِّ ، وَنَزَعَهُ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ ، لَا يَنْبُتُ بِهَا نَسَبٌ ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْقِعِ ، وَالسُّوْطِ الْمُدْبَذِّ .

فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادُ الْكِتَابَ قَالَ : شَهِدَ بِهَا وَرَبُّ الْكُفَّةِ ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَقُّ ادِّعَاءِ مُعَاوِيَةَ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنْوَاعُ » ، هُوَ لَدَى بَهْمِهِ عَلَى الشَّرْبِ لِشَرْبِ مَعَهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ ، فَلَا يَزَالُ مُدْفَعًا مُحَاجَرًا . وَالنُّوْطُ الْمُدْبَذُّ : هُوَ مَا يُنَاطُ بِرَحْلِ الرَّكْبِ مِنْ قَمِيٍّ أَوْ قَدَحٍ ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَهُوَ أَبَدًا يَتَقَطَّلُ إِذَا حَثَّ ظَهْرُهُ ، وَاسْتَعْجَلَ سِيرُهُ .

البشر :

يستزلّ لك ، يطلب رلله وخطئه ، أى يحاول أن تزّل . واللب : العقل . ويستملّ غريبك : يحاول أن يفلّ حدّك ، أى عرملك ، وهذا من باب المهاز . ثم أمره أن يحذره ، وقال : إنه - يعنى معاوية - كالشيطان يأتى امرء من كذا ومن كذا ، وهو مأخوذ من قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَينُ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ ^(١) ، فالواى تفسيره : من بين أيديهم : يُطمعهم فى العمو ويعربهم بالمصيان ^(٢) ، ومن حسهم : يذكرهم بحلّهم ، ويُحسن لهم جمع المال وتركه لهم ، وعن أيمانهم : يحث إليهم الراسة والثناء ، وعن شمائلهم : يحث إليهم اللغو والدلت .

وقال شقيق اللخى : ما من صباح إلا فعدلى الشيطان على أرسه مراسد : من بين يديّ ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، أما من بين يديّ فيقول : لا تحبّ فإن الله عمور رحيم ، فأقرأ : ﴿ وَإِنِّي لَنَعْدُّ لِمَن ذَبَ رَأْمًا وَاعْمَلَ صَالِحًا تُمْ أَهْتَدَى ﴾ ^(٣) ، وأما من خلفي فيخوفنى الصيعة على محنى ، فأقرأ : ﴿ وَمَا مِنْ دَانَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ ^(٤) ، وأما من قبل يميني فيأتى من حمة الثناء ، فأقرأ : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٥) ، وأما من قبل شمالي فيأتى من قبل الشهوات ، فأقرأ : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ ^(٦) .

فإن قلت : لمّ كتم يفل : « ومن فوفهم ومن تحنهم » ؟

(٢) كذا فى ١ ، وفى « فى المصيان » .

(٤) سورة هود ٦ .

(٦) سورة سبأ ٥٤ .

(١) سورة الأعراف ١٧ .

(٣) سورة طه ٨٢ .

(٥) سورة القصص ٨٣ .

قلت : لأن جهة « فوق » جهة نزول الرحمة ، ومستقر الملائكة ، ومكان العرش ، والأوار الشريفة ، ولا سبيل له إليها ؛ وأما من جهة « تحت » فلأن الإتيان منها يُوحى ، ويُفترعه ، لأنها الجهة المعروفة بالشياطين ، فعدل عنها إلى ما هو أدنى إلى قبول وسائره وأضاليله .

وقد فتر قوم المسمى الأول فقالوا : « من بين أيديهم » ، من جهة الدنيا ، و « من خلفهم » . من جهة الآخرة ؛ و « من أيديهم » ، الحسنات ؛ و « عن شمائلهم » ، أى يحتمهم على طلب الدنيا ، ويؤيدهم من الآخرة ، ويتبسطهم عن الحسنات ، ويفريهم بالسيئات .

قوله : « ليقترحم عقله » أى ليدع ويهجم عليه وهو عاقل ؛ حصل اقتحامه إياه اقتحاما للفرقة عنها لما كانت غالبية عليه .
ويستل عرته ، ليس المعنى باستلاب الفرقة أن يرفها ويأخذها ، لأنه لو كان كذلك لصار ذلك القائل المقترب فاقدا للعملة والفرقة ، وكان لبيبا قطعاً ، فلا يبقى له سبيل عليه ، وإنما المعنى بقوله : « ويستل عرته » ما يعنيه الدس بقولهم : أخذ فلان عقلى وفعل كذا .
ومعنى أخذها هنا أخذ ما يعتدل به على غفلتى .

وهلته : أمر وقع من غير تكتب ولا روتة .

ونزعة : كلمة فاسدة ، من ترففت الشيطان ، أى من حركاته القبيحة التى يستفسد بها مكلفين ، ولا يشت بها نسب ، ولا يستحق بها إرث ، لأن المقر بالزنا لا يلحقه النسب ، ولا يرثه المولود ، لقوله صلى الله عليه وآله : « الولد للفراش ، وللماهر الحجر » .

[نسب زياد بن أيه وذكر بعض أخباره وكتبه وخطبه]

فأما زياد ، فهو زياد بن عبيد ، ومن الدس من يقول : عبيد بن فلان ، وينسبه إلى

تقيف ، والأكثر يقولون : إن عيدا كان عدا ، وإنه سقى إلى أيام رباد ، فابتاعه وأعتقه ؛ وسند كرم ما ورد في ذلك وسنة رباد لمير أبيه لخمول أبيه ، والدعوة التي استلحق بها ؛ ففيل تارة : زياد بن ممية ، وهي أمه ، وكانت أمة للحارث بن كعدة بن عمرو بن علاج الثقفي ، طبيب العرب ، وكانت تحت عبيد .

وفيل تارة زياد بن أبيه ، وفيل تارة : زياد بن أمه ، ولما استلحق قال له أكثر الناس : زياد بن أبي سفيان ، لأن الناس مع الملوك الذين هم مطعون الرأفة والرأفة ، وليس اتباع الدين بالنسبة إلى اتباع الملوك ؛ لا كانتطرة في اسحر المحيط ، فأما ما كان يدعى به قبل الاستلحاق فزياد بن عبيد ، ولا يشك في ذلك أحد .

وروى أبو عمر بن عبد الله في كتاب "الاستيعاب" عن هشام بن محمد بن السائب السكبي عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب رآه في إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر حطلة لم يسمع مثلها - وأبو سفيان حاضر وعلى عليه السلام وعمر بن الخطاب - فقال عمرو بن الخطاب : قد رآه هذا السلام ! لو كان قرشيا لساق امرأ بمصاه ، فقال أبو سفيان : إنه لقرشي ، وإني لأعرف الذي وضعه في رجم أمه ؛ فقال علي عليه السلام : ومن هو ؟ قال : أنا ؛ فقال : مهلا يا أبا سفيان ، فقال أبو سفيان :

أما والله لولا خوف شخصي يراني يا علي من الأعدى
لأظهر امرأ متحر بن حرب ولم يحمر المقالة في زياد
وقد طالت مجاملي ثقيما وترك فيهم ثمر الفؤاد

عني بقوله : « لولا خوف شخصي » : عمر بن الخطاب ^(١) .

وروى أحمد : يحيى اللادري قال : تسكّم رباد - وهو علام حدث - محضرة عمر
كلاماً أعجب الحاضرين ، فقال عمرو بن اعاص : لله أبوه ! لو كان قرشياً لساق العرب
بمصاه ؛ فقال أبو سفيان : أما والله إنه لقرشي ، ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك ؛
فقال : ومن أبوه ؟ قال : أنا والله وضعت في رحم أمه ، فقال : فهل تستلحقه ؟ قال : أहाँ
هذا العير الحالس أن يخرق على إهاني .

وروى محمد بن عمر الواقدي ، قال قال أبو سفيان وهو حالس عند عمر وعليه هاتك ،
وقد تسكّم زياد فاحسن : أنت المافئ إلا أن تطهر في شمائل رباد ؛ فقال علي عليه
السلام : من أي بني عبد مناف هو ؟ قال : أبي ؛ قال : كيف ؟ قال : أتيت أمه في الجاهلية
سيفاحاً ؛ فقال علي عليه السلام : مه يا أبا سفيان ؛ فربّ عمر إلى المساة سريع ؛ قال : صوف
زياد مآدار بينهما ، فمكث في قصه .

وروى علي بن محمد المدائني قال : لما كان زمن علي عليه السلام ولي رباداً فارس
أو بعض أعمال فارس ، فصيغها صبيحاً صالحاً ، وحبّي حراحها وسحاحها ، وورف ذلك
معاوية ، فكتب إليه : أما بعد ، فإنه عرفت أنك قلاع تآوى إليها ليلاً ، كما تآوى الطير إلى
وكرها ، وأيم الله لولا أن تطارد بك ما الله أعلم به لكان لك مني ما قاله العبد الصالح :
(فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ رَجُوعُهُمْ لَا يَفْعَلُ لَهُمْ رِبًّا وَلَا يُخْرِجُهمْ مِنْهَا أُدِلُّوا وَهُمْ صَاعِرُونَ)^(١) .
وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جلته :

تَلَسَّى أَبَاكَ وَقَدْ شَأَلَتْ نِعَامَتُهُ
إِذَا يَخْطُبُ النَّاسَ وَالْوَالِي لَهُمْ عَمْرُ

فلما ورد الكتاب على زياد قام خطب الناس ، وقال : العَجَبُ من ابن آكل
الأكباد ، ورأس النفاق ! يهددي ويبي ويبنه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله
وزوج سيّدة نساء العالمين ، وأبو السّطّطين ، وصاحب الولاية والميراث والإحياء في مائة ألف

من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ! أما والله لو تحطى هؤلاء أحمق إلى
لوحدني أحمر يحشاً^(١) ضرباً بالسيف ، ثم كتب إلى علي عليه السلام ، وبث بكتاب
معاوية في كتابه .

فكتب إليه علي عليه السلام ، وبث بكتابيه :

أما بعد ، إني قد ولّيتك ما ولّيتك وأنا أراك لذلك أهلاً ، وإنه قد كانت من أبي
سُفيان فلتة في أيام عمر من أمانتي أتته وكذب المس ، لم تسترح بها ميراثاً ، ولم
تستحق بها نسباً ، وإن معاوية كاشعبد الرحيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن
يمينه وعن شماله ، فاحذره ، ثم احذره ، ثم احذره ! والسلام .

وروى أبو حمزة محمد بن حبيب قال : كان علي عليه السلام قد ولّى رباداً قطعة من
أعمال فارس ، وأعطاه نفسه ، لصداقتي علي عليه السلام بقي رباد في عمّله ، وحاف
معاوية حاسه ، وعلم صغرة ناحيته ، وأشتق من أمالته الحسن بن علي عليه السلام .
فكتب إليه :

من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى رباد بن عبيد ، أما بعد ، فإنك عبد قد
كفرت النعمة ، واستمعت النعمة ، وتعد كل انكسر أوّل بك من الكفر ، وإن
الشجرة لتصرف بمرقها ، وتفرع من أصلها ، إنك - لا أم لك بل لا أب لك - قد هلكت
وأهلكك ، وطننت أنك تخرج من نصتي ، ولا يذاك سلطان ، هيات ! ما كل
ذي لب يصيب رأيه ، ولا كل ذي رأي يصح في مشورته . أمس عبد واليوم أمير !
خطة ما ارتقاها مثلك يابن صمية ، ودا أنك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والسيمة ،
وأمرع الإحالة ، فإنك إن تفعل فدمك حقت ، وتفسك تداركت ، وإلا احتطفتك

(١) الحش : المأوى الحري ، وفي « دها » ، والصواب ما أثبتته من ١ .

بأضعف ريش^(١) ، وتلك باهون سعى ، وأقيم نسما مرورا إلا أوتى بك إلا في زمارة^(٢) ،
تغشى حافيا من أرض فارس إلى الشام حتى أقيمت في اسوق ، وأيمك عبداً ، وأردك إلى
حيث كنت فيه وخرجت منه ، والسلام .

فلما ورد الكتاب على رياء غضب غضبا شديداً ؛ وجمع الناس وصعد المنبر . فحمد الله
ثم قال : ابن آكلة الأكباد وقاتلة أسد الله ، ومضهر الخلاف ، ومسير النفاق ، ورئيس
الأحزاب ، ومن ألتق ماله في إطفاء نور الله ، كتب إلى يرعد ويرق عن سحابة جفل
لا ماء فيها ، وعمّا قليل تصيرها الريح قزما ، وأدى بدلتى على ضمه تهدده قل القدرة ؛
أمن إشفاق على تدبر وتعدير أكلا ، ولكن ذهب إلى غير مذهب ، وفمق لمن ربي^(٣)
بين سواعق نهامة ، كيف أرهبه وبسى وبسه ابن من رسول الله صلى الله عليه وآله وابن
أبن عمه في مائة ألف من الهاجرين والأنصار ، والله لو أتى في فيه ، أو بدلى إبيه ، لأربته
الكواكب هارا ؛ ولأسعطته ماء الخردل . دونه الكلام اليوم ، والجمع عدا ، والمشورة
بعد ذلك إن شاء الله . ثم نزل .

وكتب إلى معاوية :

أما بعد ، فقد وصل إلى كتابك بمعاوية ، وفهمت ما فيه ، فوجدتك
كالمربق يغطي الموح فيتشبت بالطحائب ، ويتعاق نارحل الصفادع ، طمعا في الحياة .
إنما يكفر السم ، ويستدمي السم من حدة لله ورسوله ، وسعى في الأرض فسادا .
فأما سئلك في قولا حرم ينهاني عنك ، وحوى أن أذعن سفيها ، لا أثرت لك نحازي لا
يفسها الماء . وأما تصيرك لي بسمة ، فإن كنت ابن ضحية فأت ابن جماعة ، وأما رعمك
أنك تحتطى بأضعف ريش ، وتتناولني باهون سعى ، فهل رأيت بازيا يفرعه صغير

(١) بأضعف ريش ؛ يريد بأضعف قوة ؛ وكانوا يفرقون الريش على السهم ليخوه ويستردوه .

(٢) أي في جماعة رملة ترمى حولك فالراند تفهيك والتشيع عيك .

(٣) كذا في ١ ، و ٢ : « رأى » .

القمار ، أم هل سمعت بذنب أكنه خروف ! فأعرض الآن لطيتك ، وأحتهد حهدك ،
فلست أنزل إلا بحيث تكره ، ولا أجتهد إلا فيما يسوءك ، وستعلم أننا الطامع لصاحبه ،
الطامع إليه . والسلام .

فلما ورد كتاب ريباد على معاوية عمه وأخوه ، وبعث إلى المنيرة بن شعبة ، فخلا به
وقال : يا معيرة ، إنني أريد مشاورتك في أمر أهتمني ، فأصغني فيه ، وأشير على رأي
المجتهد ، وكن لي أكن لك ، فقد حصصتك ليرتي ، وآثرتك على ولدي . قال المنيرة : ما
ذاك ؟ والله لتجدني في طاعتك أمصني من ماء إلى الحدور ، ومن دى الروثق في كعب البطل
الشجاع . قال : يا معيرة ، إن ريبادا قد أهدم بمارس يكش لنا كشيئ الأفاعي ، وهو رجل
ثاقب الزأي ، ماصي العريضة ، حوال المكر ، مصيب إداري ؛ وقد حمت منه الآن ما كنت
أمه إدار كل صاحبه حيا ، وأحقى بمالائه حصا ، فكيف السيل إليه ، وما الحيلة في
إصلاح رأيه ؟ قال المنيرة : أأله إن لم أمت ؟ إن زيادا رجل يحمي الشرف والذكر وصمود
المار ، فلو لاحظته المسألة ، وأست له الكتاب ، لكان لك أميل ، ولك أوثق ، فأكتب
إليه وأنا الرسول .

فكتب معاوية إليه :

من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى ريباد بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإن المرء
ربما طرّحه الهوى في مطارح المطب ، وإنك تمره المضروب به المثل ، قاطع الرحم ، وواصل
المسد . وتحلك سوء ظنك لي ، ومصلك لي ، على أن عفت قرابتي ، وقطعت رجلي ،
وبنت^(١) نسبي وحرمتي ؛ حتى كأنك تست أخي ، وليس صخر بن حرب أباك وأبي ،
وشتان ما بيني وبينك ، أطلب بدم ابن أبي العاص^(٢) وانت تقاربتني ! ولكن أدركك
يعرق الرخوة من قمل النساء ، فكنت :

(١) بنت : قطعت .

(٢) أي عيان ؛ وهو عيان بن عفان بن أبي العاص بن أمية .

كذلكم يَبْضَحُهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْحَقَةً بِبَيْتِ أُخْرَى جَنَاحًا

وقد رأيتُ أن أعطفَ عليك ، ولا أوْحدُك بسوءِ سعيك ، وأن أَمِلَ دحك ،
وأبْغَى الثوابَ في أمرك ، فاعلمُ أنا المعبود ، أنك لو حصتَ البحرَ في طاعةِ القوم فتصربَ
بالسيف حتى انقطعَ منه لما ارددتَ منهم ، لا بعدا ؛ فإن بني عبد شمس أُنْعِصُ إلى بني هاشم
من الشجرة إلى الثور الصريع وقد أوثقَ للذبح ؛ فارح - رَحِمَكَ اللهُ - إلى أسلك ، وأتصل
بقومك ، ولا تكن كالوصول برش^(١) غيره ، فقد أصبحتَ سالِّ النسب . ولعمري
ما قَصُرَ بك ذلك إلا اللجاج ، فدعه عنك ، فقد أصبحتَ على يئس من أمرك ، ووصوح
من حجتك ، فإن أحببتَ جابي ، ووثقتَ بي ، فأمرتَ بإمرة ، وإن كرهتَ جابي ، ولم
تثق بقولي ، فعمل حيل لا على ولا لي . والسلام .

فرحل الصغيرة بالكتاب حتى قدم فارس ، فمّا رآه رآه قربه وأدناه ولطف به
فدفع إليه الكتاب ، فحمل يتأمله ويصحه ، فلما فرغ من قراءته وصحه تحت قدميه ثم
قال : حسبك يا منيرة ! فإني أطلع على ما في صميرك ، ولقد قدمت من سيرة بديلة ، فتم
وأريح ركابت . قال : أحل ، فدع عنك اللجاج برحمك الله ، وارح إلى قومك ،
وصل أخاك ، وانظر لنفسك ، ولا تقطع رحمتك ! فإن زياد : إني رجلٌ صاحب أناة ، ولي
في أمري روية ، فلا تمحل علي ، ولا تبدأني بشيء حتى أبدأك . ثم جمع الناس بعد
يومين أو ثلاثة ، فصعد المنبر حميد الله وأنشئ عليه ثم قال : أيها الناس : ادعوا البلاء
ما اندفع عنكم ، وادعوا إلى الله في دوام سافية لكم ، فقد نظرتُ في أمور الناس منذ
قتل عثمان ، وفكرتُ فيهم فوجدتهم كالأساحي ، في كلِّ عيدٍ يُذْبَحُونَ ، ولقد أفنى
هذا اليومان - يوم الجمل وصيقل - ما يُبَيِّف على مائة ألف ؛ كأنهم يزعم أنه طالب حق ،
وتابع إمام ، وعلى بصيرة من أمره ، فإن كلَّ الأمر هكذا فالتائل والمقتول في الحنة ، كلاً

(١) ب : « كالوصول بغير برش غيره » .

ليس كذلك ، ولكن أشكل الأمر ، والتبس على القوم ، وإني لخائف أن يرجع الأمر كما بدا ، فكيف لامرئ بسلامة دينه ! وقد نظرت في أمر الناس موحدت أحد العاقبتين المافية ، وسأعمل في أموركم ما تحمدون طاقته ومعبته ، فقد حدث طاعتكم إن شاء الله ثم نزل .

وكتب جواب الكتاب :

أما بعد ، فقد وصل كتابك يا معاوية مع الميرة بن شعبة وفهمت ما فيه ، فالحمد لله الذي عرفك الحق ، وردك إلى العتلة ، وست تمن يحمل مروه ، ولا يفعل حسنا ، ولو أردت أن أحييك بما أوجبته الحق ، واحتمله الخواب ، لطال الكتاب ، وكثر الخطاب ، ولكك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ، وبينة حسنة ، وأردت بذلك برأ ، فسترع في قلبي مودة وقولا ، وإن كنت إنما أردت مكدة ومكرا وفساد بينة ، فإن النفس تأتي ما فيه السخط ، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يسأ به الخطيب المذموم ، فتركت من حصر ، لا أهل ورد ولا صدر ، كنت تحبهم عنهم صل بهم الدليل ، وأنا على أمثال ذلك قدير ، وكتب في أسفل الكتاب :

إذا معشري لم يصغفوني وحدتي	أدافع عني الصيم ما دمت باقيا
وكم معشر أعيت قناتي عليهم	فلاموا وألفوني لدى العزم ماصيا
وهمر به ضاقت صدور فرخته	وكت بطني للرجال مداويا
أدافع بالحلم الجهول مكيدة	وأحى له تحت المصاير الدواها
فإن تدن مني أذن منك وإن تدن	تحدث إذا لم تدن مني نائيا

فأعطاه معاوية جميع ما سأل ، وكتب إليه بخط يده ما وثق به ، فدخل إليه الشام ، فقرأه وأدناه ، وأقره على ولايته ، ثم استعمله على العراق .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّائِي ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ اسْتِلْحَاقَ زِيَادٍ وَقَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ الشَّامَ جَمَعَ النَّاسَ وَصَدَّ الْمَنَرِ ، وَأَصْعَدَ رِيَادًا مَعَهُ فَأَحْسَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْمَرْفَاقَةِ الَّتِي تَحْتَ مِرْفَاقِهِ ، وَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ نَسْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي زِيَادٍ ؛ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ فَلْيَقُمْ بِهَا . فَقَامَ نَاسٌ فَشَهِدُوا أَنَّهُ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأَنَّهُمْ صَمَّوْا مَا أَقْرَبَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، فَقَامَ أَبُو مَرْيَمَ السُّوَلِيُّ - وَكَانَ حِمَارًا فِي الْخَاهِلِيَّةِ - وَقَالَ : أَشْهَدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَدِمَ عَلَيْنَا بِالْعَاصِ ، فَأَتَانِي فَاشْتَرَيْتُ لَهُ لَحْمًا وَخَمْرًا وَطَعَامًا ، فَلَمَّا أَكَلَ قَالَ : يَا أَبَا مَرْيَمَ ، أَصَابَ لِي بِمِثْلٍ ، فَحَرَحْتُ فَاتَيْتُ نِسْمِيَّةَ ، فَعَلْتُ لَهَا : إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ مِمَّنْ قَدْ عَرَفْتُ شَرْقَهُ وَخُودَهُ ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَصِيبَ لَهُ نِسْمِيَّةً ، فَهَلْ لَكَ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، يَحْيَى الْآنَ جَبِيدٌ بِنَفْسِهِ - وَكَانَ رُلْعِيَا - فِإِذَا تَمَشَّى ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ أُنَيْتُهُ . فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ فَاعْلَنَتْهُ ، فَمِمَّا بَلَغْتُ أَنْ جَاءَتْ تَحْرُورُ دَيْلَهَا ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَكَلِمَةً بَلَغَتْهُ حَتَّى أَصْبَحْتُ ؛ فَقَالَتْ لَهُ لَمَّا انْصَرَفْتُ : كَيْفَ رَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ ؟ قَالَ : حَيْرٌ صَاحِبَةٌ ، لَوْلَا ذَفَرٌ فِي إِبْطِهَا .

فَقَالَ رِيَادٌ مِمَّنْ فَوْقَ الْمَرِّ : يَا أَبَا مَرْيَمَ ، لَا نَسْتَمُ أَهْمَاتِ الرَّحَلِ ، فَتَسْتَمُ أَمَّاكَ .
فَلَمَّا انْقَضَى كَلَامُ مَعَاوِيَةَ وَمُنَاشَدَتُهُ قَامَ رِيَادٌ ، وَأَنْصَبَ النَّاسُ ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي مَعَاوِيَةُ وَالشُّهُودُ قَدْ قَالُوا مَا صَحَّحْتُمْ ، وَلَسْتُ أَدْرِي حَقَّ هَذَا مِنْ بَاطِلِهِ ؛ وَهُوَ وَالشُّهُودُ أَعْلَمُ بِمَا قَالُوا ، وَبِعَا عَيْدُ أَبِي مَبْرُورٍ ، وَوَالِي مَشْكُورٍ . ثُمَّ زَلَّ .

وَرَوَى شَيْخُنَا أَبُو عَثَانَ أَنَّ رِيَادًا مَرَّ وَهُوَ وَالِي الْبَصْرَةِ بِأَنَّى الْمُرِّيَّانِ الْمَدَوِيِّ - وَكَانَ شَيْخًا مَكْفُورًا ، ذَا لِسَنِ وَطَارِضَةً شَدِيدَةً - فَقَالَ أَبُو الْمُرِّيَّانِ : مَا هَذِهِ أَجَلْتَنِي ؟ قَالُوا : زِيَادٌ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا تَرَكَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَّا زِيَادًا وَمَعَاوِيَةَ وَعُتْبَةَ وَعَنْسَةَ وَحَفْظَةَ وَمُحَمَّدًا ، فَمَنْ أَيْنَ جَاءَ رِيَادٌ ؟ فَبِيعَ الْكَلَامُ رِيَادًا ، وَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : لَوْ سَدَدْتَ

عنتك فَمَ هذا الكلب ! فأرسل إليه يَدَيْ دِيَار ، فقال له رسول رِيَاد : إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ
زِيَادَ الْأَمِيرِ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَاتِي دِينَارَ تَشْفِقُهَا ، فقال : وَصَلْتُهُ رَحِمَ ! إِي وَ اللَّهِ ابْنُ عَمِّي
حَقًّا . ثُمَّ صَرَّ بِهِ رِيَادُ مِنَ الْعَدْوِ مَوَكِبَهُ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ ، وَبَكَى أَبُو الْمُرَيَّانِ ، فَقِيلَ لَهُ :
مَا يَكِيكَ ؟ قَالَ : عَرَفْتُ صَوْتَ أَبِي سُفْيَانَ فِي صَوْتِ زِيَادٍ . فَمَلَعَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إِلَى
أَبِي الْمُرَيَّانِ :

مَا السَّتُّكَ الدَّنَائِرُ الَّتِي بُعِثَتْ أَنْ لَوْ تَتَكَّ أَبَا الْمُرَيَّانِ الْوَأَنَّا
أَمْسَى إِلَيْكَ رِيَادٌ فِي أَرْوَمَتِهِ نَكْرًا فَاصْصَحْ مَا أَكْرَتْ عِرْفَانَا
يُفَرِّدُ زِيَادٌ لَوْ تَمَحَّلَهَا كَانَتْ لَهُ دُونَ مَا يَحْتِشَاهُ قُرْأَانَا !

فَلَمَّا قُرِئَ كِتَابُ مَعَاوِيَةَ عَلَى أَبِي الْمُرَيَّانِ قَالَ : أَكْتُبْ حَوَاهِ بِأَعْلَامٍ :

أَحْدِثْ لَنَا صِلَةً نَحْمِيَ الْعُيُوسُ بِهَا قَدْ كَدَتْ يَابْنَ أَبِي سُفْيَانَ نَفْسَانَا
أَمَّا زِيَادٌ فَقَدْ سَحَّتْ نَمَاسِيهِ عَسَى فَلَا أَتْنِي فِي الْحَقِّ بُهْتَانَا
مَنْ يُسَدِّ حَبْرًا يُضْهِهِ حِينَ يَقْعُهُ أَوْ يُسَدِّ شَرًّا يُضْهِهِ حِينَ كَانَا

وَرَوَى أَبُو عُمَانَ أَيْضًا ، قَالَ : كَتَبَ زِيَادٌ إِلَى مَعَاوِيَةَ لِيَسْتَأْذِنَهُ فِي الْحَجِّ ، فَكَتَبَ
إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ أَدَمْتُ لَكَ وَاسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى الْبُيُوتِ ، وَأَحْرَقْتُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَيَا هُوَ
بِتَجَهُّزٍ إِذَا بَلَغَ ذَلِكَ أَمَا بِكَرَّةٍ أَخَاهُ - وَكَانَ مُصَارِمًا لَهُ مِنْذُ لَجَلَجَعَ فِي الشَّهَادَةِ عَلَى الْمَعِيرَةِ بْنِ
شُعْبَةَ أَيَّامِ عُمَرَ لَا يَكْلِمُهُ قَدْ لَزِمَتْهُ أَيْمَانُ عِظْمَةِ الْأَيُّكْلَمَةِ أَبَدًا - فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرَةَ يَدْخُلُ
الْقَصْرَ يَرِيدُ زِيَادًا ، فَبَصُرَ بِهِ الْحَاحِبُ ، فَاسْرَعَ إِلَى رِيَادٍ قَائِلًا : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، هَذَا أَحْرَقَ
أَبُو بَكْرَةَ قَدْ دَخَلَ الْقَصْرَ ؛ قَالَ : وَيَجُحِكُ ، أَمْتُ رَأَيْتَهُ ! قَالَ هَاهُوَ دَا قَدْ طَلَعَ ، وَفِي حَجَرٍ
زِيَادٍ بُنِيَ بِإِلَاعِبِهِ ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرَةَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِلْعَلَامِ : كَيْفَ أَمْتُ نَا غَلَامٌ ؟
إِنَّ أَبَاكَ رَكَ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمًا ، زَيْتِي أُمُّهُ ، وَاسْتَنَى مِنْ أَبِيهِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ سَمِيَّةَ رَأَتْ

أبا سُفيان قط ، ثم أبوك يريد أن يرك ما هو أعظم من ذلك ، يواي الموسم غداً ، ويواي أم حبيبة بنت أبي سُفيان ، وهي من أمهات المؤمنين ، فإن جاء يستأذن^(١) عليها فأذنت له ؛ فأعظم بها فرجة على رسول الله صلى الله عليه وآله ومصيبة ! وإن هي منعتة فأعظم بها على أهلك فضيحة ! ثم انصرف ، فقال : حزنك الله يا أحمى عن النصيحة خيراً ؛ ساحطاً كنت أوراخياً . ثم كتب إلى معاوية : نى قد أعتقلت عن الموسم فبوجه إليه أمير المؤمنين من أحب ، فوجه عتبة بن أبي سُفيان .



فأما أبو عمر بن عديس في كتاب « الاستنباط » فإنه قال : لما ادعى معاوية زياداً في سنة أربع وأربعين وألحقه به أحماً روح أسفه من أنه محمد بن زياد ليؤكد بذلك صحة الاستلحاق ، وكان أبو بكره أحماً زياداً لأمه ، أمهم جميعاً سُميت ، فحلف ألا يكلم زياداً أبداً وقال : هذا زنى أمه ، وأنتى من أبيه ، ولا والله يعلت سُميت رأت أبا سُفيان قبل^(٢) ، ويئنه ما يصنع بأم حبيبة ! أريد أن يراها ؟ فإن حجبته فصحت ؛ وإن رآها فبألها مصيبة ! يهلك من رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة عظيمة !

وحجَّ زياد مع معاوية ، ودخل المدينة فراد الدحول على أم حبيبة ثم ذكر قول أبي بكره ، فانصرف عن ذلك . وقيل : إن أم حبيبة حجبته ولم تآذن له في الدحول عليها ، وقيل : إنه حجَّ ولم يرد^(٣) المدينة من أهل قول أبي بكره ، وإنه قال : جزى الله أبا بكره خيراً فما يدع النصيحة في حال .

وروى أبو عمر بن عديس في هذا الكتاب قال : دخل أبو أمية وفيهم عبد الرحمن ابن الحكم على معاوية أيام ما استلحق زياداً ، فقال له عبد الرحمن : يا معاوية ، لو لم تجد إلا الزَّح لا استكثرت بهم عليهما فنة ودنة — ينى على بنى أبي الماص . فأقبل معاوية

(١) ب : « أن يستأذن » . (٢) ١ والاستنباط : « قط » . (٣) ١ : « ويرر » .

على مروان وقال : أخرج عنا هذا الخبيث ، فذل مروان : إى والله أنه خليج ما يطاق ،
فقال معاوية : والله لولا حلى وتجاورى لعلت أنه يطاق ، ألم يلفنى شعره فى وفى زياد ! ثم
قال مروان : اسمعني ، فأنشد :

ألا أبلغ معاوية بن حرب
لقد صاقت بما يأتى اليدان
أتنصب أن يقال أبوك عم
وتوصى أن يقال أبوك زان
فأشهد أن رجلك من زياد
كرجم العيل من ولد الأمان
وأشهد أنها حمت زيادا
وسخر من شمية عمر دان^(١)

ثم قال^(٢) : والله لا أرضى عنه حتى يأتى زيادا فيترضاء ويمتد إليه ، فجاء عبد الرحمن إلى
زياد مستندرا يستأذن عليه ، فلم يأت له ، فأهنت قريش إلى زياد تسكلمه فى أمر عبد الرحمن ،
فلما دخل سلم ، مشاوس له زياد بمينه - ولكن يكبر عينه - فقال له زياد . أت القائل
ما قلت ؟ قال عبد الرحمن : ما الذى قلت ؟ قال : قلت ما لا يقال ؛ قال : أصليح الله الأمير !
إنه لا دى لمن أعتى ، وإعيا الصفيح من أدب ، فأسمع منى ما أقول ، قال :
هات ، فأنشده :

إليك أبا النخيرة نبت مما
جرى بالشام من حطل اللسان^(٣)
وأعضت الخليفة فيك حتى
دماه فرط غيظ أن هانى
وقلت لمن لحانى فى أعتارى^(٤)
إليك أذهب فشأنك غير شانى

(١) بعدها فى الاستيعاب : « وهذه الأبيات تروى لبريد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى الشاعر ؛ ومن
رواها له حمل أولها :

ألا أبلغ معاوية بن حرب
مفلعة من الرجل الميانى
وذكر الأبيات كما ذكرناها سواء . »

(٢) فى الاستيعاب : « وروينا أن معاوية فل حين أنشده مروان شعر أحبه عبد الرحمن : والله
لا أرضى . . . »

(٣) الاستيعاب : « من جور اللسان » . (٤) الاستيعاب : « لمن يلحن » .

عرفت الحق بعد ضلال رأيي وبعد النفي من زبغ الخنان
زياد من أبي سفيان عمن تهادي ناضرا بين الجنان
أراك أحمأ وعمأ وابن عم فإ أدري بسبي ما تراني
وإن زيادة في آل حرب أحب إلى من وسطى ساني
ألا أبلغ معاوية بن حرب فقد ظهرت بما تأتي اليدان

فقال زياد : أراك أحمق صرقا شاعرا ضيع اللسان ، يسوغ لك ريفك ساخطا ومسخوطا ،
ولكننا قد سمعنا شعرك ، وقدما عدرك ؟ فمات حاجتك ؟ ^(١) قال : تكتب إلى أمير المؤمنين
بالرضا عني ، قال : نعم ، ثم دعا كاتبه فكتب له بالرضا عنه ^(٢) ، فأخذ كتابه ومضى
حتى دخل على معاوية ، فلما قرأه قال : لحا الله زيادا ، لم ينس له قوله :

• وإن زيادة في آل حرب •

ثم رضى عن صد الرحمن وردّه إلى الساحة

وأما أشعار يزيد بن مبرغ الحيرى ومجاؤه عيد الله وعنادا ؟ أبي زياد بالدعوة
فكثيرة مشهورة ، ونحو قوله :

أعتاد ما للوأم عنك تحول ^(٣) ولا لك أم من قريش ولا أب
وعل لسيد الله مالك والد بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب
ونحو قوله :

شهدت بأن أمك لم تُسَلِّمْ أما سفيان واصعة القناع

(١ - ١) الاستيغاب . قال : تكتب إلى أمير المؤمنين بالرضا عني ، قال : نعم ، ثم دعا كاتبه فقال :

اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . لعيد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان ؟ فإن أحد إليك الله
الذى لا إله إلا هو ؟ أما بعد فإنه . . . وذكر الحير .

(٢) ١ : تحول .

ولكن كل امرئ فيه نفس على حذر شديد وارتياح
إذا أودى معاوية بن حرب مشر شمع قبك بالصداح

ونحو قوله :

إن زياداً وناهما وأبا تكرة عندي من أجب العجب
هم رجال ثلاثة حلقوا في رخم أنثى وكلهم لأب
ذا قرشي كما تقول وذا مولى وهذا يزعمه قرشي^(١)

كان عبيد الله بن زياد يقول : ما شجيت بشيء أشد على من قول ابن مبرغ :
فكر في ذلك إن فكرت منكر هل لبت مكرمة إلا بتأثير
عاشت مية ما عاشت وما علت أن أسا من قرش في الجماهير

ويقال : إن الأبيات الوية السوية إلى عبد الرحمن بن أم الحكم ليريد بن مبرغ
وأن أولها :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلظة من الرخل البياني

ونحو قوله ، وقد باع برد علامه لما حبه عباد بن زياد بسجستان :

يا بُرْدُ ما متا دهر أضربا من قبل هذا ولا لنا له ولدا
لامتنى النفس في بُرْدٍ فقلت لها لا تهلكي إر بُرْد هكدا كدا
لولا الدهي ولولا ما تمرض بي من الحوادث ما فارقت أهدا

ونحو قوله :

أبلغ لديك بني فحطان مألوك عفت بأثر أبيها سادة اليمن
أضحى دعي زياد فقع قرقر باللمحائب يلهو بابن ذي يزن !

(١) كذا في الاستيعاب ، وفي ب : « وهذا ابن عمه » .

وَرَوَى ابْنُ السَّكَّابِيِّ أَنَّ عَتَادَ اسْتَلْحَقَهُ زِيَادٌ كَمَا اسْتَلْحَقَ مَعَاوِيَةُ زِيَادًا ؛ كَلَامُهَا لِدَعْوَةٍ .
 قَالَ : لَمَّا أُذِنَ لَزِيَادٍ فِي الْحَجِّ تَحَمَّزَ ، فَبَيَّيَا هُوَ بِتَجَمُّرٍ وَأَصْحَابُ الْقُرْبِ يَمْرُضُونَ عَلَيْهِ قُرْبَهُمْ ،
 إِذْ تَقَدَّمَ عَتَادُ - وَكَانَ حَرَّازًا - فَصَادَ يَمْرُضُ عَلَيْهِ وَيَحَاوِرُهُ وَيَحْيِيهِ ، فَقَالَ زِيَادٌ : وَبُحْكُ ،
 مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا ابْنُكَ ؛ قَالَ : وَبُحْكُ ، وَأَيُّ بَنِي ؟ قَالَ : قَدْ وَقَعْتَ عَلَى أُمِّي فَلَا تِلْكَ ،
 وَكَأَنَّ مِنْ بَنِي كَذَا ، فَوَلَدْتَنِي ، وَكَتَبْتُ فِي بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَمَلَةَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ لَهَا ، فَقَالَ :
 صَدَقْتَ وَاللَّهِ ؛ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا تَقُولُ . فَمَتَّ فَاشْتَرَاهُ ، وَادَّعَاهُ وَالْحَقُّ ؛ وَكَانَ يَتَمَهَّدُ بَنِي قَيْسِ
 ابْنِ ثَمَلَةَ بِسَبِّهِ وَيُعْلِمُهُمْ . وَعَظِمَ أَمْرُ عَتَادَ حَتَّى وَلَّاهُ مَعَاوِيَةُ سِجِسْتَانَ بَعْدَ مَوْتِ زِيَادَ ،
 وَوَلَّى أَخَاهُ عَمِيدَ اللَّهِ الْبَصْرَةَ ، فَتَرَوَّحَ عَتَادَ اسْتَبْرَةَ^(١) ابْنَةَ أَتَيْفِ بْنِ زِيَادِ الْكَلْبِيِّ ، فَقَالَ
 الشَّاعِرُ بِمَحَابِلِ أَيْمَاءَ - وَكَانَ سَيِّدَ كَابٍ فِي رِمَاهُ :

أَلْبَلَعُ لَدَيْكَ أَبَا تَرٍّ كَانَ مَا لُكَّةً ^(٢)	أَلَا نَمَّا كُنْتَ أُمٌّ بِالسَّمْعِ مِنْ سَمٍّ !
أَنْكَحْتَ عَبْدَ بَنِي قَيْسٍ مَهْدَةً	أَبَاؤُهَا مِنْ هُلَيْمٍ مَعْدِنِ الْكَرَمِ
أَكُنْتَ تَحْمِلُ عَتَادًا وَمَعْتِدَةً	لَا دُرٌّ دَرُّكَ أُمٌّ أَنْكَحْتَ مِنْ عَدَمٍ
أَبَدَ آلَ أَبِي سُفْيَانَ تَحْمِلُهُ	صِهْرًا وَبَعْدَ بَنِي مَرْوَانَ وَالْحُكْمَ !
أَعْظَمَ عَلَيْكَ بَذَا عَارًا وَمَقْعَةً	مَدَمْتَ حَيًّا وَبَعْدَ الْمَوْتِ فِي الرَّحْمِ

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : ثَلَاثُ كُنَى فِي مَعَاوِيَةَ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِمَّنْ
 لَكَانَتْ مَوْبِقَةً : ابْتِرَافُهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسَّهَاءِ حَتَّى ابْتَرَّهَا أَمْرُهَا ، وَاسْتَلْحَقَهَا زِيَادًا
 مُرَافَعَةً لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ : « الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ ، وَلِلْمَاهِرِ الْحَجَرُ » ، وَقَتْلُهُ حُجْرَ بْنِ عَدِيٍّ بِفَيَافِيهِ
 مِنْ حُجْرٍ وَأَصْحَابِ حُجْرٍ !

(١) كَذَا فِي ب : « الشَّتَّة » . (٢) ب : « بَرَكُل » .

وروى الشُّرُقيُّ بن القطامي ، قال : كل سعيد بن سريح مولى حبيب بن عبد قيس شيعة لمليّ بن أبي طالب عليه السلام : فمّا قدم رده الكوفة طلبه وأحاطه ، فأتى الحسن بن عليّ عليه السلام مستحيراً به ، فوثب زياد على أخيه وولده وأمرأته فحبسهم ، وأخذ ماله ، وتقض داره . فكتب الحسن بن عليّ عليه السلام إلى زياد :

أما بعد ، فإنك تمّدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، فهدمت داره ، وأخذت ماله ، وحسنت أهله وعياله ؛ فإن أذاك كناني هذا فأبني له داره ، وأردد عليه عياله وماله ، وشعني فيه ، فقد أحرته . والسلام .

فكتب إليه زياد :

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة ، أما بعد ، فقد أتاني كتابك قدأ فيه بعصك قبلي ، وأنت طالب حاجة ، وأنا سلطان وأنت سوقة ، وأمرأتني فيه بأمر الطعام المسلط على رعيتي . كتبت إليك في هاسق آوبته ، بقامة منك على سوء الرأي ، ورساً منك بذلك ، وإيم الله لا تسبقني به ولو كان بين حلمك ولحمك ، وإن ملت بعصك غير رقيق بك ولا مرع عليك ، فإن أحبّ لحم على أن أكله كنعم الذي أنت منه ، فسلمه بحريته إلى من هو أولى به منك ، فإن عصوت عنه لم أكن شفعتك فيه ، وإن قتلته لم أقتله إلا لحته أباك الفاسق ؛ والسلام .

فلما ورد الكتاب على الحسن عليه السلام قرأه وتشم ، وكتب بذلك إلى معاوية ، وحمل كتاب زياد عطفه ، وبعث به إلى الشام ، وكتب جواب كتابه كلتين لا تائفة لهما : من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية ، أما بعد ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » ؛ والسلام .

فلما قرأ معاوية كتاب زياد إلى الحسن صاقت به الشام ، وكتب إلى زياد : أما بعد ، فإن الحسن بن عليّ بعث إليك كتابك إليه جواباً عن كتاب كتبه

إليك في ابن سرح ؛ فأكثر المجب منك ، وعلت أن لك رأيين : أحدهما من أبي سفيان ،
والآخر من سمية ، فاما الذي من أبي سفيان فحزم ، واما الذي من سمية ، فما يكون
من رأى مثلها ! من ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أمه ، وتمرض له بالفسق ، ولعمري إنك
الأولى بالفسق من أبيه . فاما أن الحسن بدأ نفسه ارتفاط عليك ، فإن ذلك لا يضعك لو
عقلت ، واما تسلطه عليك بالأمر حتى يش الحسن أن يتسلط ، واما تركك تشييمه فيما
شفع فيه إليك ، فخطأ دفعت عنه نفسك إلى من هو أولى به منك . وإذا ورد عليك كتابي نخل
ما في يديك لسميد بن أبي سرح ، وابن به داره ، واردد عليه ماله ، ولا تمرص له ،
فقد كتبت إلى الحسن أن يحبره ، إن شاء أقام عنده ، وإن شاء رجع
إلى بلده ، ولا سلطان لك عليه لا بيد ولا لسان . واما كتابك إلى الحسن
باسمه واسم أمه ، ولا تنسبه إلى أبيه ، فإن الحسن وبحك آمن لا يؤمن به
الرجوان ^(١) ، وإلى أي أم وكنته لا أم لك ! أما علنت أنها فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فذاك أفر له لو كنت تعلمه ^(٢) وتمعله ! وكنت في أسفل الكتاب
شعرا ، من جلته :

أما حسن فابن الذي كان قبله إذا سار سار الموت حيث يسير
وهل ولد الرجبال إلا نظيره وإذا حسن شنه له وطير
ولكنه لو يورن الحلم والحجب بأمر لقالوا يذبل وثبير

(١) الرجاء : حاجة كل شيء ، وحس بعضهم به حاجة البئر من أعلاها إلى أسفلها وحافتها ؟ ويقال :
رمى به الرجوان : استهين به ، فكأنه رمى به هناك ؟ أرادوا أنه طرح في المهالك ؟ قال :

لقد هزمت متنى بنجران أن رأت مقامي في الكيلين أم أبان
كان لم ترى قبلي أميراً مكتلاً ولا رجلاً يؤمن به الرجوان
أي لا يستطيع أن يشتمك . (٢) ساطعة من م .

ودوى الزبير بن بكار في « الوصيات » أن عبد الملك أحرى حيلة، فسبقه عباد بن زياد، فأشد عبد الملك :

سقى عباد وصلت لحيته وكان حرّاً زاً نجهود قريته

فشكى عباد قول عبد الملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فقال له : أما والله لأصمتك منه بحيث يكره . فزوجه أخته ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، إن منا كيع آل أبي سفيان قد صاعت . فأحبر عبد الملك خالداً بما كتب به الحجاج ، فقال خالد : يا أمير المؤمنين ، ما أعلم امرأة من صاعت ورثت إلا عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فإنها عندك ، ولم يَمِنْ الحجاج غيرك . قال عبد الملك : بل عني الدعي ابن الدعي عسادا ، قال خالد : يا أمير المؤمنين ، ما أصمتني ، ادعي رجلاً ثم لا أزوجّه ! إنما كنت ملوماً لو رويحت دعيتك ، فأما دعيتي فلم لا أزوجّه !



فأما أول ما ارتفع به زياد فهو استخلاف ابن عباس له على البصرة في خلافة علي عليه السلام ، وبلغت علياً عه هات ، فكتب إليه يلومه ويؤمّه ، فيها الكتاب الذي ذكر الرضى رحمه الله بعصه ، وقد شرحنا فيها تقدم ما ذكر الرضى منه ، وكان علي عليه السلام أخرج إليه سقداً مولاه يحمله على حمل مال البصرة إلى الكوفة ، وكان بين سعد وزياد ملاحاة ومنازعة ، وعاد سعد وشكاه إلى علي عليه السلام وعابه ، فكتب علي عليه السلام إليه :

أما بعد ، فإن سعداً ذكر أنك شتمته ظمّاً ، وهددته وجبته نجيّاً وتكبراً ، فما هناك إلى التكبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « التكبر رداء الله ، فمن نازع الله رداءه قصمه » ، وقد أخبرني أنك تكبر من الألوان الضئيفة في الطعام في اليوم الواحد ،

وتدّهن كل يوم ، فما عليك لو صمّنت لله أباماً ، ونصّدت بعض ما عندك محسباً ، وأكث طعامك مراراً قماراً ، فإن ذلك شعارُ الصالحين ! أفتطمع وأنت متمرّغ في التعميم ، تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم ، أن يُحسب لك أجرُ المتصدقين ! وأحبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار ، وتعمل عمل الحاطئين ، فإن كنت تفعل ذلك فمنسك ظلمت ، وعملك أجهلت ، فتب إلى ربك يُصلح لك عملك ، واقتصاد امرك ، وقدم إلى ربك الفضل ليوم حاجتك ، وادّهن عتاً ؛ فإن سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ادّهنوا عتاً ولا تدّهنوا ريفاً^(١) » .

فكتب إليه زياد : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فإن سعداً قدّم على فأساء القول والعمل ، فأنهرته وزجرته ، وكان أهلاً لأكثر من ذلك . وأمّا ما ذكرت من الإسراف واتخاذ الألوان من الطعام والتم ، فإن كان صادفاً بثأره الله ثواب الصالحين ، وإن كان كادياً فوفاء الله أشدّ عقوبة الكاديين . وأمّا قوله : « إني أصف العدل وأخالفه إلى غيره » ، فإنّ إدن من الأحرار . نعمة يا أمير المؤمنين بمقال قلته في مقامه ؛ الدعوى بلا بينة ؛ كالهم بلا نعل ، فإن أنك بشاهدتي عدل ؛ وإلا تبين لك كذبه وظلمه .

ومن كلام زياد : تأخيرُ حزاء الحسن لؤم ، وتعجيل عقوبة المسيء طيش . وكتب إليه معاوية : أمّا بعد ، فاعرف حريث بن حابر عن العمل ، فإنّي لا أذكر مقاماته بصعق إلا كانت خرازة في صدري ، فكتب إليه زياد : أمّا بعد ، نفعك عليك يا أمير المؤمنين ، فإن حُرَيْثاً قد سبق شرفاً لا يرفعه معه عمل ، ولا يصعه معه قرل .

(١) الرقة والإرغاء : كبره التعميم والتميم .

وقال لابنه عبيد الله : عليك بالحجب ، وإنما احترأت الرثاء على السباع بكثرة نظيرها إليها .

ومن كلامه : أحسنوا إلى أهل الحراح ، فإنكم لا تزالون سحابة ما سمعوا .
قدم رجل خصمه إلى زياد في حق له عليه وقال : أيها الأمير ، إن هذا يدل بحاصة ذكر أنها له منك . قال زياد : صدق ، وسأخبرك بما ينفعه عندي من خاصته ومودته ، إن يكن له الحق عليك أحدث به أحداً عبيداً ، وإن يكن الحق لك قضيت عليه ، ثم قضيت عنه .

وقال : ليس الماقر من يحتال للأمر ، إذا وقع فيه ، لكن العاقل من يحتال للأمر ألا يقع فيه .

وقال في حيلة له : ألا ربّ مسرور مدؤمنا لا نرّه ، وحائف ضررنا لا نصرّه .
كان مكتوباً في الحيطان الأرمية في قصر زياد كتابة بالحصن ، أرمية أسطر : أولها : الشدة في عبر عصف ، واللين في عبر صنف . والثاني : المحسن بحار ياحسانه ، والمسيء بكافاً بإساءته . والثالث : العطيات والأدرف في إبانها وأوقاتها . والرابع : لا احتجاب عن صاحب قنبر ، ولا عن طارق ليل .

وقال يوم أعلى السر : إن الرجل ليتسكّم بالكلمة يشرى بها عيطه لا يقطع بها دنبر عنز فتصرّه ، لو لمفتنا عنه لسعكنا دمه .

وقال : ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت عقده منه .

وقال في حيلة : استوصوا بثلاثة مسكّم خيراً : اشرب ، واسلم ، والشيخ ؛ فوالله لا يأتيني وضيعٌ بشريف يستخف به إلا انتفعت منه ، أو شابٌ بشيخ يستخف به إلا أوجعتّه ضرباً ، ولا جاهلٌ بمالم يستخف به إلا سكّلت به .

وقيل لزياد : ما الخطأ ؟ قال : أن يطول صررك ، وترى في عدوك ما يترك .

قيل : كان زياد يقول : هما طريقان للعمامة : الصدعة والسيف .

وكان الميرة يقول : لا والله حتى يحملوا على سبعين طريقا غير السياف .

وقال الحسن البصري لرجل : ألا تحدثني بحطيتي زياد والحجاج حين دخلا العراق ؟

قال : بلى ، أما زياد فلما قدم المصرية حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن معاوية غير مخوف على قومه ، ولم يكن ليبلغ بسبه من ليس معه ، وقد شهدت الشهود عما قد بلغكم ، والحق أحق أن يُنتفع ، والله حيث وضع البيت كان أعلم ، وقد رحلت عنكم وأنا أعرف صديق من عدوتي ، ثم قمت عليكم وقد صار أعدوا صديقا مناصحا ، والصديق عدوا مكاشحا ، فليشتغل كل امرئ على ما في صدره ، ولا يكون لسانه شفرة تحرى على أوداحه ، وليعلم أحدكم إذا خلا نفسه أنى قد هلت سيق يدي ، فإن أشهر لم أعمده ، وإن أعمده لم أشهر . ثم تولى وأما الحجاج فإنه قال : من أعياه دأؤه ، فمكئ دأؤه ؛ ومن أسدطأ أحله ؛ صلى أن اعننه ؛ ألا إن الحرم والحرم استلما مني سوطي ، وجعل سوطي سبي ، فجاده في عني ، وقأنه يدي ، وذبابه قلادة لمن اعترني .

فقال الحسن : التؤس لهما ، ما أغرهما رتبهما ! اللهم أحمنا ممن يمتد بهما .

وقال بعضهم : ما رأيت زيادا كاسرا إحدى عيبيه ، واصفا إحدى رجليه على الأخرى

يخاطب رجلا إلا رحمتُ المخاطب .

ومن كلامه : نعم الشيء الإمارة ؛ لولا فمقة لحام البريد ، وتسم دروة المهر .

قال لحاحه : يا نخلان ، إني قد ولّيتك هدايا وعزلتك عن أربعة : النادى إذا

جاء يؤذن بالصلاة ، فإنها كانت كتنا موقوتا ، ورسول صاحب الثغر ، فإنه إن أبطل

ساعةً فسد تدبيرُ سنة ، وطارق الليل فشرُّ ما جاء به ، والطلاخ إذا فرغ من الطعام ، فإنه متى أعيد عليه التَّحجين فسد .

وكان حارثة بن بدر انقضى قد عب على زياد ، وكان حارثة مشتهراً بالشرب ، فعيل لزياد في ذلك ، فقال : كيف ما طراح رجل هو يسأرنى منذ قديمت العراق فلا يصلُ ركابه ركابي ، ولا تقدمنى قطَّ فطرتُ إلى قسائه ، ولا تأخر عني فلويت عني إليه ، ولا أخذ على الشمس في شتاء قطَّ ، ولا الروح في صيف قطَّ ، ولا سألتُه عن علم إلا ظننته لا يحمين غيره .

ومن كلامه : كى بالخل ماراً أن أسمه لم يقع في حدير قطَّ ، وكى بالجوود محراً أن أسمه لم يقع في حدير قطَّ .

وقال : سلاك السلطان الشدة على المرهب ، واللين للمحسن ، وصديق الحديث ، والوفاء بالمهد .

وقال : ما أتيتُ مجلساً قطُّ إلا تركتُ معه ما لو أحدثه لكان لي ، وترك ما لي أحبُّ إلى من أخذ ما ليس لي .

وقال : ما قرأتُ مثلَ كتب الرِّبيع بن زياد الحارثي ، ما كتب إلى كتاباً قطُّ إلا في احتراز منعمة ، أو دفع مصرة ، ولا شاورته يوماً قطُّ في أمرٍ مبهم إلا وسَّس إلى الرأي .

وقال : يُعصى من الرجل إذا أتى مجلساً أن يعلم أين مكانه منه ، فلا يتعداه إلى غيره ، وإذا سمع حطَّةً حسف أن يقول : « لا » علَّ فيه .



فأما خطبةُ زياد المعروفة بالبراء - وإنما سميت بذلك لأنه لم يحمّد الله فيها ، ولا صلى على رسوله - فقد ذكرها عليُّ بن محمّد الدائني قال : قدّم زياد البصرة أميراً عليها أيام معاوية والفسق فيها فاشي جداً ، وأموالُ الناس منهبة ، والسياسة ضعيفة ، فصعد المنبر فقال :

أما بعد، فإن الجاهلية الجُهلاء^(١)، والصَّلاة نَمِيًّا، والنَّبي المرفد لأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، وبشتمل عليه حُلَاؤكم؛ من الأمور الخطام، يثبت فيها الصغير، ولا يتحاشى منها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تستمعوا ما أعدَّ من الثواب الكثير لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزَّمن التَّرمذ الذي لا يروى.

أتكونون من طرفت عيبه^(٢) الدنيا، وسدَّت مسامعه الشهوات، واحتار الفانية على الناقية لا تدكرون^(٣) أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تُسَقُوا به؛ من تركم الضعيف يُقهر ويُؤخذ ماله^(٤)، والنصيصة السبوية في النهار المُصر، هذا والعدد غير قليل!

ألم يكن منكم نَمَاءٌ تمنع المواة عن دلج الليل^(٥) وطرة النهار! قرَّتم القراءة، وواعدتم الذين يمتدرون بنير العذر، ويُعطون^(٦) على المحتلس، كل امرئ منكم يدب عن سيمه، صبيح^(٧) من لا يحاف عافية، ولا يرجو معادا. ما ما أنتم بالحللاء، وقد اتَّعتم السماء، فلم يزل بهم ما تزوون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرمة^(٨) الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كُوسا في مكاس الرئب. حرَّم على الطعام والشراب حتى أسوَّها بالأرض هدمًا وإحراقًا! إني رأيتُ آخر هدم لا يصلح إلا بما صلح به أوله! لين في غير ضعف، وشدة في غير عُنف. وأقسم بالله لأحدثن الولي بالولي، والطاعن بالطاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم في نفسه بالتقيم، حتى يلتق الرجل أخاه

(١) الجاهلية الجُهلاء؛ وصف على النماة، كما يقال: لثة ليلاء، ويوم أيوم، وجمع هامج.

(٢) طرفت عيبه الدنيا؛ أي صرخته عن الحق. (٣) ١: «أذكرون».

(٤) ينمنا في البيان: «وهذه المواخير للصورة».

(٥) الدلج: السير من أول الليل؛ وقد أدخوا، بن ساروا من آخره فادخوا، بالشدديد.

(٦) ١ والبيان: «ويعضون على المحتلس».

(٧) ١ والطوى: «صبح».

(٨) ١ البيان: «حرم الإسلام».

فيقول : انجُ سَعْدُ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ^(١) ، أو تستقيم لي قناتكم .

إنَّ كَذِبَةَ النَّارِ تُتْلَى^(٢) مشهورة ، فإذا تعلّقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي !
من نُقِبَ عليه منكم فأنا ضامن له ذهب منه . فإنا كم ودلج الليل ، فإني لا أوتى بمدرج
إلا سفتك دمه . وقد أجلتكم بقدر ما باتى الخمر الكوفة ، وبرجع إليكم .

إنا كم ودعوى الجاهلية ، إني لا أحد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه ، وقد أحدثتم
أحداثا ، وقد أحدثنا لكلّ داب عقوبة ، فمن عرق بيوت قوم غرقناه ، ومن حرق
على قوم حرقناه ، ومن نقب على أحد بيتا نقبنا على قلبه ، ومن نشق قرا دفناه
فيه حيا .

كفوا عني أديكم والسفك ، اكف عكم بدى ولسان . ولا يظهر من أحدكم
خلاف ما عليه طاعتكم فأصرب عنه . وقد كانت بيني وبين أقوام إحسان فقد حملت ذلك
وراء أدنى ، ونحت قديمي ، فمن كان منكم عسا فليرد إحسانا ، ومن كان مسيئا فليرع
عن إساءته ؛ إني لو علمت أن أحدكم قد فيه السلالة^(٣) من نفضي لم أكشف عنه قناعا ،
ولم أهتك له سيرا حتى يبدى لي صمخته ، فإذا فعل لم أنظره . فاستأثروا أموركم ،
وأعينوا على أنفسكم ، فربّ مبتئس بقومنا سير ، ومسرور بقومنا سيئاس .

أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعكم دادة ، نسوكم سلطان الله الذي
أعطاه ، ونزوّد عكم بيو الله الذي حوّلناه ، فلما عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ،
ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولبنا ، فاستوحبوا عدلنا وفيثنا بمناصحتكم لنا ، واعلموا
أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاقق منكم ،

(١) سعد وسعيد ، ٨ اناسه بن أد ، حرجا في طلب إبل لأبيهما ، فوجداهما سعد مردّاهما ، وقتل
سعيد ، فكان صبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ؟

(٢) ١ : « تلى » ، وفي البيان : « بقاء مشهورة » .

(٣) البيان : « السل » .

ولا حاسباً عطاءً ، ولا محزناً^(١) ، فادعوا الله بالصالح لا تلتكم فإنهم ساستكم المؤدبون ، وكهفكم الذي إليه تآوون ؛ ومتى يصلحوا تصدعوا ، فلا تشربوا قلوبكم بفسادهم ، فيشتد ذلك غيظكم ، ويطول لذلك خربكم ، ولا تدركوا حجتكم ، مع أنه لو استحيب لأحد منكم لكان شراً لكم . أسأل الله أن يبين كلاً على كلاً . ودارا يطمون أنفد فيكم الأمر ، فاتفدوه على أدلاله^(٢) . وأيم الله إن لي فيكم لصراً كثيراً ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعى .

فقام عدو الله بن الأهم فقال : أشهد أيها الأمير ؛ لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال : كذبت ، دالك نبي الله داود .

فقام الأحنف فقال : إنما أشاء بمد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإننا لا نثني حتى ننتلي ، ولا نحمد حتى نسطي .

فقال زياد : صدقت . فقام أبو بلال صهراس بن أدية بهمس ويقول : أبأنا الله بغير ما قلت ، [فقال] : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ إِلَّا نَزْرُورَةً وَهَذَرًا أُخْرَى ﴾^(٤) ، فسمعا زياد فقال : يا أبا بلال ، إنا لا نبلغ ما نريد بأحمدك حتى نحوض إليهم الباطل خوفاً^(٥) .



وروى الشعبي ، قال : قدم زياد الكوفة لما جئت له مع البصرة ، فدنوت من المنبر لأسمع كلامه ، فلم أر أحدا يتكلم فيحس إلا نمت أن يسكت بحافة أن يسيء ، إلا زيادا فإنه كان لا يزداد إكثاراً إلا ازداد إحساناً ، فكنت أنمتي إلا يسكت .

(١) محزون الجهد . أن يحبسهم في أرض العدو ويحبسهم عن العودة إلى أهلهم

(٢) على أدلاله ؛ على طريقه ووجهه ؛ وأيمه دى ؛ وهو ، دليل ومهد من الطريق .

(٣) من الذين .

(٤) يعني في البيان . وأنت نزعك أنك تأخذ برى . بالقيم ، والمطلع بالعاصي والمقبل بالمعبر .

(٥) انعطه روماً الجاحظ في البيان والنبى ٢ . ٦١ . وهي أيضاً في عبود الأحرار ٢ : ٢٤١ ،

وتوارد القائل ١ : ١٨٥ ، والصبرى (حوادث ٤٥)

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ أَيْضًا ، قَالَ : لَمَّا حَبَسَ رِيَادَ خُطْبَتِهِ الْبَتْرَاءَ بِالْبَصْرَةِ وَنَزَلَ مَعَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ
أَصْوَاتَ النَّاسِ يَتَحَارَّسُونَ ، فَحَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : إِنَّ الْبَلَدَ مَفْتُونَةٌ ، وَإِنَّ الْمَرَأَةَ مِنْ أَهْلِ
الْمَصْرِ لَتَأْخُذُهَا الْفُتَيَانُ الْفُسَّاقُ فَيَقْتُلُهَا : نَادَى ثَلَاثَ أَصْوَاتٍ ، فَإِنْ أَجَابَكَ أَحَدٌ وَإِلَّا فَلَا
لَوْمَ عَلَيْنَا فِيمَا نَصْنَعُ . فَغَضِبَ فَقَالَ : ضَيْمَ أَد ، وَفِيمَ قَدِمْتَ ! فَلَمَّا أَصْبَحَ أَصْرَ فَنَوْدَى فِي النَّاسِ ،
فاجْتَمَعُوا فَنَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ بَشَّتُ مَا أَنْتُمْ فِيهِ وَمَعْتُ ذَرُؤًا^(١) مِنْهُ ، وَقَدْ أَنْدَرْتُمْ
وَأَجَلْتُمْ شَهْرًا مَسِيرَ الرَّحْلِ إِلَى الشَّامِ ، وَمَسِيرَهُ إِلَى حِرَاسَانَ ، وَمَسِيرَهُ إِلَى الْحِجَازِ ، فَمَنْ
وَحْدَتَاهُ بِمَدِّ شَهْرٍ حُلُوحًا مِنْ مَنَازِلِهِ بِمَدِّ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَلَمَعَهُ هَدَرٌ . فَانْصَرَفَ النَّاسُ يَقُولُونَ :
هَذَا الْقَوْلُ كَقَوْلِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرَاءِ ، فَلَمَّا كَمَلَ الشَّهْرَ دَعَا صَاحِبَ شَرْطَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ حُصَيْنٍ الْيَرُوعِيَّ - وَكَاسَتْ دُخَانَ الشَّرْطَةِ مَعَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ - فَقَالَ لَهُ : هَيْ حَيْلَكَ وَرَحْلَكَ ،
فَإِذَا صَلَّيْتَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ، وَفَرَأَ الْقَارِئُ مِقْدَارَ شُعْرِ مِنْ الْقُرْآنِ ، وَدَفَعَ الْعُلَّ الْقَتَبَ مِنَ
الْقَصْرِ ، فَرِّ وَلَاتَلْقَيَْنَّ أَحَدًا ؛ عَبْدُ اللَّهِ بَنَ رِيَادَ بْنَ دُونَهُ ، إِلَّا حَتَّى بِرَأْسِهِ ، وَإِنْ رَاجَعْتَنِي
فِي أَحَدٍ ضَرَبْتُ عُنُقَكَ .

قَالَ : فَصَبَّحَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ سَبْعِمِائَةَ رَأْسٍ ، ثُمَّ خَرَجَ اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ فَجَاءَ بِخَمْسِينَ
رَأْسًا ، ثُمَّ خَرَجَ اللَّيْلَةَ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ رَأْسًا وَاحِدًا ، ثُمَّ لَمْ يَحْيَ بَعْدَهَا شَيْءًا ، وَكَانَ النَّاسُ
إِذَا صَلُّوا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَحْصَرُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ شَدًّا حَتَّى نَافَسُوا ، وَقَدْ يَتَرَكُ نَعْمَهُمْ بِصَالِهِ .

كَتَبْتُ حَاشِيَةً إِلَى زِيَادَ كِتَابًا ، فَلَمْ تَنْدَ مَا نَكْتُبُ عَنْوَانَهُ ! إِنْ كَتَبْتُ زِيَادَ بْنَ
عَبِيدٍ أَوْ ابْنَ أَبِيهِ أَعْصَبْتُهُ ، وَإِنْ كَتَبْتُ زِيَادَ بْنَ أَبِي سَعْيَانَ أَثَمْتُ ، فَكَتَبْتُ : مِنْ أُمِّ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَبِيهَا رِيَادَ . فَلَمَّا قَرَأَ صَحِيحَكَ ، وَقَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
هَذَا الْعَنْوَانِ نَصَبًا !

(١) ذُرُؤًا : أَيُّ طَرَفًا .

(٤٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري - وكان عامه على البصرة ، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها - قوله :

أَمَّا بَعْدُ يَا بَنِي حَنِيفٍ ، فَقَدْ تَلَفَيْتُ أَنَّ رَحُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الصَّرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُونَةٍ فَأَسْرَفْتَ إِلَيْهَا ، تَسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِبَانُ . وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ عَحْفُورًا ، وَعِيَّتُهُمْ مَدْعُورًا . فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضِيهِ مِنْ هَذَا الْمُقْصَرِّ ، فَمَا اشْتَدَّ عَلَيْكَ رَعْلُهُ فَالْعِطَةُ ، وَمَا أَقْبَتْ بِطِيبٍ وَجْهَهُ فَقَلْبُ مِثْهُ .

أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يُقْنِدِي بِهِ ، وَيَسْتَعِينُ بِنُورِ عِلْمِهِ ؛ أَلَا وَإِنْ إِمَامُكُمْ قَدْ اكْتَمَى مِنْ دُنْيَاكُمْ بِطَمَرِيَّةٍ ، وَبِزَيْنِ طُغْيَانٍ بِفَرْصَتِهِ . أَلَا وَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَلَكِنْ أُعْيِزُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَبِعَمَلٍ وَسَدَاقٍ ، فَوَاللَّهِ (١) مَا كَثُرَتْ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبَرًّا ، وَلَا اذْهَرَتْ مِنْ مَعَانِيهَا وَفَرًّا ، وَلَا أَهْدَتْ لِيَالِي تَوْبِي طِمْرًا ، وَلَا حَزَتْ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا ، وَلَا أَحْدَتْ مِنْهُ إِلَّا كَفُوتِ أَتَانِ دَيْرَةٍ ، وَلَيْتِي فِي عَيْنِي أَوْهَى مِنْ مَقْصِيَةِ مَفِرَةٍ .

البشرح :

[عثمان بن حنيف ونسبه]

هو عثمان بن حنيف - بضم الحاء - بن واهب بن السكم بن ثعلبة بن الحارث الأنصاري

ثم الأومى أخو سهل بن حُصَيْف ، يكنى أبا عمرو - وقيل : أبا عبد الله - عمل لعمراً ثم لعلّ عليه السلام ، وولاه عمر مساحة الأرض وحبايتها بالمراق ، وضرب الخراج والحزبة على أهلها ، وولاه على عليه السلام على البصرة ، فأحرجه طلحة والزبير منها حين قدمها ، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة علي عليه السلام ، ومات بها في رمن معاوية .

قوله : « من فتية البصرة » ، أى من فتيانها ، أى من شبابها أو من أسخياتها ؛ يقال للسخى : هداغى ، والجمع فتية وفتيان وفتوة ؛ وروى : « أن رجلاً من قطان البصرة » ، أى سكانها .

والمأذبة ، بضم الدال : الطعام يدعى إليه القوم ، وقد جاءت بفتح الدال أيضاً ، ويقال : أدب فلانُ اليومَ يأديهم بالكسر ، أى دعاهم إلى طعامه ، والآدب : الداعى إليه ، قال طرفة :

نحن في الشتاء ندعو الخمل^(١) لا ترى الآدبَ فما يفتقر^(٢)

ويقال أيضاً : آدبهم إلى طعامه يؤدبهم إيداباً ؛ وروى : « وكثرت عليك الجمان فكرمتَ واكلتَ أكل ذئبٍ ميم ، أو ضع قوم » .

وروى : « وما حبيتك فأكل طعام قوم » .

ثم ذم أهل البصرة فقال : « عائلهم بجهو » ، وعيتهم مدعو » ، والمائل : الفقير ، وهذا كقول الشاعر :

فإن تعلقَ فأنت لنا عدوٌّ فإن تترَ فأنتَ لنا صديقُ

(١) ديوانه ٧٩ . الشتاء : رمس الشتاء . والخمل : أن يمس المرء بدعوته إلى الطعام ولا يحس أحدٌ دون الآخر . والانتظار : أن يدعو القوم ؛ وهى أن يحس بدعوته ولا يسبها .

ثم أمره بأن يترك ما فيه شبهة إلى ما لا شبهة فيه ، ومعنى ذلك قضا ومقضا وإن كان مما لا يقسم لاحتقاره له ، واردة إياه ، وآته عنده ليس مما يستحق أن يسمى بأسماء المرغوب فيه ، المتنافس عليه ، وذلك لأن المقسم يطلق على معنيين : أحدهما على أكل الشيء اليابس ، والثاني على ما يؤكل ببعض النعم ؛ وكلاهما يدلان على أن ذلك المقسم المرغوب عنه ، لا فيه .

ثم ذكر عليه السلام حال نفسه فقال : « إِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ قَنَعَ مِنَ الدُّنْيَا بِطَمَرِيَّةٍ ، وَالطَّمَرُ : الثَّوْبُ الْخَفِيُّ الْبَالِي ، وَإِذَا حَصَمَا اثْنَيْنِ لَأَتَمَّ إِذَا رَدَّاهُ لَامَةً مِنْهُمَا ، أَيْ لِلْجَسَدِ وَالرَّأْسِ .

قال : « وَمَنْ طَعَّمَهُ بِفَرُصِيَّةٍ » ، أى فرسان يطعم عليهما لا ثالث لهما . وروى : « قَدْ أَكْنَفَنِ مِنَ الدُّنْيَا بِطَمَرِيَّةٍ ، وَسَدَّ فُورَةَ جُوعِهِ بِفَرُصِيَّةٍ ، لَا يَطْعَمُ الْفُلْدَةُ فِي حَوْلِيهِ إِلَّا فِي يَوْمِ أَصْحِيَّةٍ » .

ثم قال : إِنْكُمْ لَنْ تَعْدُوا عَلَى مَا أُنْفِدَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَعِينُونِي بِالْوَدْعِ وَالِاخْتِهَادِ .

ثم أقسم أنه ما كنز دهب ، ولا أدر مالا ، ولا أعد ثوبا باليا مملا لبالي ثوبه ، فضلا عن أن يمد ثوبا قشياً كما يصنع الناس في إعداد ثوب حديد ليلسوه عِوَضَ الْأَمْحَالِ التي يترعوها ، ولا حزم من أرضها شرا ، والصمير في « أرضها » يرجع إلى « دنياكم » ، ولا أخذ منها إلا كقوت أثنانٍ ذبابة ، وهي التي عقر ظهرها فقل أكلها .

ثم قال : « وَلَهِيَ فِي عَيْبِ أَهْوَنَ مِنْ عَقْصَةِ مَيْرَةٍ » ، أى مُرَّة ، مِرَّة الشيء بالكسر أى صار مرّاً ، وأمقره بالهمز أيضا ، قال لبيد :

مُمَقَّرٌ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَدْبَانِ حُلُوٌّ كَالْعَسَلِ (١)

الأصل :

بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكَ مِنْ كُرِّ مَا أَصْنَعُ السَّمَاءَ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ،
وَسَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ، وَيَمِّمَ الْحَكْمُ اللَّهُ . وَمَا أَصْبَحُ بِفَدَكَ وَغَيْرِ فَدَكَ ،
وَالنَّاسُ مَطَّائِهَا فِي عَدِّ جَدَثٍ تَنْقَطِعُ فِي صَلَاحِهَا أَثَارُهَا وَكَتَمِيبُ أَحَارُهَا ، وَحُمُرَةُ
لَوْ زِيدَ فِي فُتْحَتِهَا ، وَأُوسِعَتْ يَدَا حَافِرِهَا ، لَأَسْمَطَهَا الْحَرُّ وَالْمَدَرُ ، وَسَدَّ فُرَجَهَا
الْتَرَابُ الْمُتَرَكَمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسُ أَرْضِهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آيَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ ،
وَتَثْبُتُ عَلَى حَوَائِبِ الْمَزَلَقِ .

الشرح :

الجدث : القبر ، وأصمطا الحجر : جنبها ضاعطة ، والحمرة للندبة ، وروى :
« وصمطها » .

وقوله : « مطائها في جد حداث » ، المطر : جمع مِطْنَة ، وهو موضع الشيء ومألفه
الذي يكون فيه ، قال :

فإن يكُ عامرٌ قد قال جهلاً فإن مِطْنَةَ الجهل الشيب^(١)

يقول : لا مال لي ، ولا اقتنيتُ فيما مضى مالا ، وإنما كانت في أيدينا فدك فشحنت
عليها نفوس قوم ، أي بخلتُ وسخنتُ عنها نفوس آخرين ، أي ساعمت وأغضت .
وليس يعني ها هنا بالسخاء إلا هذا ، لا السخاء الحقيقي ، لأنه عليه السلام وأهله
لم يسمحوا بفدك إلا غصبا وقسرا ؛ وقد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدم ،
وهو يعني الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم قال : « ونعم الحُكْمُ اللهُ » ، الحُكْمُ : الحاكم ، وهذا الكلام كلامُ شاكٍ متظلمٍ ، ثم ذكر مالَ الإنسان وأنه لا يبني أن يكثر بالتَّيِّنَات والأموال ، فإنه يصير عن قريب إلى دارِ البلى ومنازل الموتى .

ثم ذكر أن الحفرة صَيِّقة ، وأنه لو وسعها الحافر لأحاطها الحجر التداعي والدَّارُ التهافت ، إلى أن تصنط الميت وترحه . وهذا كلام محمول على ظاهره ، لأنه خطاب للمائة ، وإلا فأي فرق بين سعة الحفرة وصيقتها على الميت ! اللهم إلا أن يقول قائل : إن الميت يحس في قبره ، فإذا قيل ذلك فالجاءل له حساساً بمدِّ عدم الحسِّ هو الذي يوسع الحفرة ، وإن كان الحافر قد جعلها ضيقة ؛ فإذن هذا الكلام حيد لخطاب المَرَّب خاصة ، ومن يحمل الأمور على ظواهرها .

ثم قال : « وإنا هي نفس أروصها بالتقوى » يقول : تنقلى واتصاري من الطعم والدنس على الحشِب والخشِن رِيَاةً لِمَعْنَى ، لأن ذلك إنما أمله خوفاً من الله أن أنفس في الدنيا ، فالرياسة بذلك هي رِيَاةٌ في الحقيقة بالتقوى ، لا بنفس الثقل والتشغف ، لتأتي نفس آمنة يومَ المَرَع الأكر ، وتنت في مداحض الرُّلُق .

• • •

[ذكر ما ورد من السُّبُر والأخبار في أمر فَدَك]

واعلم أنا تتكلم في شرح هذه الكلمات ثلاثة فصول :

الفصل الأول فيما ورد في الحديث والسُّبُر من أمر فَدَك ، والفصل الثاني في هل النبي صلى الله عليه وآله يورث أم لا ؟ ، والفصل الثالث في أن فَدَك ؛ هل صحَّ كونها نَحْلَةً من رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة أم لا ؟

الفصل الأول : فيما ورد من الأحبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم ، لا من كُتِب الشيعة ورجلهم ، لأننا مشرطوب على أنفسنا ألا نحفل بذلك ، وجميع ما نورد في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن محمد العريز الجوهري في السقينة وفدك وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب ، ثقة ورع ، أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته .

قال أبو بكر : حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال : حدثنا حيان بن بشر ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري قال : بعيت بنية من أهل حير تحمسون ، فسلوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحقن دماءهم ويُسِرهم ، ففعل ، فسمع ذلك أهل فدك ^(١) فزلوا ^(٢) على مثل ذلك ، وكانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصة ، لأنه لم يوجع عليها محيل ولا ركاب .

قال أبو بكر : وروى محمد بن إسحاق أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرغ من حير فذف الله الرعب في قلوب أهل فدك ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فصالحوه على النصف من فدك ، فقدمت عليه رسالتهم بخير أو بالطريق ، أو بعدما أقام بالمدينة ، فقبل ذلك منهم ، وكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة له ، لأنه لم يوجع عليها محيل ولا ركاب .

قال : وقد روى أنه صالحهم عليها كلها ، والله أعلم أي الأمرين كان .

قال : وكان مالك بن أنس يحدث عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه صالحهم على النصف فلم يزل الأمر كذلك حتى أخرجهم عمر بن الخطاب وأجلام بعد أن عوضهم عن النصف الذي كان لهم عوضا من إبل وغيرها .

(١) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومئذ .

(٢) في ١ « وكانوا » .

وقال غير مالك بن أنس : لما أجلاهم عمرُ بمث إليهم من يقوم الأموال ، بمث أبا الهيثم بن التيمهان ، وفروة بن عمرو ، وجلب بن صخر ، وزيد بن ثابت ، فقوموا أرضَ فدك ونخلها ، فأخذها عمر ، ودفع إليهم قيمة النصف الذي لهم ، وكان مبلغ ذلك خمسين ألف درهم ، أعطاهم إياها من مالِ أتاب من الرقيق ، وأجلاهم إلى الشام .

قال أبو بكر : حدثني محمد بن زكريا قال : حدثني جعفر بن محمد بن عمار الكندي قال : حدثني أبي ، عن الحسين بن صالح بن حي ، قال : حدثني رجلان من بني هاشم ، عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام . قال : وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه . قال أبو بكر : وحدثني عثمان بن عمران المجيني ، عن نائل بن نجيع بن عمير بن كيمر ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام . قال أبو بكر : وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد ، عن عبد الله بن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن حسن بن الحسن . قالوا جميعا : لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماعُ أبي بكر على منعها فدك ، لانتِ خمارها ، وأقبلت في كلمة من حَفَدَتِها ونساء قومها ، تطأ في ذبولها ، ما تحرم مِثْلَها مِثْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار ، فصرَبَ بينها وبينهم رِيطَةٌ بيضاء . وقال بعضهم : قُبْطِيَّة ، وقالوا : قُبْطِيَّة بالسكسر والضم . ثم أتت أنةً أجشش لها القوم بالبكاء ، ثم أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورهم ، ثم قالت : أبتدئ بمحمد من هو أولى بالحد والطول والمجد ، الحمد لله على ما أنتم وله الشكر بما ألهم . وذكر خطبة طويلة جيدة قالت في آخرها : « فاتقوا الله حقَّ تقاته ، وأطيعوه فيما أمركم به ، فإنما يخشى الله من عباده العلماء ، واحمدوا الله الذي أنزل لكم كتابه وتورده ليتبين من في السموات والأرض إليه الوسيلة ، ونحن وسيلته في خلقه ، ونحن خلصته ، وعمل قدامه ، ونحن حجته في غيبه ، ونحن ورثة

أبيائه ، ثم قالت : أنا فاطمة أبة محمد ، أقول عودا على بدء ، وما أقول ذلك سرقا ولا سخطا ، فاسمعوا بأسماع واعية ، وقلوب راعية ، ثم قالت : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) فإن تعزوه تحذوه أبي دون آبائكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني ، تقول في آخره : ثم أنتم الآن ترعمون أن لا إرث لي ؛ ﴿ أَفَحُكُّمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) إيها معاشر المسلمين ، ابتز إرث أبي ! أبي الله أن ترث يابن أبي قحافة أباك ولا إرث أبي ، لقد جئت شيئا فريبا ! فدونكمها مخطومة مراحولة نلقاتك يوم حشرك ، فتم الحسك الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يحسر المطعون ، ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ! ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أئمة :

قد كان بعدك أبناء وهينة لو كنت شاهد هالم تكثرت الخطب (٣)
أهدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت وحالت دونك الكتب
تجهمتنا رجال وأستخف بنا إذا غبت عنا فنحن اليوم نفتصب

قال : ولم ير الناس أكثر بك ولا باكية منهم يومئذ . ثم عدت إلى مسجد الأنصار فقالت : يا معشر البقية ، وأعضاء اللثة ، وحضنة الإسلام ، ما هذه الفترة عن نصرتي ، والونية عن معونتي ، والقمزة في حق ، والسنة عن ظلامي ! أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « الرء يحفظ في ولده ! سرعان ما أحدثتم ، وعجلا ما أتيت . الآن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أمتكم ديه ! ها بن موه لعمري خطب مجليل أستوسع وهنه ،

(١) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩ . (٢) سورة التوبة ٥٠ .

(٣) الهينة : الصوت الخفي ، وانظر لسان .

واستبهم فقهه ، وقُدِّرَ رَأْيُهُ ، وأُظْلِمَتْ الأرضُ لَهُ ، وَخَشَعَتِ الجبالُ ، وَأَكْثَدَتِ الآمالُ .
أُضْيِعَ بَعْدَهُ الحَرِيمُ ، وَهَتِكَتِ الحَرَمَةُ ، وَأُذِيلَتِ الصُّوْنَةُ ، وَتَلَّكَ نَازِلَةٌ أَعْلَنَ بِهَا كِتَابُ
اللهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَأَنْبَأَكُمْ بِهَا قَبْلَ وَقَائِهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ أَهْلَانِ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَمَلْتُمْ عَلَى أَغْفَاكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ
اللهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١) بِهَا بَنِي قَيْلَةَ ! اهْتَصَمَ تَرَاثُ أَبِي ، وَأَنْتُمْ بِمِرْأَى
وَمَسْمَعٍ ، تَلْفَكُمُ الدَّعْوَةُ ، وَيَشْمَلُكُمُ الصَّوْتُ ، وَفِيكُمْ الْمُدَّةُ وَالْعُدَّةُ ، وَلَكُمْ الدَّارُ وَالْجَنَّةُ
وَأَنْتُمْ نُخْبَةُ اللهِ الَّتِي اشْتَبَ ، وَحِجْرُهُ الَّتِي احْتَدَرَ ! هَدَيْتُمُ الرَّبَّ ، وَبَادَهْتُمُ الْأُمُورَ ، وَكَلَفْتُمُ
الْمَهْمَ حَتَّى دَلَّتْ كُمْ رَحَى الْإِسْلَامِ ، وَدَرَجَتُهُ ، وَحَسَّتْ نِيرَانُ الْحَرْبِ ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ
الشَّرِّكَ ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرَجِ ، وَاسْتَوْتَقَ بَطْنُ الدِّينِ ، أَهْأَخَّرْتُمْ مَدَّ الْإِقْدَامِ ، وَكَسَمْتُمْ
بِعِدِّ الشَّدَةِ ، وَحَسَمْتُمْ بِعِدِّ الشَّجَاعَةِ ، عَنْ قَوْمٍ فَكَثُرُوا بِعَاهَتِهِمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَمَنُوا فِي
دِيَارِهِمْ ! فَخَانُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ بِأَسْمِهِمْ لَا بِأَعْمَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ . أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنَّ قَدْ أَهْلَدْتُمْ
إِلَى الْخَفْصِ ، وَرَكَعْتُمْ إِلَى الدَّعَةِ ، فَتَحَدَّثْتُمْ أَنْذَى وَعَيْتُمْ ، وَسَمِعْتُمْ الَّذِي سَوَّعْتُمْ ، وَإِنْ
تَكْبَرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَيْثُ هَذَا اللهُ لَعَلِّي حَمِيدٌ ، أَلَا وَقَدْ غَلَتْ لَكُمْ مَا غَلَتْ عَلَى
مَعْرِفَةِ مَنَى الْخَذَلَةِ الَّتِي خَاصَرَتْكُمْ ، وَحَوَّرَ الْفَقْدَ ، وَصَعَبَ الْيَقِينَ ، فَدُونَكُمْ هَا فَاحْتَوِهَا
مَدْرَةَ الطَّهْرِ ، نَاقِمَةَ الْحَفِّ ، نَافِيَةَ السَّارِ ، مَوْسُومَةَ الشُّعَارِ ، مَوْصُولَةَ سَارِ اللهِ الْمَوْفِدَةِ ، الَّتِي
تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقَدَةِ ، جَبِينِ اللهِ مَا تَمَكَّلُونَ ﴿ وَسَيَعْلَمُ نَدَى طَمَنُوا أَيْ مَقَلَبَ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّحَّاحِ قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ
مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ : لَمَّا كَلَّمَتِ هَضْمَةُ عِدِيهَا إِسْلَامَ أَبِي بَكْرٍ بِمَا كَلَّمَتْهُ بِهِ حَمِيدُ
أَبُو بَكْرٍ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا حَيْزَةَ السَّاءِ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْأَبَاءِ ، وَاللهِ
مَا عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَا عَمَلْتُ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَإِنَّ الرَّائِدَ

لا يكذب أهله ، وقد قلت فأنلت ، وأعطت فأنهت ، فقمر الله لنا ولك . أم بعد ، فقد دفعت آل رسول الله ودابته وحده إلى عي عليه السلام ، وأما ما سوى ذلك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهابا ولا فضا ولا أرضا ولا عقارا ولا دارا ، ولكننا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنة » ، فقد علمت بما أمرني ، ونصحت له ، وما توفيتي إلا به فيه نوكت وإليه أئيب .

قال أبو بكر : وروى هشام بن محمد ، عن أبيه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إن أم أيمن تشهد لي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطانى فداك ، فقال لها : يا ابنة رسول الله ، والله ما خلق الله حقا أحب إلى من رسول الله صلى الله عليه وآله إليك ، ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك ، والله لأن تنقر عائشة أحب إلى من أن تنقرى ، أتراني أعطى الأحر والأبيض حقه وأظفك حقا ، وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إن هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال ، ويفقه في سبيل الله ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليته كما كان يليه قالت : والله لا كلفتك أبدا ! قال : والله لا هرتك أبدا ؛ قالت : والله لأدعوك الله عليك ؛ قال : والله لأدعوك الله لك ، فلما حصرتها الوفاة أوصت ألا يصلّى عليها ، فدفنت ليلا ، وصلى عليها عباس بن عبد المطلب ، وكان بين وفاتها ووفاء أبيها اثنتان وسبعون ليلة .

قال أبو بكر : وحدثني محمد بن ذكرية ، قال : حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول قال : فلما سمع أبو بكر خطبته شق عليه مقاتلها فصعد المنبر وقال : أيتها الناس ، ما هذه الرعة إلى كل قاله ! أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألا من سمع فليقل ، ومن شهد فليتكلم ، إنما هو ثعالة شهيد دنيه ، مُرِبٌّ لكل فتنة ، هو الذى يقول : كرتوها حذقة بعدما هربت ، يستعينون بالضعفة ، ويستنصرون بالنساء ، كَأَمَّ طِحَالٍ أَحَبَّ أَهْلَهَا إِلَيْهَا النَّفَى . ألا إني لو أشاء أن أقول لَقُلْتُ وَلَوْ قُلْتُ لَمَحْتُ ، إني صاكت ما زكت . ثم التفت إلى الأنصار فقال : قد ملئى بامشعر الأنصار مقالة سمعائكم ، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم . فقد جاءكم فآؤيتهم ونصرتهم ، ألا إني لست بأسطائداً ولا لساناً على مَنْ لم يستحق ذلك مثا .

ثم نزل ؛ فأنصرفت «طمة عليها السلام إلى منزلها .



قلت : فرأت هذا الكلام على التقيب أن يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصرى وقلب له : بمن يعرض ؟ فقال : بل يصرح ، قلت : لو صرح لم أسألك . فصحك وقال : نعل بن أنى طالب عليه اسلام ، قلت : هذا الكلام كله لعنى بقوله ! قال : نعم ، إنه الملك يا منى ، قلت : ثا مقالة الأنصار ؟ قال : هتموا بدكر عنتى لحاف من اضطراب الأمر عديهم ، فنهام . فسألته عن عريه ، فقال : أما الرثة بالتخفيف ، أى الاستماع والإصغاء ؛ والقالة : القول ، وثعالة : اسم الثعب علم غير مصروف ، ومثل دؤنة الذئب ، وشهيد دنيه ، أى لا شاهد له على ما يدعى إلا بمضه وحز منه ، وأصده مثل ، فلوا : إن الثعب أراد أن يفرى الأسد بالذئب ، فقال : إنه قد أكل الشاة التى كنت قد أعددتها لنفسك ، وكنت حاصراً ، قال : من يشهد لك بذلك ؟ فرمى دنيه وعليه دم ، وكان الأسد قد اقتد الشاة . فقبل شهادته ، وقتل الذئب ، ومُربٌّ : ملازم ، أرب بالمكان . وكرتوها حذقة . أعيدوها إلى الحال الأولى ، يعنى الفتنة والمخرج . وأم طيحال : امرأة مئى فى إصاهاية ، ويضرب بها المثل فيقال : إزنى من أم طيحال .

قال أبو بكر : وحدثني محمد بن زكريا قال : حدثني ابن عائشة ، قال : حدثني أبي ، عن عمه قال : لما كملت فاطمة أما بكر بنى ، ثم قال : يا سة رسول الله ، والله ما ورث أبوك ديناراً ولا درهما ، وأنه قال : إن الأنبياء لا يورثون ، فقالت : إن فذك وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فمن يشهد بك ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام فشهد ، وحاض أم أيمن فشهدت أيض ، فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسمها ، قال أبو بكر : صدقت يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق علي ، وصدقت أم أيمن ، وصدق عمر ، وصدق عبد الرحمن بن عوف ، وذلك أن مالك لأبيك ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من فذك فونكم ، ويقسم الباى ، ويحمل منه فى سبيل الله ، فما تصدين بها ؟ قالت : أصنع بها كما يصنع بها أبى ؟ قال : فلك على الله أن يصنع بها كما يصنع فيها أبوك ، قالت : الله لتفعلن ! قال : الله لأفعلن ! قالت : اللهم أشهد ! وكان أبو بكر يأخذ عنتها فيدفع إليهم منها ما يكفهم ، ويقسم الباى ، وكان عمر كذلك ، ثم كان عثمان كذلك ، ثم كان علي كذلك ؛ فلما ولى الأمر معاوية بن أبى سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، وذلك بمدموت الحسن بن علي عليه السلام ؛ فلم يراوا يتداولوها حتى حلت كلهما لمروان بن الحكم أيام خلافته ، فوهبها لعبد العزيز أبيه ، فوهبها لعبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز ، فلما ولى عمر بن العزيز الخلافة ، كانت أول طلأمة ردها ، دعا حسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليه السلام - وقيل : بل دعا علي بن الحسين عليه السلام - فردها عليه ، وكانت بيد أولاد فاطمة عبيها السلام مدة ولاية عمر بن عبد العزيز ، فلما ولى يزيد بن عائكة قبضها منهم ، فصارت فى أبدي بنى مروان كما كانت يتداولونها ، حتى أتت الخلافة عنهم ، فلما ولى أبو العباس السفاح ردها على عبد الله

ابن الحسن بن الحسن ، ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث ، ثم ردّها المهدى أبه على ولد فاطمة عليها السلام ، ثم قبضها موسى بن المهدى وهارون أخوه ، فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون ، فردّها على الداعية .

قال أبو بكر : حدثني محمد بن زكريا قال : حدثني مهدي بن سابق ، قال : جلس المأمون للمطالم ، فأول رُقعة وقعت في يده نظر فيها وبكى ، وقال للدي على رأسه : نادِ ابن وكيل فاطمة ؟ فقام شيخ عليه دُرّاعة وعمامة وحُفّ نَيرَتِي ، فتقدّم فحمل يداظره في فُكّ المأمون يفتح عليه وهو يفتح على المأمون ، ثم أمر أن يستحل لهم بها ، فكتب السجل وقرئ عليه ، فأُنفذه ، فقام دُعبل إلى المأمون فشدّه الأبيات التي أولها :

أُصْحَحَ وَحَهُ الرُّمَانُ قَدْ صَحَّحَا بَرَدَ مَأْمُونٍ هَاشِمٍ فَدَكَ^(١)

فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيام التَّوَكُّل ، فأعطتها عبيد الله بن عمر الباريار ، وكان فيها إحدى عشرة نخلة مَرَسَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِيَدِهِ ، فكان ينو فاطمة يأخذون ثمرها ، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصليونهم ، فيصير إليهم من ذلك مال حزيل حليل ، فصرم^(٢) عبد الله بن عمر الباريار ذلك التمر ، ووجه رجلا يقال له بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة مصرمه ، ثم عاد إلى النصرة ففُصِّحَ .

قال أبو بكر : أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا سويد بن سميد والحسن بن عثمان قالا : حدثنا الوليد بن محمد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالمدينة وفدّك ، وما بقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر :

(١) ديوانه ١١٩ ، محم البدان (حك) . (٢) صرم الحبل : جذه وقطعه .

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا بُورْثَ ، مَا تَرَكَاهُ صَدَقَةٌ » ، إِنَّمَا بَأْ كُلُّ
 آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعِيرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَعْمَنُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنِّي أَبُو بَكْرٍ أُنْ يَدْفَعُ بِلِي فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا ، فَوَحِدَتُ
 مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهَجْرَتِهِ فَلَمْ تَكُنْ حَتَّى تُوَفِّيَتْ ، وَعَاشَتْ بَعْدَ أَبِيهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ،
 فَلَمَّا تُوَفِّيَتْ دَفَنُوهَا عَلَى عِيَةِ اسْلَامَ لَيْلًا ، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبُو بَكْرٍ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَخْبَرَنَا أَبُو رَيْدٍ قَالَ . حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
 ابْنُ أَحْمَدَ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ فَاطِمَةَ وَالْمُنَاسَ أُتِيَا أَبُو بَكْرٍ
 لِيَتَمَسَّكَا مِرْأَتَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَما حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَهُ بِمَدَنِكَ وَسَهْمِهِ
 بِحَيْرٍ ، فَهَالِ لَهَا أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا بُورْثَ ،
 مَا تَرَكَاهُ صَدَقَةٌ » ، إِنَّمَا بَأْ كُلُّ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعِيرُ أَهْرًا
 رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصْعَعُ إِلَّا صَعْتُهُ . قَالَ : فَهَجَرْتُهُ فَاطِمَةُ فَلَمْ تَكُنْ حَتَّى
 حَتَّى مَاتَتْ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَخْبَرَنَا أَبُو رَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَاصِمٍ . وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ :
 حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ ، أَنَّ فَاطِمَةَ قَالَتْ
 لِأَبِي بَكْرٍ : مَنْ يَرِثُكَ إِذَا مِتُّ ؟ قَالَ : وَلَدِي وَأَهْلِي ؛ قَالَتْ : فَا لَكَ تَرِثُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَنا ؟ قَالَ : يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، مَا وَرَثَ أَبُوكَ دَارًا وَلَا مَالًا وَلَا دَهْرًا وَلَا فِصَّةً ،
 قَالَتْ : بَلَى سَهْمُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ لَنَا ، وَصَارَ فَيْثًا الَّذِي بِيَدِكَ ، فَهَالِ لَهَا : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « إِنَّمَا هِيَ طُعْمَةٌ أُطْعِمَتْنَاهَا اللَّهُ ، فَيَدَامَتْ كَالْبَيْنِ الْمُسْلِمِينَ » .
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَخْبَرَنَا أَبُو رَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا
 مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ أَبِي أَنْطَلِيبٍ قَالَ : أُرْسِلْتُ فَاطِمَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ :

أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله ؟ قال : بل أهله ؛ قالت : فما بال سهم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله أعلم نبيه طعمة » ، ثم قبضه ، وجعله للذي يقوم بعده ، فوليت أما بعده ، على أن أرده على المسلمين ، قالت : أنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم .

قلت : في هذا الحديث عجب ، لأنها قالت له : أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله ؟ قال : بل أهله ؛ وهذا تصريح بأنه صلى الله عليه وآله موروث برثه أهله ، وهو خلاف قوله : « لا يرث » . وأيضا فإنه يدل على أن ما ذكر استبطن من قول رسول الله صلى الله عليه وآله أن الله أعلم نبيًا طعمة أن يُجزي رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاته عرى ذلك النبي صلى الله عليه وآله ، أو يكون قد فهم أنه عى بذلك القى النكر لقطا فقه ، كما فهم من قوله في خطبته ، إن عبدا خيره الله بين الدنيا وما عند ربه ، فاختار ما عند ربه ، فقال أبو بكر : بل تفديك بأنفسنا .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : أخبره لقبي قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمر ، عن أبي سلمة ، أن فاطمة صلت فذكر من أبي بكر ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن النبي لا يرث » ، من كان النبي يموله فإنا أعوله ، ومن كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعَمَّقُ عليه فإنا نُعَمِّقُ عليه . فقالت : يا أبا بكر ؛ أيرثك سأئك ولا يرث رسول الله صلى الله عليه وآله نذته ؟ فقال : هو ذلك . قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال : حدثنا فضيل بن مردوق قال : حدثنا البحتري بن حسان قال : قلت لزيد بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أهجن أمرا أبي بكر ، إن أبا بكر أسرع فذك من فاطمة عليها السلام ، فقال ، إن أبا بكر كان رجلا

رحباً ، وكان يكره أن يغير شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنته فاعلمة فقالت :
 إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فداك ، فقال لها : هل لك على هذا بينة ؟ فحاجت
 بعلى عليه السلام ، فشهد لها ، ثم جاءت أم أيمن فقالت : ألسنا تشهدان أني من أهل الجنة !
 قال : بلى . قال أبو زيد يمى أنها قالت لأبي بكر وعمر : قالت : فإنا أشهد أن رسول
 الله صلى الله عليه وآله أعطاه فداك ، فقال أبو بكر : فرحل أحر أو امرأة أخرى لتستحق
 بها القضية . ثم قال أبو زيد : وإيم الله لو رجع الأمر إلى لقضيت فيها بقضاء أبي بكر .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا محمد بن الصباح قال : حدثنا يحيى بن
 المتوكل أبو عجيل ، عن كثير الوال قال : قت لأبي حمزة محمد بن علي عليه السلام : حملني
 الله فداك ! أرايت أبا بكر وعمر ، هل صدكم من حقكم شيئاً . أو قال : دهما من حقكم
 بشيء ؟ فقال : لا ، والذي أزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، ما ظلمنا من حقنا
 شيئاً حتى من خردل ، قلت : حملت فداك أو تولاهما ؟ قال : نعم ويحك ! تولهما في الدنيا
 والآخرة ، وما أصابك في عسني ، ثم قال : فعل الله بالمعيرة وسان ، فإنهما كدبا عليهما
 أهل البيت .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال : حدثنا عبد الله بن نافع والقسي ، عن مالك عن
 الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أن أرواح أسى صلى الله عليه وآله أردد لما توفي أن يسمن
 عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأله ميراثهن . أو قال ثمنهن . قالت : فقلت لمن : أليس قد
 قال أسى صلى الله عليه وآله « لا نورث ، ما تركنا صدقة » .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال : حدثنا عبد الله بن نافع والنعني وبشر بن
 عمر ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه
 وآله . قال : « لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهما ، ما تركت بعد تقية نسائي ومثونة عيالي
 فهو صدقة » .

قلت : هذا حديث عرب ، لأن اشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده .

وقال أبو بكر : وحدثنا أبو ريد ، عن الحزامي ، عن ابن وهب ، عن يونس عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « والذي نفسي بيده لا يقيم ورثتي شيئا ، ما تركت صدقة » ، قال : وكانت هذه الصدقة بيد علي عليه السلام ، علم عليها عتاس ، وكانت فيها خصومتها ، فأبى عمر أن يقسمها بينهما حتى أعرض عنها العتاس وعلم عليها عليه السلام ، ثم كانت بيد حسن وحسين ابني علي عليه السلام ، ثم كانت بيد علي بن الحسين عليه السلام والحسين بن الحسن ، كلاهما يتداولانها^(١) ، ثم بيد ريد بن علي عليه السلام .

قال أبو بكر : وأحمر ما أبو ريد قال : حدثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدثنا يونس ، عن الزهري ، عن مالك بن إدريس بن الحيدان ، أن عمر بن الخطاب دعاه يوما بعد ما ارتفع النهار ، قال : فدحكت عليه وهو جالس على سرير رمال ليس بينه وبين الرمال فراش ، على وسادة آدم ، فقال : يا مالك ، إنه قد قدم من قومك أهل أبيات حضروا المدينة ، وقد أمرت لهم برشح^(٢) فقسمه بينهم ، قلت : يا أمير المؤمنين ، مر بذلك غيري ، قال : أقسم أيها المرء .

قال : فبينما نحن على ذلك إذ دخل برقا ، فقال : هل لك في عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستأذنون عديك ؟ قال : نعم ، فأذن لهم ، قال : ثم لث قليلا ، ثم جاء فقال : هل لك في علي والعتاس يستأذنان عديك ؟ قال : أذن لهما ، فلما دخل ، قال عتاس : يا أمير المؤمنين ، أفض ببني وبين هذا - يعني عليا - وهما يختصمان في الصواني^(٣) التي أفاء الله على رسوله

(١) ب : « يتداولانها » تصحيح ، صوابه من : (٢) الرشح هنا : المال .

(٣) الصواني : الأملاك الواسعة ، والمعبر في الناس (صفا) .

من أموال بني النضير ، قال : فاستبى عني والعباس عبد عمر ، فقال عبد الرحمن :
يا أمير المؤمنين : افض بيهما وأرح أحدهما من الآخر ، فقال عمر : أشدكم الله الذي
تقوم بإدنه السموات والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
« لا تُورث ، ما تركناه صدقة » ، يعني نفسه ؟ قلوا : قد قال ذلك ، فأقبل على العباس وعليّ
فقال : أشدكما الله هل تعلمان ذلك ؟ قالوا : نعم ؟ قال عمر : فإني أحدثكم عن هذا الأمر ،
إن الله تبارك وتعالى حصن رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا النبي بشيء لم يعطه غيره ،
قال تعالى : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْخَفْتُمْ عَنْهُ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١١ ﴾ ، وكانت هذه
خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما احتارها دؤسكم ، ولا استأثر بها عليكم ،
لقد أعطاكموها ونسها فيكم حتى بنى منها هذا الدل ، وكان يعمى منه على أهله سنتهم ،
ثم يأخذ ما بقي فيجعله فيما يجعل مال الله عز وجل ، هل ذلك في حياته ثم توفي ، فقال أبو بكر :
أه ، ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبصمه الله ، وقد عمل فيها عما عمل به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأنتما حينئذ ، وانتم إلى عني والعباس ترعمان أن أبا بكر فيها ظالم
فاخر ، والله يعلم أنه فيها لصادق بارئ راشد ، تابع للحق ، ثم توفي الله أبا بكر ، فقلت :
أه ، أولى أساس بأبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضتها سنتين - أو قال سنتين
من إمارتي - أعمل فيها مثل ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم قال :
وأنتما - وأقبل على العباس وعليّ - ترعمان أني فيها ظالم فاجر ، والله يعلم أني فيها بارئ راشد ،
تابع للحق ثم حثمتي وكلتكما واحدة ، وأمركما جميع ، فجئني - يعني العباس - تسألني
نصيحتك من ابن أخيك ، وحائتي هذا - يعني عيبي - يسألني نصيب امرأته من أبيها ، فقلت لكما :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يورث ، ما تركناه صدقة » ، فلما بداني أن

أدفعها إليك قلت : أدفعها على أن عبيكاً عهد الله وميثاقه لثعملاً فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وعما عمتُ به فيها ، وإلا فلا تكلماني ! فقلتُ : ادفعها إليك بذلك ، فدفعتها إليك بذلك ، أفتنمسان متى قضاء غير ذلك ! والله الذي تقوم بإذنه السموات والأرض لا أقصى بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما عنها فادفعاهما إليّ فأنا أكليكماها !

قال أبو بكر : وحدثنا أبو ريد قال : حدثنا إسحاق بن إدريس ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثني يونس ، عن الزهري قال : حدثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه ؛ قال فدكرت ذلك لعروة فقال : صدق مالك بن أوس ، أنا سمعتُ عائشة تقول : أرسل أزواجُ النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لمن ميراثهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما آفاه الله عليه حتى كنت أردهن عن ذلك ، فقلت : ألا تتقين الله ، ألم تعلمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، يريد بذلك نفسه ؛ إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، فاتتني أزواج النبي صلى الله عليه وآله إلى ما أمرتهن به .

قلت : هذا مشكل ، لأن الحديث الأول ينص على أن عمر أقسم على حساعة فيهم عثمان ، فقال : شدتكم الله ، أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » ، يعني حقه ! فتدوا : نعم ، ومن جعلهم عثمان ، فكيف يعلم بذلك فيكون مترسلاً لأزواج النبي صلى الله عليه وآله : يسأله أن يعطين الميراث ! اللهم ! ألا أن يكون عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير صدقوا عمر على سبيل التقليد لأن بكر فيها رواء وحسن الظن ، وصحوا ذلك صلماً ، لأنه قد يظن على الظن اسم العلم .

فإن قال قائل : فهلا حسن من عثمان برواية أبي بكر في مبدأ الأمر فلم يكن رسولاً
زوجت النبي صلى الله عليه وآله في طلب الميراث ؟

فيل له : يجوز أن يكون في مبدأ الأمر شاكاً ، ثم ينقلب على طيه صدقه لأمارات
اقتضت تصديقه ، وكل الناس يقع لهم مثل ذلك .

وها هنا إشكال آخر ، وهو أن عمر ناشد علياً والمّاس : هل تعلمان ذلك ؟ فقالا :
نعم ، فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء المّاس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على
ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر ، وقد أوردناه نحن ! وهل يجوز أن يقال : كلن المّاس
يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذي لا يستحقّه ؟ وهل يجوز أن يقال : إن علياً كان يعلم ذلك
ويمكن روجته أن تطلب مالا تستحقّه ، حرحت من دارها إلى المسجد ، وبادعت أما بكر ،
وكلمته بما كلمته إلا بقوله وإدنه ورأيه . وأيضاً فإنه إذا كان صلى الله عليه وآله لا يؤرث ،
فقد أشكل دفع آله ودانته وحداته إلى علي عليه السلام ، لأنّه عبر وارث في الأصل ،
وإن كان أعطاه ذلك لأنّ روحته سرّضة أن تورث ، لولا الخبر ، فهو أيضاً عبر جار ، لأنّ
الخبر قد منع من أن يرث منه شيئاً قليلاً كل أو كثيراً .

فإن قال قائل : نحن معاشرة الأنبياء لا نورث دهب ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً
ولا داراً .

فيل : هذا الكلام يفهم من مضمونه أنهم لا يورثون شيئاً أصلاً ، لأنّ عادة العرب
جبرية بمثل ذلك ، وليس يقصدون بنوع ميراث هذه الأجناس المعبودة دور غيرها ، بل
يجعلون ذلك كالتصرّح بنفي أن يورثوا شيئاً ما على الإطلاق .

وأيضاً فإنه جاء في خبر الدابة والآلة والخداه أنّه روى عن النبي صلى الله عليه وآله :
« لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، ولم يقل « لا نورث كذا ولا كذا » وذلك يقتضي
مهم اقتضاء الإرث عن كل شيء .

وأما الخبر الثاني وهو الذى رواه هشام بن محمد الكلبي ، عن أبيه ؛ فيه إشكال أيضا ، لأنه قال : إنها طلبت فذلك ، وقالت : بن أبي أعطانيها ، وإن أم أيمن تشهد لي بذلك ، فقال لها أبو بكر في الجواب : إن هذا المال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان مالا من أموال المسلمين ، يحمل ^(١) به الرجال ، وينفقه في سبيل الله ؛ فلما قل أن يقول له : أيجوز للنبي صلى الله عليه وآله أن يملك أبنته أو غير ابنته من أفناء الناس ضيعةً مخصوصة ، أو عقارا مخصوصا من مال المسلمين ، لو حى أو حى الله تعالى إليه ، أو لاحتها رأيه على قول من أحار له أن يحكم بالاحتها ، أولا يجوز لى صلى الله عليه وآله ذلك ؟ فإن قال : لا يجوز ، قال ما لا يوافقه العقل ولا المسلمون عليه ، وإن قال : يجوز ذلك ، قيل : فإن المرأة ما اقتصرت على الدعوى ، بل قالت : أم أيمن تشهد لي ، فكان يلزم أن يقول لها في الجواب : شهادة أم أيمن وحدها غير مقبولة ؛ ولم يكتمن هذا الخبر ذلك ، بل قال لها لما أدعت ودكرت من يشهد لها : هذا مال من مال الله . لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا ليس بجواب صحيح .

وأما الخبر الذى رواه محمد بن زكريا عن عائشة ، فيه من الإشكال مثل ما في هذا الخبر ، لأنه إذا شهد لها على عليه السلام وأم أيمن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وهب لها فذلك ، لم يصح اجتماع صديقها وصديق عبد الرحمن وعمر ، ولا ما تكلمه أبو بكر من تأويل ذلك بمستقيم ، لأن كونها هبة من رسول الله صلى الله عليه وآله لها يمتنع من قوله : « كل يأخذ منها قوتكم ويقسم الباقي » ، ويحمل منه في سبيل الله ، لأن هذا ينافى كونها هبة لها ؛ لأن معنى كونها لها أن تنقلها إلى ملكيتها ، وأن تصرف فيها خاصة دون كل أحد من الناس ، وما هذه صفة كيف يقسم ويحمل منه في سبيل الله !

(١) : « ويحمل » .

فإن قال قائل : هو صلى الله عليه وآله أبوها ، وحُكْمُهُ في مالها كحُكْمِهِ في ماله وفي بيت مال المسلمين ، ففعله كان بحكم الأئمة يفعل ذلك !
 قيل : فإذا كان يتصرف^(١) فيها ، فيها تصرف الأب في مال ولده ، لا يخرج ذلك عن كونه مال ولده ، فإذا مات الأب لم يحرم لأحد أن يتصرف في مال ذلك الولد ، لأنه ليس بأب له فيتصرف في ماله تصرف الآباء في أموال أولادهم ؛ على أن الفقهاء أو مشيختهم لا يجبرون للأب أن يتصرف في مال الابن .

وها هنا إشكال آخر ، وهو قول عمر لعمر بن الخطاب عليه السلام والعباس : وأنتما حينئذ ترمضان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر ، ثم قال لما ذكر منه : وأنتما ترمضان أنتما فيها ظالم فاجر ، فإذا كانا برعما ذلك فكيف برعما هذا الزعم مع كونهما يعدن أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا أوردت » إني هذا من أحب المحارب ، ولولا أن هذا الحديث أئني حديث خصومة العباس وعلى عند عمر - مدكور في الصحيح المصحح عليها لما أطلت العجب من مضمونه ، إذ لو كان عمر مدكور في الصحيح لكان بعض ما ذكرناه يظن في صحته ؛ وإنما الحديث في الصحيح لا ريب في ذلك .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا ابن أبي شيبه ، قال : حدثنا ابن عوف ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن مالك بن أنس بن الحسن قال : جاء العباس وعلي إلى عمر ، فقال العباس : اخذوا بيني وبين هذا السكدا وكذا ، أي يشتبه ، فقال العباس : أفصل بينهما ، فقال لا أفصل بينهما ، قد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا نوردت » ما تركناه صدقة .

قلت : وهذا أيضا مُشْكَل ، لأنهما حصرا بشراعا لا في الميراث ، بل في ولاية صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله أتيهما بتولاهما ولاية لا إرث ! وعلى هذا كانت الخصومة ،

(١) ب : « قد يتصرف » .

فهل يكون جواب ذلك قد علما أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا بُورَث » !
 قال أبو بكر : وأحرفنا أبو زيد قال : حدثني يحيى بن كثير أبو غسان قال : حدثنا شعبة
 عن عمر بن صرّة ، عن أبي السخري قال : جاء العباس وعليّ إلى عمر وهما بمختصان ، فقال عمر
 لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد : أشدكم الله ، أممتم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « كلّ مال بيّ فهو صدقة ، إلا ما أضمه أهله ، إنّ لا بُورَث » ! فقاموا : نعم ، قال :
 وكان رسول الله يتصدق به ، وتقسّم فضله ، ثم توفي فولّيه أبو بكر سنتين يصح فيه ما كان
 يصح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت تقولان : إنه كلن بذلك خاطئا ، وكان بذلك
 ظالما ، وما كان بذلك إلا راشدا ، ثم وليته بعد أبي بكر فقلت لسكنا : إن شئنا قبلناه
 على عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده الذي عهد به ، فقلنا : نعم ، وحثناي الآن
 بمختصان : يقول هذا : أريد نصيبى من ابن أختي ، ويقول هذا : أريد نصيبى من امرأتى !
 والله لا أفصى بينكما إلا بذلك .

قلت : وهذا أيضاً مُشْكِل ، لأن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر
 وحده ، ذكر ذلك أعظم المحدثين ، حتى إن الفقهاء في أصول الفقه أُلْحِقُوا على ذلك
 في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد . وقال شيخنا أبو عليّ : لا نقبل في الرواية
 إلا رواية اثنين كالشهادة ، بخلاف المتكلمون واصفها . كلهم ، واحتجوا عليه ^(١) بقول
 الصحابة روايه أبي بكر وحده : « نحن مباشرة الأنبياء لا بُورَث » ، حتى إن بعض أصحاب
 أبي عليّ تكلف لذلك جواباً ، فقال : قد روى أن أبا بكر يوم حج طمعه عليها السلام
 قال : أشد الله لمرأى سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا شيئاً ! فرأى مالك
 ابن أوس بن الحذعان : أنه ممعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الحديث يطلق

(١) ساقطة من ب .

بأنه استشهد عمرَ وطلحةَ والزبيرَ وعبدَ الرحمنَ وسعدا ، فقالوا : مممناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر ! ما نقل أن أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة عليها السلام وأبي بكر روى من هذا شيئاً .

قال أبو بكر : وأحرنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا محمد بن يحيى ^(١) ، عن إبراهيم بن أبي يحيى ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة أن أرواح النبي صلى الله عليه وآله أرسلت عثمان إلى أبي بكر ، فذكر الحديث ، قال عروة : وكانت فاطمة قد سألت ميراثها من أبي بكر مما تركه النبي صلى الله عليه وآله ، فقال لها : نأى أنت وأئى ، وبأى أبوك وأئى ونفسى ، إن كنتِ سمعتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، أو أمركِ بشيء لم أتبع غير ما تقولين ، وأعطيتكِ ما تمنعين ، وإلا فإني أتبع ما أمرتُ به !

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد قال : حدثنا عمرو بن مرزوق ، عن شعبة ، عن عمرو ابن مرة ، عن أبي السحرى قال : قال لها أبو بكر لما طلعت فداك : نأى أنت وأئى ! أنت عندى الصادقة الأمية ، إن كل رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليك في ذلك عهداً ، أو وعدك به وعداً ، صدقتكِ ، وسمعتُ إليك ! فقالت : لم يعهد إلي في ذلك بشيء ، ولكن الله تعالى يقول : ﴿ يُوْحِيكُمُ اللَّهُ فِي وُلاَدِكُمْ ﴾ ^(٢) ، فقال : أشهد لقد سمعت ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » .

قلت : وفي هذا من الإشكال ما هو ظاهر ، لأنها قد ادعت أنه عهد إليها رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك أعظم العهد ، وهو السُّخنة ، فكيف سكنت عن ذكر هذا لما سألتها أبو بكر ! وهذا أعجب من العجب .

(١) ب : و عيسى . (٢) سورة النساء ١١ . (٣) كذا في : ا ، و ب : « كان » .

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد : قال : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا عبد العزيز ابن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله الأنصاري عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس بن الحُدَثَان ، قال : سمعتُ عمر وهو يقول للعبّاس وعلى وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة : أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّا لَا نُورِثُ ، معاشِرَ الأنبياء ، ما تركنا صدقة » ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل في بيته أهله الستة من صدقاته ^(١) ، ثم يجعل ما بقى في بيت المال ! قالوا : اللهم نعم ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضها أبو بكر ، فجئت يا عباسُ تطلب ميراثك من ابن أخيك ، وحثت يا عليّ تطلب ميراث زوجتك من أبيها ورعتها أن أما بكر كان فيها حائنا فاحرا ، والله لقد كل أمرأ مطيما ، نادنا للحق ، ثم توفي أبو بكر فقصتها ، فحثاني نطلب ميراثك ، أما أنت يا عباس فتطلب ميراثك من ابن أخيك ، وأما عليّ فيطلب ميراث زوجته من أبيها ، وزعمت أني فيها خائن وفاجر ، والله يعلم أني فيها مطيع نافع للحق ، فأصلحنا أمسكنا ، وإلا والله لم نرجع إليك . فقاما وتركنا الحصومة وأصبحت صدقة .

قال أبو زيد : قال أبو عَسان : حدثنا عبد الرزاق الصنعاني ، عن معمر بن شهاب ، عن مالك بن نويرة ، وقال في آخره : فطلب عليّ عباسا عابها ، فكانت مدية عليّ ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم كانت بيد الحسين ، ثم عليّ بن الحسين ، ثم الحسن بن الحسن ، ثم زيد بن الحسن .

قلت : وهذا الحديث يدلّ صريحا على أنهم جاءوا يطلبون الميراث لا الولاية ، وهذا من المنسكيات ، لأنّ أنا بكر حَسَم الدِّةُ أولا ، وقرّر عند العباس وعليّ وغيرها أن النبي صلى الله عليه وآله لا يُورِثُ ، وكان عمر من المساعدين له على ذلك ، فكيف يمود

(١) كذا في الأصول ، وفي الكلام غموض .

العباس وعلى بعد وفاة أبي بكر ، يحاولان أمرا قد كل فرغ منه ، ويُيس من حصوله ، اللهم إلا أن يكونا ظنا أن عمر ينقض قصص ، أي بكر في هذه المسألة ، وهذا بعيد ، لأن عليا والعباس كما ^(١) في هذه المسألة ^(٢) يشهدان عمر بما لا أنى بكر على ذلك ألا تراه يقول : ستماني وستأب بكر إلى الطم والحياة ، فكيف يظان أنه ينقض قصص أبي بكر ويورثهما !

وأعلم أن الناس يظنون أن نراع فاطمة بكر كان في أمرين : في الميراث والمحلة ، وقد وجدت في الحديث أنها نارعت في أمر ثالث ، ومسمها أبو بكر إياه أيضا ، وهو سهم دوى القرى .

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري : أخرجني أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثني هارون بن صير ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثني صدقة أبو معاوية ، عن محمد بن عبد الله ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن يزيد الرقائسي ، عن أس بن مالك ، أن فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر فقالت : لقد علمت أدي ظلمنا عه أهل البيت من الصدقات ، وما أفاء الله علينا من المنم في القرآن من سهم دوى القرى ! ثم قرأت عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾ ^(٣) الآية ، فقال لها أبو بكر : بأى أنت وأبى ووالدك ! السمع والطاعة لكتاب الله ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحق قرابته ، وأنا أقرأ من كتاب الله أدي تقرئين منه ، ولم يبلغ على منه أن هذا السهم من الخمس يسم إليكم كمللا ؟ قالت : أفلك هو ولا قرمائك ؟ قال : لا ، بل أبقى عليكم منه ، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين قالت : ليس هذا حكم الله تعالى ؟ قال : هذا حكم الله ، فإن كان رسول الله عهد إليك

في هذا عهدا أو أوحه لكم حقا^(١) صدقتك وسنته كله إليك وإلى أهلِكَ ؛ قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعمد إلى في ذلك بشيء ، إلا أني سمعته يقول لما أزلت هذه الآية : « أشيروا آلَ محمد فقد جاءكم النبي » ؛ قال أبو بكر : لم يبلغ علي من هذه الآية أن أسلم إليكم هذا السهم كله كاملا ، ولكن لكم النبي الذي يُعنيكم ، ويفصل عنكم ، وهذا عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح فأسألهم عن ذلك ، وانطرى هل يوافقك علي ما طلبت أحد سهم ! فانصرفت إلى عمر فقلت له مثل ما قالت لآني بكر ، فقال لها مثل ما قاله لها أبو بكر ، هجبت فاطمة عليها السلام من ذلك ، وتطقت أيهما كما قد نذاكرا ذلك واحتمما عليه .

قال أبو بكر : وأحترنا أبو زيد قال : حدثنا هارون بن عمير ، قال : حدثنا الوليد ، عن أنس أبي لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن مريم قال : رأت فاطمة أبا بكر على صدك وسهم دوى القرني ، فأبى عليها ، وحملها في مال الله تعالى .

قال أبو بكر : وأحترنا أبو زيد ، قال : حدثنا أحمد بن معاوية ، عن هيثم ، عن حوير ، عن أبي الصمك عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، أن أبا بكر صنع فاطمة وبني هاشم سهم دوى القرني ، وحمده في سبيل الله في السلاح والكراع .

قال أبو بكر : وأحترنا أبو زيد قال : حدثنا حيان بن هلال ، عن محمد بن يزيد بن دريم ، عن محمد بن إسحاق ، قال : سألت أبا حمزة محمد بن علي عليه السلام ؛ قلت : أرايت عليا حين ولي العراق وما ولي من أمر أس كيف صنع في سهم دوى القرني ؟ قال : سلك بهم طريق أبي بكر وعمر ؛ قلت : وكيف ؟ ولم ، وأنتم تقولون ما تقولون ! قال : أما والله ما كان أهلُه يصدرون إلا عن رأيهِ ؛ قلت : فما منه ؟ قال : كان يكره

(١) كذا في أ ، وفي ب : « أوحه لك علي »

أن يُدعى عليه مخالفة أبي بكر وعمر .

قال أبو بكر : وحدثني المؤمل بن حمير ، قال : حدثني محمد بن ميمون ، عن داود بن المبارك ، قال : أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن ونحن راجعون من الحج وجماعة ، فسألناه عن مسائل ، وكنت أحدهن سألته ، فسألته عن أبي بكر وعمر ، فقال : سئل حذی عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال : كانت أمي صديقة بنت نبي مرسل ، فانت وهي عصي على إنسان ، فعن غصابت لمضها ، وإذا رضيت رضيينا . قال أبو بكر : وحدثني أبو حمير محمد بن القاسم قال : حدثني علي بن الصباح قال : أشدنا أبو الحسن رواية الفصل للسكران :

أهوَى عِيَا أَمِيرَ التَّوَمِينَ وَلَا أَرْضَى بِشَمِّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمرَا^(١)
وَلَا أَمُولُ وَإِنْ لَمْ تُعْطِيَا هَذِمَا صَتَّ السَّيِّءُ وَلَا مِيرَاثُهَا : كَغَرَا^(٢)
اللَّهُ يَعْلَمُ مَاذَا يَحْصُرَانِ ه يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابٍ إِذَا اعْتَدَرَا^(٣)

قال ابن الصباح : فقال أبو الحسن : أقول : إنه قد أكرها في هذا الشعر ! قلت : نعم ، قال : كذا هو .

قال أبو بكر : حدثنا أبو ريد ، عن هارون بن عمير ، عن الوليد بن مسلم ، عن إسماعيل بن عباس ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن مولى أم هانئ ، قال : دخلت فاطمة على أبي بكر بعد ما استخيف ، فسألته ميراثها من أبيها ، فمنعها ، فقالت له : لئن مت اليوم من كل يرثك ؟ قال : ولدي وأهلي ، قالت : فلم يرثت أنت رسول الله صلى الله عليه وآله دون ولده وأهله ؟ قال : فما فعلت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! قالت : بلى ، إنك عمدت إلى فذك ، وكانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وآله فأحدثها ، وعمدت إلى ما أزل الله من أسماء فرفضته عنا ، فقال : يا بنت رسول الله

(١) الهاشميات ٨٣ و ٨٤ . (٢) ١ ، الهاشميات : « ميراثه » .

(٣) الهاشميات : « ماذا يأتیان به » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ أَفْعَلْ ؛ حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُطْعِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعْمَةَ مَا كَانَ حَيًّا ، فَإِذَا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ رُفِضَتْ ، فَقَالَتْ : أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا أَنَا بِسَائِلَتِكَ بَعْدَ مَحَلِّي . ثُمَّ انْصَرَفَتْ .

قال أبو بكر : وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُهَلَّبِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَادٍ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ ، عَنْ أُمِّهِ هَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، قَالَتْ : لَمَّا اشْتَدَّتْ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْوَحْمُ وَتَقَدَّتْ فِي عِلَّتِهَا ، اجْتَمَعَ عَلَيْهَا سَاءُ مِنْ سَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَظَنُّوا لَهَا : كَيْفَ أَصْبَحَتْ يَا أُمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ أَصْبَحْتُ هَاطِمَةً ^(١) لَدُنِّيَاكُمْ ، قَالِيَةً لِرَحَابِكُمْ ، لَفَطْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ تَجَمَّعَتْهُمْ ^(٢) ، وَشَفِيتُهُمْ ^(٣) بِمَدَائِنِ سَرَائِهِمْ ^(٤) ، فَفَضَحًا لَعُولِ الْحَدِّ وَحَوَرِ الْفَنَاءِ ، وَخَطْلِ الرَّأْيِ أَوْثَمًا قَدِمْتُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنَّ سَحِيطَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ؛ لَا حَرَمَ أَقْدَقْتُهُمْ رِنَقَتِهَا ، وَشَفِيتُ عَلَيْهِمْ عَارِثَهَا ، تَخَدُّعًا وَعَثْرًا ، وَسُخْرًا لِلْقَوْمِ الطَّالِبِينَ ! وَبَنَحْتُهُمْ ! أَيْنَ رَحْرَحُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ ، وَقَوَاعِدِ الْبَيُوتِ ، وَمَهِيطِ الرُّوحِ لَامِينَ ، وَالطَّيِّبِينَ بِأَسْرِ الدَّيْبِ وَالذَّيْبِ ، إِلَّا ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَى الْمَيِّسُ ! وَمَا أَدَّى نَقَمُو مِنْ أُنَى حَسَنِ ! تَقَمَّوْا وَاللَّهُ مُكِيرٌ سِيمِهِ ، وَشِدَّةَ وَطْأَتِهِ ، وَكَانَ وَقَعْتُهُ ، وَتَسَمَّرُهُ فِي دَنَاءَةِ اللَّهِ ، وَتَنَاقَشُوا لَوْ تَكَافَوْا عَنْ زِمَامِ سِدَّةِ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَعْتَنِقُهُ ، وَلَسَارِ إِلَيْهِمْ سِيرًا سُجُجًا ، لَا تَكَلَّمَ حَشَاشَتُهُ ، وَلَا يَتَمَتَّعُ رَاكِبُهُ ، وَلَا أُورِدُهُمْ مَهْلًا يَمِيرُ أَصْصَادُ يَطْفَحُ صَمْتُهُ ، وَلَا أُصْدِرُهُمْ بِطَانًا قَدْ تَحَيَّرَ بِهِمُ الرَّأْيُ ، غَيْرَ مُتَحَلٍّ لَطَائِلَ ، إِلَّا بِعَمْرِ الْهَلِ ، وَرَدَعِهِ سُورَةُ السَّاعِي ، وَلَفَتَحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَسَيَّاحُدُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى كَأَنَّهُمْ يَكْبُورُونَ . أَلَا هَلُمَّ فَاسْتَمِعْ وَمَا عَشَتْ

(١) هَاطِمَةٌ لَدُنِّيَاكُمْ ، أَيْ قَالِيَةً لَهَا كَارِهَةً . (٢) جَمَعْتُهُمْ : مَلَّوْهُمْ وَحَبَرْتُهُمْ .

(٣) شَفِيتُهُمْ : أَبْصَيْتُهُمْ . (٤) سَرَائِهِمْ : عَلِمْتُ أُمُورَهُمْ .

أراك الدهر مجبه ، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث ، إلى أيّ لحا استندوا ، وبأيّ عروة
تمسكوا ! لبئس المولى ولئس القشير ، ولئس للظالمين بدلا ! استبدلوا والله الذابقي
بالتقادم ، والعجز بالكاهل ؛ فرغما لما طس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ﴿ إلا إنهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ ، ويحهم ! ﴿ أفمن يهْدَى إلى الحق أحق أن يتبع أمن
لا يهْدَى إلا أن يهْدَى فما لكم كيف تحكمون ﴾ ! أما أمر الله لقد قصحت ، فنظرة ريثما
تنتج^(١) ، ثم احتلبوها طلاع الثقب دما غبيطا ودعفا ممقرا هيا لك يخسر أسطالون ،
ويعرف التالون غيب ما أسس الأولون ، ثم طيسوا عن أسكم نصا ، واطمئثوا للفتنة حاشا ،
وأبشروا بسيف صارم ، وهرج شامل ، واستبدلوا من الطالين يدع فيحكم زهيدا ،
وجمكم حصيدا ؛ فيا حرة عليكم ، وأنى لكم وقد هُميت عليكم ألامكموها وأنتم
لها كارهون ! والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد حاتم النبيين ، وسيد المرسلين .



قلت : هذا السلام وإن لم يكن تحية ذكر قدك والبراث ، إلا أنه من تنمة ذلك ،
وفيه إيصاح لما كان عندها ، وبيان لشدة غيظها وعصبها ، فإنه سيأتي فيها بعد ذكر
ما يناقض به قاضي القضاة والمرتضى في أنها هل كانت عصبي أم لا ! ونحن لا ننصر مذهباً
بسيه ، وإنما نذكر ما قيل ، وإذا حرى نحت بطري قنما ما بقوى في أسنا منه .

واعلم أنا إنما ذكر في هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم ، وما أودعه أحمد
ابن عبد العزيز الجوهرى في كتابه ، وهو من الثقات الأسماء عند أصحاب الحديث ،
وأما ما يرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم في كتبهم من قولهم : إنهما أهاماها وأصمماها
كلاماً غليظاً ، وإن أبا بكر رقق لها حيث لم يكن عمر حاصراً ، فكتب لها بفدك كتاباً ،
فلما خرجت به وحدها عمر ، فمد يده إليه ليأخذه متأبياً ، فمعه ، فدفع بيده في صدرها

(١) كذا في ١ ، وفي ب . د تحلب .

وأخذ الصحيفة فخرقها بعد أن تمل فيها فحاجها ، وإنها دمت عليه فقالت : تقرأ الله بطلتك
كما بقرت صحيفتي ؛ فشيء لا يرويه أصحاب الحديث ولا يفتلونه ، وقدر الصحابة يحيل عنه ،
وكان عمر أثنى الله ؛ وأعرف لحقوق الله من ذلك ، وقد نظمت الشيعة بعض هذه الواقعة
التي يذكرونها شعراً أوله أبيات لمهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته التي أولها (١) :

يا أبنه القوم تراك بالغ فتبي رسالك (٢)

وقد ديل عليها بعض النسيمة وأتمتها ، ولأبيات :

يا أبنه الطاهر كم تغد رع بالظلم عصاك
عضب الله لحطب ليلة الطل عراك
ورعى النار عداً قطيرعى أمس حالك
مر لم يعطه شكوى ولا أستحياً بكالك
واقضى الناس به نعم د فزدي ولدك
يا ابنه الرافي إلى السد ده في لوح السكالك
لعب نفسي وعلى ميث لك فلتك التواكي
كيف لم تقطع يد مد إليك ابن حالك
فرحوا يوم أهابو لك عى ساء أبالك
ولقد أحترم أن رضه في رسالك
دفعنا النص على إر لك لما دقمالك
وتمرتصت لقدري نعم وانتهرالك

(١) ديوانه ٢ . ٣٦٧ ، ٣٦٨ . (٢) في الأصول . ٢ براك * والصواب ما أثبتته .

وَأَدْعَيْتِ النَّحْلَةَ الْمَشْهُودَ فِيهَا بِالصُّكَاكِ
فَأَسْشَاطًا ثُمَّ مَا إِنَّ كَدْبًا إِنَّ كُنْهَكَ
فَرَوَى اللَّهُ عَنِ الرَّحْمَةِ — مَعْرِ زَبْدِيَّةَ ذَوَالِكِ
وَقَعَى عَنِ بَابِهِ الْوَا مَعَ شَيْطَانًا نَفْسَاكِ

فانظر إلى هذه البلية التي صنت من هؤلاء على سادات المسلمين ، وأعلام المهاجرين !
وليس ذلك بقادح في علو شأنهم ، وحلالة مكابهم ، كما أن منفي الأسياء وحسدتهم ،
ومصنفي الكتب في إلحاق الميِّتِ واتهمين لشرائهم لم ترد لأسيائهم إلا رخصة ،
ولا رادت شرائعهم إلا انتشارا في الأرض ، وقبولا في المنس ، وبهجة وبورا عند
دوى الألباب والعقول .

وقال لي عُلَوِيٌّ فِي الْحِلَّةِ^(١) يُعْرِفُهُ بَعْلِي بِنِ مَهْمَا ، دَكِي دَو فَمَسَائِلَ . مَا بَطْنُ
قَصْدَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ مَعَ فَاطِمَةَ قَدْ كُنْ ؟ قُلْتُ : مَا فَعَصِدَا ؟ قَالَ : أَرَادَا أَلَّا يُظْهَرَا لِعَلِّي
— وَقَدْ اعْتَصَاهُ الْخِلَافَةُ — رَقَّةً وَلَيْسَا وَحْدَلَانَا ، وَلَا يَرَى عَمْدَهَا حَوْرًا ، فَأَتَمَّا الْقَرْحَ
بِالْقَرْحِ .

وَقُلْتُ لِمَتَكَلَّمْتُمْ مِنْ مَتَكَلَّمِي الْإِمَامِيَّةِ يُعْرِفُ بَعْلِي بِنِ تَقِيٍّ مِنْ بَلَدَةِ النَّيْلِ^(٢) :
وَهَلْ كَانَتْ قَدْ كُنْ إِلَّا بِحَلَا بَسِيرًا وَعَقَارًا لَيْسَ بِدَلِكِ الْخَطِيرِ ! فَقَالَ لِي : لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ،
بَلْ كَانَتْ حَلِيلَةً حَدًّا ، وَكَانَ فِيهَا مِنَ الْخَلْجِ بِحَوَالِكُوفَةِ الْآنَ مِنَ النَّخْلِ ، وَمَا قَصْدُ
أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ مَعَ فَاطِمَةَ عَمَّا إِلَّا أَلَّا يَتَقَوَّى عَلَى مَحَامِيْدِهَا وَعَلَّيْهَا عَلَى الْمَدْرَعَةِ فِي الْخِلَافَةِ ،
وَلِهَذَا أَتَمَّا ذَلِكَ بِمَنْعِ فَاطِمَةَ وَعَلَى وَسَائِرِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْأَطْلَحِ حَقَّهُمْ فِي الْخَمْسِ ، فَإِنَّ

(١) الحلة : تطلق على عدة مواضع ؛ منها موضع بين الكوفة والبصرة ؛ وهي حلة بني مرير .

(٢) النيل هنا : بيدة في سواد الكوفة ؛ قرب حلة بني مرير .

الفقير الذي لا مال له تصف همته ويتصاغر عند نفسه ، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكْتساب عن طلب الملْك والرياسة ، فانظر إلى ما قد وقر في صدور هؤلاء ، وهو داء لا دواء له ، وما أكثر ما ترول الأخلاق والشيم ، فأما المقائد الراسخة فلا سبيل إلى زوالها !

الفصل الثاني

في السطر في أن النبي صلى الله عليه وآله هل يُورث أم لا

يذكر في هذا الموضع ما حكاه المرتضى رحمه الله في « الثاني »^(١) عن قاضي القضاة في هذا المعنى ، وما اعترضه به ، وبين استقصائنا شيئاً من ذلك فلما ما عدنا ، وإلا تركناه على حاله .

قال المرتضى : أول ما ابتدأ به قاضي قضاء حكايته عما استدلالنا على أنه صلى الله عليه وآله مورث^(٢) بقوله تعالى : (يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ مِنْ رِزْقِكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ لَأُعَذِّبَنَّكُمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ وَسِعَ الْعَرْشَ جَمِيعًا) وهذا الخطاب عام يدخل فيه النبي وغيره .

ثم أحاب — يعني قاضي القضاة — عن ذلك ، فقال : إن الخبر الذي احتج به أبو بكر — يعني قوله : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » — لم يقتصر على روايته هو وحده حتى استشهد عليه عمر وعثمان وطهحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن ، فشهدوا به ، فكان لا يحل لأبي بكر وقد صار الأمر إليه أن يقسم التركة ميراثاً ، وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وآله بأنها صدقة وليست بعراث ، وأقل ما في هذا الباب أن يكون الخبر من أحبار الأحاد ،

(١) الثاني من ٢٢٨ وما بعدها . (٢) : « مورث » . (٣) سورة النساء ١١ .

فلو أن شاهدين شهدا في التركة أن فيها حق ، أليس كان يجب أن يصرف ذلك عن الإرث ؟
فلمنه بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله مع شهادة غيره أقوى . ولنا بحمله مدعى
لأنه لم يدع ذلك لنفسه ، وإنما بين أنه ليس بمرث ، وأنه صدقة . ولا يمتنع تخصيص
القرآن بذلك ، كما يخص في العبد والقاتل وغيرهما ، وليس ذلك بنقص في الأنبياء ، بل هو
إجلال لهم ، يرفع الله به قدرهم عن أن يورثوا المال ، وصار ذلك من أوكد الدواعي
ألا يتشاغلوا بجمعه ، لأن أحد الدواعي اقوية إلى ذلك تركه على الأولاد والأهلين .
ولما سمعت فاطمة عليها السلام ذلك من أبي بكر كفت عن الطلب فيما ثبت من الأخبار
الصحيحة ، فلا يمتنع أن تكون عبرة عارفة بذلك ، فطلعت الإرث ، فلما روى لها ما روى
كفت ، فحاصبت أولا وأصاب ثانيا .

وليس لأحد أن يقول : كيف يجوز أن يبين النبي صلى الله عليه وآله ذلك للموم
ولا حق لهم في الإرث ، ويدع أن يبين ذلك من لا حق في الإرث ، مع أن التكليف
يتمصل به ؟ وذلك لأن التكليف في ذلك يقتضي بالإمام ، فإذا بين له حاز ألا يبين لغيره
ويعير البيان له بيانا لغيره ، وإن لم يسمعه من الرسول ، لأن هذا الحس من البيان يجب
أن يكون بحسب الصلحة !

قال : ثم حكى عن أبي علي أنه قال : انظروا كذب أبي بكر في هذه الرواية ،
أم تجوزون أن يكون صادقا^(١) ؟ قال : وقد علم أنه لا شيء يقطع به على كذبه ، فلا بد
من تجويز كونه صادقا . وإذا صح ذلك فيلزم لهم : فهل كان يحمل له مخالفة الرسول ؟
فإن قالوا : لو كان صدقا لظهر واشتهر ، قيل لهم : إن ذلك من باب العمل ، ولا يمتنع أن
يتفرد بروايته جماعة يسيرة ، بل الواحد والاثنتان ، مثل سائر الأحكام ومثل الشهادات ،
فإن قالوا نعم أنه لا يصح لقوله تعالى في كتابه : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾^(٢) . قيل لهم :

(١) الشافعي : « أم تجوزون كذبه وصدقه » . (٢) سورة النمل ١٦ .

ومن أين أنه ورثه الأموال؟ مع تجويز أن يكون ورثه العلم والحكمة؟ فإن قالوا: إخلق الميراث لا يكون إلا في الأموال؟ قيل لهم: إن كتاب الله يُعطى قوكم، لأنه قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١)، و«كتاب» ليس بمال، ويقال في اللغة: ما ورثت الأساء عن الآباء شيئاً أصلاً من أدب حسن؛ وقالوا: العلماء ورثة الأنبياء، وإنما ورثوا منهم العلم دون المال، على أن في آخر الآية ما يدل على ما قلناه، وهو قوله تعالى حاكياً عنه: ﴿وَقَارِ بِأَيُّهَا النَّاسُ حُلُمًا مَطْقَ الْعَبْرِ وَأَوْثِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصْلُ الْمُبِينُ﴾^(٢)، منه على أن الذي ورث هو هذا العلم وهذا الفضل، وإلا لم يكن لهذا القول تعلق بالأول. فإف قالوا: فقد قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٣)، وذلك يُعطل الخبر؛ قيل لهم: ليس في ذلك بيان المال أيضاً، وفي الآية ما يدل على أن المراد بالسوة والعلم، لأن ركبا حلف على العلم أن يدرس، وقوله: ﴿وَبَنِي حِفْظُ الْمَوَالِي مِنَ الْقَدَائِي﴾ يدل على ذلك، لأن الأنبياء لا تحرص على الأموال حرصاً يتعلق حرمها بها، وإعصا أراد بحوفه على العلم أن يصيح، فسأل الله تعالى ولياً يقوم بالدين مقامه. وقوله: ﴿وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ يدل على أن المراد العلم والحكمة، لأنه لا يرث أموال يعقوب في الحقيقة^(٤)، وإنما يرث ذلك غيره. قال: فأمّا مَنْ يقول: إن المراد: أنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، أي ما جعلناه صدقة في حال حياتنا لا نورثه، فركبك من القول، لأن إجماع الصحابة يحالفه، لأن أحداً لم يتأوله على هذا الوجه، لأنه لا يكون في ذلك تخصيص الأنبياء، ولا مزية لهم، ولأن قوله: «ما تركناه صدقة»، حلة من الكلام مستقلة بنفسها، كأنه

(١) سورة طه ٣٢.

(٢) سورة النمل ١٦. (٣) سورة مريم ٦٠.

(٤) ب: «الحقيقة» تحريف صوابه من «والثاني».

عليه السلام مع بيانه أنهم لا يورثون المال ، يبيّن أنه صدقة ، لأنه كان يجوز ألا يكون ميراثا ، ويصرف إلى وجه آخر غير الصدقة .

قال : فأما حر السيف وابنة والمهنة وغير ذلك ؛ فقد قال أبو علي : إنه لم يثبت أن أبا بكر دفع ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام على جهة الإرث ، كيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه ، وكيف يجوز لو كان وارثا أن يحصه بذلك ولا يرث له مع الممّ لأنه عصبه فإن كان وصل إلى فاطمة عليها السلام فقد كان يدعى أن يكون الميراث شريكا ذلك وأرواح الرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولو حب أن يكون ذلك ظاهرا مشهورا ليعرف أنهم أخذوا نصيبهم من ذلك أو بدله ، ولا يجب إذا لم يدفع أبو بكر ذلك إليه على جهة الإرث ألا يحصل ذلك في يده ، لأنه قد يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وآله تحكّم ذلك ، ويجوز أيضا أن يكون أبو بكر رأى الصلّاح في ذلك أن يكون بيده لما فيه من تقوية الدين ، وتصديق بيده بعد التتويج ، لأن الإمام له أن يفعل ذلك

قال : وحكي عن أبي علي في التفسير أن علم يمتنع أن يكون حقه عدة في سبيل الله وتقوية على المشركين ، هذا والله الأنفة ، فيه من التقوية ، ورأى أن ذلك أولى من أن يتصدق به إن ثبات ^(١) أنه عليه السلام لم يكن قد نحلّه غيره في حياته ، ثم عارض نفسه بطلب أزواج النبي صلى الله عليه وآله الميراث ، وتنازع أمير المؤمنين عليه السلام والناس بعد موت فاطمة عليها السلام . وأحب عن ذلك بأن قال : يجوز أن يكونوا لم يعرفوا رواية أبي بكر وغيره للخبر .

وقد روي أن عائشة لما عرفت أن الحرة أمكن ، وقد بقينا أنه لا يمتنع في مثل ذلك أن يخفى على من يستحق الإرث ، ويعرفه من جفد الأمر ، كما يعرف العلماء والحكام من أحكام الوارث ما لا يعلمه أرباب الإرث ، وقد بقينا أن رواية أبي بكر مع الجماعة

(١) الثاني : « أن يثبت » .

أقوى من شاهدين لو شهد أن بمض تركته عليه السلام دين ، وهو أقوى من رواية سلمان وابن مسعود لو روي ذلك .

قال : ومتى تملقوا بموم القرآن أريئام جواز التخصيص بهذا الخبر ، كما أن عموم القرآن يقتضي كون الصدقات للقراء ، وقد ثبت أن آل محمد لا تحل لهم الصدقة .
هذا آخر ما حكاه المرتضى من كلام قاضي النصار^(١) .



ثم قال : نحن نتيقن أولاً ما يدل على أنه صلى الله عليه وآله يورث المال ، ونرتب الكلام على ذلك الترتيب الصحيح ، ثم نعلم على ما أوردناه ، ونسلكم عليه .

قال رضى الله عنه : **والذى يدل على ما ذكرنا قوله تعالى محرا عن ركريا عليه السلام : ﴿ وَإِن جِئْتُمُ الْمَوَالِي مِنْ ذُرِّيِّكُمْ وَأَمْرٌ إِلَى عَقْرٍ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ﴾** ^(٢)؛ فغير أنه خلف من بى عمه ، لأن الموالى هاها هم بنو العم بلاء شبهة ، وإنما خافهم أن يرثوا ماله فيمحقوه والفساد ، لأنه كان يعرف ذلك من حلائقهم وطرائقهم ، فسأل ربه ولدا يكون أحق بميراثه منهم .
والذى يدل على أن المراد بالميراث المذكور ميراث المال دون العلم والنبوة على ما يقولون أن لفظة الميراث في اللغة واشريعة لا يعيد ^(٣) ، إطلاقها إلا على ما يجوز أن ينتقل على الحقيقة من الموروث إلى الوارث ، كالأموال وما في معناها ، ولا يستعمل في غير المال إلا تجوزا واتساعا ، ولهذا لا يثبتهم من قول القائل : لا وارث لفلان إلا لفلان ، وعلان يرث مع فلان بالظاهر والإطلاق إلا ميراث الأموال والأعراض دون العلوم وغيرها . وليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته إلى تحاره بعبارة دلالة ، وأيضا فإنه تعالى خبر عن نبيه أنه اشترط في وارثه أن يكون رضىا ، ومتى لم يحمل الميراث في الآية على المال دون العلم

(١) الشافعي ٢٢٨ ، ٢٢٩ . (٢) سورة مريم ، ٦ . (٣) ١ والشافعي : لا يهدى .

والنبوة لم يكن للاشتراط معنى ، وكان لموا وعشا ؛ لأنه إذا كان إنما سأل من يقوم مقامه ، ويرث مكانه فقد دخل الرضا وما هو أعظم من الرضا في حمله كلامه وسؤاله ؛ فلا مقتضى لاشتراطه ؛ ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول : انهم أنتم إليا نبيًا واحمه عاقلا ، [ومكلفا] (١) ؛ فإذا ثبتت هذه الجملة صح أن زكريا موروث ماله . وضح أيضا لصحتها أن نبيًا صلى الله عليه وآله ممن يورث المال ، لأن الإجماع وقع على أن حال نبيًا عليه السلام لا يخالف حال الأنبياء المتقدمين في ميراث المال ، فمن ثبت للأمرين وناف للأمرين (٢) .

قلت : إن شيخنا أبا الحسين قال في كتاب « المرز » : « سورة الحجر الوارد في هذا الباب ، وهو الذي رواه أبو بكر : « لا يُورث » ، ولم يقل : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » ، فلا يلزم من كون زكريا يورث اطمئن في آخر . وتصفحت أما كتبت الصحاح في الحديث فوجدت صيغة الحجر كما قاله أبو الحسين ، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله غنى نفسه خاصة بذلك ؛ فقد سقط احتجاج الشيعة بقصة زكريا وغيره من الأنبياء ، إلا أنه يبعد عندي أن يكون أراد نفسه خاصة ؛ لأنه لم تجز عاقبة أن يحبر عن نفسه في شيء بالون .

فإن قلت : أصبح من الرنصي أن يوافق على أن سورة الحجر هكذا ، ثم يحتج بقصة زكريا بأن يقول : إذا ثبت أن زكريا موروث ، ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله يحور أن يكون موروثا ، لإجماع الأمة على أن لا فرق بين الأنبياء كلهم في هذا الحكم !

قلت : وإن ثبت له هذا الإجماع صح احتجاجة ، ولكن ثبوته يبعد ، لأن من نفي كون زكريا عليه السلام موروثا من الأمة إنما نقاه لاعتقاده أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « نحن معاشر الأنبياء » ، فإذا كان لم يقل هكذا ، لم يقل : إن زكريا عليه السلام غير موروث .

قال المرتضى : ومما يقوى ما قدمناه أن ذكرنا عليه السلام خاف بنى عمه ، فطلب وارثا لأجل خوفه ، ولا يليق خوفه منهم إلا بإلزام دون العلم والنبوة ، لأنه عليه السلام كل أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبيا يسأله للنبوة ، وأن يورث علمه وحكمته من ليس أهلا لها ، ولأنه إنما نُسب لإداعة العلم ونشره في الناس ، فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذي هو العرض في البعثة ^(١) . فإن ^(٢) قيل : هذا يرجع إليكم في الخوف عن إرث المال لأن ذلك غاية الضن والخلل . قضا : معاذ الله أن يستوى الحال ، لأن المال قد يصح أن يرزقه الله تعالى المؤمن والكافر والعدو والولي ، ولا يصح ذلك في النبوة وعلومها . وليس من السن أن يأمن على بنى عمه - وهم من أهل الفساد - أن يطغروا بماله فينمقوه على الناس ، ويصرفوه في غير وحوه المحبوبة ، بل ذلك غاية الحكمة وحسن التدبير في الدين ، لأن الدين يحظر تنمية المساق ومداومهم بما يسبهم على طرائفهم المذمومة ، وما يمدد ذلك شعنا ولا يحل إلا من لا تأمل له .

فإن قيل : أهلا ^(٣) حار أن يكون خاف من بنى عمه أن يرثوا علمه ، وهم من أهل الفساد على ما ادعيتهم فيستندوا به أساس ، ويعتبروا به عليهم ؟ قضا : لا يخلو هذا العلم الذي أشرتم إليه من أن يكون هو كتب عمه وصحف حكمته لأن ذلك قد يستمر علما على طريق المارء ، أو يكون هو العلم الذي يحرق الكتب . فإن كان الأول فهو يرجع إلى معنى المال ، ويصحح أن الأنبياء يورثون أموالهم وما في معابها ، وإن كان الثاني لم يخل هذا من أن يكون هو العلم الذي بُعث النبي لنشره وأدائه ، أو أن يكون علما مخصوصا لا يتعلق بالشرعة ، ولا يجب إطلاع جميع الأمة عليه ، كعلم العوالم وما يجري في مستقبل الأوقات ، وما جرى تجرئ ديك . والقسم الأول لا يجوز على النبي أن يخاف من وصوله إلى بنى عمه وهم من جملة أمته الذين نُسب لإطلاعهم على ذلك ، وتأديته إليهم ، وكانت على هذا الوجه يخاف مما هو معرض من بئته . والقسم الثاني فاسد أيضا ، لأن

(١) أو الثاني : « بعثته » . (٢) د : « هل فإن قيل » . (٣) د : « فالأ » .

هذا العلم المخصوص إنما يستفاد من حيثته ، ويُوقف عليه بإطلاعه وإعلامه ؛ وليس هو مما يجب شره في جميع الناس ، فقد كان يجب إذا حو من إلفائه إلى بعض الناس فسادا ألا يلقيه إليه ، فإن ذلك في يده ، ولا يحتاج إلى أكثر من ذلك^(١) .

قلت : لما كس أن يعكس هذا على امرئى رحمه الله حيثد ، ويقول له : وقد كان يجب إذا خاف من أن يرث سوعته أمواله فيسرقوها في نفساء أن يتصدق بها على الفقراء والمساكين ، فإن ذلك في يده ، فيحصل له ثواب الصدقة ، ويحصل له عرسه من حرمان أولئك المسكين ميراثه .

قال المرتضى رضى الله عنه : ومتى يدل على أن الأنبياء يورثون قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾^(٢) ، واطاهر من إطلاق لفظة « امراث » يقتضى الأموال وما في معاها على ما دللنا به من قبل .

قال : ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ الذَّكَرُ مِثْلُ الْهَطِّ الْأُنثَيْنِ ... ﴾^(٣) الآية ، وقد أجمت الأمة على عموم هذه اللفظة إلا من أخرجه الدليل ، فيجب أن يتمتلك بمومها ، لمكان هذه الدلالة ، ولا يجرح عن حكمها إلا من أخرجه دليل قاطع^(٤) .

قلت : أما قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ ، فطاهرها يقتضى وراثه النبوة أو الملك أو العلم الذى قال في أول الآية : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ... ﴾ لأنه لا معنى لذكر ميراث سليمان المال ، فإن غيره من أولاد داود قد ورث أيضا أباه داود ؛ وفي كتب اليهود والنصارى أن بنى داود كانوا تسعة عشر ، وقد قال بعض المسلمين أيضا ذلك : فأى معنى في تخصيص سليمان بالذكر إذا كان يرث مال ! وأما : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ ﴾ ، فالبحث في تخصيص ذلك بالخبر فرع من فروع مسألة خير الواحد ؛ هل هو حجة في

(١) الشافى ٢٢٩ ، ٢٣٠ . سورة البقره ١٦ .

(٢) سورة النساء ١١ .

الشرعيات أم لا ! فإن ثلث مذهب المرتضى في كونه ليس بحجة فكلامه هنا جيد ، وإن لم يثبت فلا مانع من تخصيص العموم بالخبر ، فإن الصحابة قد خصصت عمومات (١) الكتاب بالأخبار في مواضع كثيرة .

قال المرتضى : وأما تعلق صاحب الكتاب بالخبر الذي رواه أبو بكر واذعائه أنه أستشهد عمر وعثمان وفلانا وفلانا ، فأول ما فيه أن الذي ذعاه من الاستشهاد غير معروف ، والذي روى أن عمر أستشهد هؤلاء المرءة تنازع (٢) أمير المؤمنين عليه السلام والماس رضي الله عنه في الميراث ، فشهدوا بالخبر التصمّن بن الميراث ، وإنما مقول مخالفينا في صحة الخبر الذي رواه أبو بكر عند مطالبة فاطمة عبيد السلام بالإرث على إمسك الأمة عن التكبير عليه ، والرد لتقصيته (٣) .

قلت : صدق المرتضى رحمه الله فيما قال ، أما عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، ومطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث ، فلم يرو الخبر إلا أبو بكر وحده . وقيل : إنه رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان ؛ وأما المهاجرون الذين ذكرهم قاضي القضاة فإنما شهدوا بالخبر في خلافة عمر ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

قال المرتضى : ثم لو سلمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة ، لأن الخبر على كل حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعمم ، وهو في حكم أحبار الآحاد ، وليس يجوز أن يرجع عن طاهر القرآن بما يجرى هذا الجري ، لأن المعلوم لا يخص إلا بمعلوم ، وإذا كانت دلالة الطاهر معلومة ، لم يجر أن يخرج عنها بأمر مظنون .

قال : وهذا الكلام مبني على أن التخصيص للكتاب والسنة المعلوم بها لا يقع

(١) ١ ، د : « عموم » . (٢) ١ والشان : « فرع » . (٣) الشان : ٢٣٠ .

بأخبار الآحاد ، وهو المذهب الصحيح . وقد أشرنا إلى ما يمكن أن يُستعمل في الدلالة عليه من من أن الظن لا يقابل العلم ، ولا يرجع عن العموم بالمطنون . قال : وليس لهم أن يقولوا : إن التخصيص بأخبار الآحاد يستند أيضا إلى عدم ، وإن كان الطريق مغلوقا ، ويشيرون إلى ما يدعون من الدلالة على وجوب العمل بحبر الواحد في الشريعة ، وأنه حجة ، لأن ذلك مبني من قولهم على ما لا سلمه ، وقد دلّ الدليل على فساد ما أئني قولهم : خبر الواحد حجة في الشرع . على أنهم لو سلم لهم ذلك لأحتجوا إلى دليل مستأنف على أنه يقتل في تخصيص القرآن ؛ لأن ما دلّ على العمل به في جملة لا يسدول هذا الموضع ، كما لا يتناول هواز النسخ به ^(١) .

قلت : أما قول المرتضى : لو سلمنا أنه هؤلاء المهاجرين الستة رؤساء لما حرج عن كونه حبرا واحدا ، ولما حار أن يرجع عن عموم الكتاب به ، لأنه معلوم ، والحر مطنون .

ونقابل أن يقول : لئنه حصل في كل واحد من آيات القرآن رواية مثل هذه الستة ، حيث جمع القرآن على عهد عثمان ومن قبله من الخساء ، فإنهم بدون هذا العدد كانوا يعملون في إثبات الآية في المصحف ، بل كانوا يحتمون من أنهم بالآية . ومن طرق كتب التواريخ عرّف ذلك ، فإن كل هذا العدد إنما يصيد الظن بالقول في آيات الكتاب كذلك ، وإن كانت آيات الكتاب أثبتت عن علم مستند من رواية هذا العدد ونحوه ، فانظروا مثل ذلك .

فأمامذهب المرتضى في حبر الواحد فإنه يقول أنه رد ^(٢) به عن سائر الشيعة ، لأن من قبله من فقهاءهم ما عوّلوا في الفقه إلا على أحبار الآحاد كزُرارة ، ويونس ، وأبي بصير ، وأبى بابويه ، والحلي ، وأبي حمزة الثمالي وغيرهم ، ثم من كان في عصر المرتضى منهم

كاتب جعفر الطوسي وغيره ، وقد تكلمت في " اعتبار التريمة " ، على ما اعتمد عليه في هذه المسألة ، وأما تخصيص الكتاب بحر الواحد فالظاهر أنه إذا صح كون خبر الواحد حجة في الشرع ، جاز تخصيص الكتاب به ، وهذا من فن أصول الفقه ، فلا معنى لذكره هنا .

قال المرتضى رضي الله عنه : وهذا يُسقط قول صاحب الكتاب : إن شاهدتين لو شهدا أن في التركة حقاً لكان يجب أن يصرف^(١) عن الإرث ، وذلك لأن الشهادة وإن كانت مطمونة فالمعمل بها يستند^(٢) إلى علم ، لأن الشريعة قد قررت العمل بالشهادة ولم تقرر العمل بحر الواحد ، وليس له أن يفتي بحر الواحد على الشهادة من حيث احتمالها في علّة الطن ، لأن لا يعمل على الشهادة من حيث علّة الطن دون ما ذكرناه من تقرير الشريعة العمل بها ؛ ألا ترى أننا قد نصق الفاسق والمرأة والصبي وكثير ممن لا يحوز العمل بقوله : فيان أن المولى في هذا على المصلحة التي تستفيدها على طريق الجملة من دليل الشرع .

قال : وأبو بكر في حكم المدعى لنفسه وأخراً إليها بخلاف ما ظنه صاحب الكتاب ، وكذلك مَنْ شهد له إن كانت هناك شهادة^(٣) ، وذلك أن أما بكر وسائر المسلمين سوى أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله بحرٌ لهم الصدقة ، وبحور أن يصيبوا فيها ، وهذه نهمة في الحكم والشهادة .

قال : وليس له أن يقول : فهذا يقتضي ألا يفضل شهادة شاهدين في تركته فيها صدقة لمثل ما ذكرتم .

(١) ١ ، د : « يصرف » . (٢) الثاني : « يستند » .

(٣) بهذا في الثاني : « قد وحيث » .

قال : وذلك لأن الشاهدين إذا شهدا في الصدقة ^(١) فظمها منها كحفظ صاحب اليراث بل سائر المسلمين ، وليس كذلك حل تركه الرسول ؛ لأن كونها صدقة يحرمها على وراثته ، ويبيحها لسائر المسلمين ^(٢) .

قلت : هذا فرق غير مؤثر ، اللهم إلا أن يعنى به تهمة أبي بكر والشهود الستة في جرّ النفع إلى أنفسهم يكون أكثر من تهمتهم لو شهدوا على أبي هريرة مثلاً إن ما تركه صدقة ؛ لأن أهل أبي هريرة يشاركون في القسمة ، وأهل النبي صلى الله عليه وآله لا يشاركون الشهود فيها يصيبهم ، إذ هم لا يحمل لهم الصدقة ، فتكون حصّة أبي بكر والشهود ممّا تركه رسول الله أكثر من حصّتهم ممّا يتركه أبو هريرة ، فيكون تطرّق التهمة إلى أبي بكر والشهود أكثر حسب زيادة حصّتهم ؛ وما وقت للترضى على شيء أطرف من هذا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله مات والسلطان أكثر من خمسين ألف إنسان ، لأنه قاد في غزاة تبوك عشرين ألفاً ، ثم وفدت إليه الوفود كلّها بعد ذلك ، فليت شعري كم مقدار ما يتوفّر على أبي بكر وستة قمر معه ، وهم من جملة محبين ألفاً ، بين ما إذا كان بنو هاشم وبنو المطلب - وهم حينئذ عشرة قمر - لا يأخذون حصّة ، وبين ما إذا كانوا يأخذون ! أتري أليكون التوفّر على أبي بكر وشهوده من التركة عشر عشر درهم ! ما أظن أنه يبلغ ذلك . وكم مقدار ما يقلل حصص الشهود على أبي هريرة إذا شاركهم أهله في التركة ، لتكون هذه القلّة موحجة رفع التهمة ، وتلك الزيادة والكثرة موحجة حصول التهمة ! وهذا الكلام لا أرتضيه للترضى .

قال المترضى رضي الله عنه : وأما قوله : يخصّ القرآن بالخبر ^(٣) كما خصصناه في البعد والقتال ، فليس بشيء ، لأننا إنما خصصنا من ذكره دليل مقطوع عليه معلوم ، وليس هذا موجوداً في الخبر الذي ادّعاه . فأما قوله : وليس ذلك ينقص الأنبياء ، بل هو إحلّال لهم ،

(١) كما في ١ ، د والثاني ، وفي م : « بالصدقة » . (٢) الثاني ٢٣٠ .

(٣) الثاني : « بذلك » .

من الذي قال له : إن فيه ^(١) نقصا ! وكأ أنه لا تقص فيه ، فلا إجلال فيه ولا فضيلة ؛ لأن الداعي وإن كان قد يقوى على جمع المال ليحلف على الورثة ، فقد يقوى أيضا بإرادة صرفه في وجوه الخير والبر ، وكلا الأمرين يكون داعيا إلى تحصيل المال ، بل الداعي الذي ذكرناه أقوى فيما يتعلق بالدين .

قال : وأما قوله : إن فاطمة لما سمعت ذلك كفت عن الطلب ، فأصابته أولا وأصابته ثانيا ؛ فلمعري إنها كفت عن المارعة والمشاخة ، لكنها انصرفت منصفة متطلعة متألمة ؛ والأمر في عصها وسخطها أظهر من أن يحصى على منصف ، فقد روى أكثر الرواة الدين لا يُتهمون بنشيع ولا عسنية فيه من كلامها في تلك الحال ، وبعد انصرافها عن مقام المارعة والمطالبة ، ما يدل على ما ذكرناه من سخطها وعصها .

أخبرنا أبو سعيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : حدثني محمد بن أحمد الكاتب ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد بن ماصح السجوي ، قال : حدثني الزياتي ، قال : حدثنا الشرفي ابن القطامي ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا صالح بن كيسان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على ميعه فذكر لائت حمارها على رأسها ، واشتملت بحلبائها ، وأقبلت في لمة ^(٢) من حَفَدَتِهَا . . .

قال المرتضى : وأخبرنا المرزباني قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكي قال : حدثنا أبو العيص بن القاسم اليماني قال : حدثنا ابن عائشة ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت فاطمة إلى أبي بكر في لمة من حَفَدَتِهَا . ثم احتضمت الروايتان من هاهنا ^(٣) . . . وساء قومها تطأ ديوها ما تحرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) دوالشاي : « إنه قص » . (٢) اللمة ، الحزم والتشديد : الرقة واللحمة .

(٣) الشاي : « اتفقا من هاهنا » .

حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فَنِيِطَتْ (١) دونها
مُلاة ، ثم أتت أَنَّةً أُخْمِسَ لها القومُ بالبكاء ، وارتحَّ المحس ، ثم أمهت هنيهة حتى إذا
سكنَ شَيْخُ القومِ وهدأت قوَرَتُهُمْ ، استتحت كلامها بالحمد لله عزَّ وجلَّ والثناء عليه ،
والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قالت : ﴿ لَقَدْ حَاءَكُمُ رَّبُّوْلٌ مِّنْ أَفْئِسِكُمْ
فَزِيْرٌ عَلَيْهِ مَا عَمِيْتُمْ خَرِيصٌ عَلَيْكُمُ الْمَوِيْبِيْنَ رَهْوٌ رَّحِيْمٌ (٢) ﴾ ، فإن تعرَّوه
تجدوه أبي دؤبِ آبائكم ، وأحبا ابن عمي دؤبِ رحاكم ، فتلع الرسالة صادقا بالندارة (٣) ،
مانلا عن سَنَنِ الشُّرَكِيْنَ ، صارما تُجْهِمُ ، يسمو إلى سبل ربه بالحكمة والوعظة الحسنة ،
أحدًا بأَكْظَامِ (٤) الشُّرَكِيْنَ ؛ بهشم الأَصَامِ ، وبعلقُ الهام ، حتى أنهزم الجمع وولوا
الدُّثُرَ ، وحتى تهرى (٥) الليلُ عن مُنْعِيهِ ، وأسفر الحق عن عصفه ، وعلق رعيم الدَّيْنِ ،
وحرست شقائق الشياطين ، وتمت كلمة الإخلاص ، وكفتم على شَمَا حمرية من السار ،
نُهزة الطامع ، ومدقة الشارب ، وغبسة العجلان ، وموطأ الأقدام ، تشربون الطَّرِيقَ (٦) ،
وتقتاتون القَيْدَ ؛ أدلة حاسنين ، يختصمكم الناس من حولكم ، حتى أهداكم الله رسوله
صلى الله عليه وآله بمد اللتيا وآتى ، وبمد أن مَنِيَّ بهم الرجال ودؤبان العرب ومَرَدَهُ
أهل الكتاب ، و ﴿ كَلِّمًا أَوْ لَدُّوْا نَارًا لِّنَحْرِبَ أَطْعَامَهَا اللهُ (٧) ﴾ ، أو نحم قرن الشيطان ،
أو فمرت فاعرة (٨) قذف أحاء في لهواتها . ولا يسكنى (٩) حتى يظأ صمأخها بإحصه ويطنىء
عادية كهبا بسية - أو قالت : يحمد لها بمدة - مكودا في دات الله ، وأنتم في رهاية
فكِيْهُوْنَ آمَنُوْنَ وَاِدْعُوْنَ .

(١) بيّطت : أى وصلت وعقلت . (٢) سورة التوبة ١٢٨

(٣) د : « صادرا بالندكرة » .

(٤) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ؛ وهو مخرج المر من الحلق .

(٥) تهرى : اشتق . (٦) الطرى : الماء الذى يأت الإبل فيه .

(٧) سورة اللأمة ٦٤ . (٨) فمرت فاعرة : أى فتحت فاهها .

(٩) د : « فلا تكفى » .

إلى هنا انتهى خبر أبي العيضاء عن ابن عائشة، وأما عروة عن عائشة، فزاد بعد هذا: حتى إذا اختار الله لنبه دار أنبيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وشمل جيباب الدين، ونطق كاظم الفاوين، ونبغ حامل الآفكين، وهدر فبق المظللين، فخطروا عرصاتكم، وأطاع الشيطان رأسه صارحاً بكم، فدعاكم فأنما لكم لدعوته مستجيبين؛ ولقربه متلاحظين، ثم استنهصكم فوجدكم حيافاً، وأحشكم فأنما لكم عصاة، فوتمتم غير إيلكم، ووعدتكم غير شربكم، هدا والمهد قريب، والكتم رحيب^(١) والجرح لما يندمل، إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة، ﴿ألا في الفتنة سقطوا وإن هم لميطأ ذكركم من الكافرين﴾^(٢)، مهيئات! وأنى لكم وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، رواجره بينة، وشواهد لاثمة، وأوامره واضحة. أربعة عه تريدن، أم لغيره تحكون؟ شئ للظالمين بدلا! ومن يشع غير الإسلام ديباً لمن يُقْتَلْ بِهِ وهو في الآخرة من الخاسرين. ثم لم تشوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، تُسَرُّونَ حِوًّا في ارتقاء، ومحى بصيرتكم على مثل كبر الددى، وأنتم الآن رعمون أن لا إرث لنا، ﴿الحكم الماهلية يسنون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾^(٣). باين أبي قحافة، أترث أمك ولا أرت أي، لقد جئت شيئاً فرياً! فدومكها معلومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، همم الحكم الله، والزعم، محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يحسر المطلون! ثم اسكفات إلى قرأها عليها السلام، فالت:

قد كلن بعدك أبااء وهشة لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب
إذا فقدناك فقد الأرض وإيها واحتل قومك ما شهدهم ولا قبي
وروى حرمي بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً:
فليت بعدك كلن الموت صدقنا لا قصبت وحالت دونك الكتب

(١) رحيب، أي واسع.

(٢) سورة التوبة ٤٩.

(٣) سورة المائدة ٥٠.

قال : فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : ^(١) يا حَيَّرَ
النساء ، وائتة خير الآباء ^(٢) ، والله ما عدوتُ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا
عملتُ إلا بإِذنه ، وإن الرائدَ لا يكذبُ أهله ، وإنى أشهد الله وكفى بالله شهيدا ؛ أنى سمعتُ
رسول الله يقول ، « إِنَّا معاشر الأسياء لا نورِثُ ذها ، ولا فصة ولا دارا ولا عقارا ،
وإنما نورِثُ الكتاب والحكمة والعلم وسوّة » .

قال : فها وصل الأمر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام كُفَى رَدَّ فَدَكَ ، فقال : إني
لأستحي من الله أن أَرَدَ شيئاَ سمع منه أبو بكر وأمّاه عمر ^(٣) .

قال المرتضى : وأحضرنا أبو عبد الله مَرَرُكَيْنِ : قال : حدثني عليّ بن هارون ، قال :
أحضرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ، عن أبيه قال : ذكرتُ لآلِ الحسين ريد بن عليّ
ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كلامَ فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر
إتيها فذكرَ ، وقلتُ له : **إِنْ هَؤُلَاءِ بِرَحْمُونِ أُمِّهِ مَصْنُوعٌ** وأنه من كلامِ أبي العبياء ، لأنَّ
الكلامَ مَسْجُوفَ البلاغة ، فقال لي : رأيتُ مشايخَ آلِ أبي طالب يروونه عن آبائهم وسننونه
أولادهم ، وقد حدثني به أبي عن ^(٤) **حَدَّثَنِي بِمَنْعِ** فاطمة عليها السلام ^(٥) على هذه الحكاية ،
وقد رواه مشايخُ الشيعة وتدارسوه . قل أن يوجدَ حَدَّثَ أبي العبياء ، وقد حدثتُ الحسين بن
صوان ، عن عطية العوفي ، أنه سمعَ عبدَ الله بن الحسن بن الحسن يذكُرُ ^(٦) عن أبيه هذا
الكلامَ .

ثم قال أبو الحسن ريد : وكيف ^(٧) نمكروا هذا من كلامِ فاطمة عليها السلام ، وهم

(١) ١ ، د : « بلحرة » . (٢) الثاني : « الأبياء » .

(٣) الثاني ٢٣٠ . (٤ - ٥) ساقط من د .

(٥) الثاني ، د : « ذكر » . (٦) د « كب » .

يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام ويحققونه لولا عدوتهم لنا أهل البيت . ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه ، وزاد في الأبيات بعد البيتين الأولين :

ضافت على بلادى بعد ما رخصت ورسم سبطك حسما فيه لى نصب
فليت قلبك كل الموت صدفا يوم تموا فاعطوا كل ما طلبوا
تجهمتا رجالا واستحفت به منعت عما وكل الإرث قد غصبوا
قال : ما رأينا يوماً أكثر ما كتبنا أو ، كية من ذلك اليوم .

قال المرتضى : وقد روى هذا الكلام عن هذا الوجه من مر في مختلفة ، ووجه كثيرة ، من أرادها أحدها من مواضعها ، فكيف يدعى أنها عليها السلام كفت راضية ، وأمست قامة ، لولا الأهمت وقلة الحياء^(١) !



قلت : ليس في هذا الخبر ما يدل على ساد ما ادعاه قاضي القضاة ، لأنه ادعى أنها مارعت وحاصمت ثم كفت لما صحت ازوية وانصرفت ، تاركه للبراع ، راضية عوحد الخبر المروي . وما ذكره المرتضى من هذا الكلام لا يدل إلا على سخطها حال حصولها ، ولا يدل على أنها بعد رواية الخبر وبعد أن أقسم لها أبو بكر بالله تعالى أنه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا ما سمعه منه ، انصرفت ساحطة ؛ ولما في الحديث المذكور والكلام المروي ما يدل على ذلك ، ولست أعتقد أنها انصرفت راضية كما قال قاضي القضاة ، بل أعلم أنها انصرفت ساحطة ، وماتت وهي على أبي بكر واجدة ، ولكن لا من هذا الخبر ، بل من أحاديث أخر ، كل الأولى المرتضى أن يحتج بها على

ما يرويه في انصرافها ساخطة ، وموتها على ذلك الصخط ، وأما هذا الخبر وهذا الكلام فلا يدل على هذا المطلوب .

قال المرتضى رحمه الله : فأما قوله : إنه يجوز أن يبين عليه السلام أنه لا حق لميراثه وورثته لغير الورثة ، ولا يتمتع أن يرد من حصة الآحاد ، لأنه من باب العمل ، وكل^(١) هذا بناءً على أصوله الفاسدة في أن خبر الواحد حجة في الشرع ، وأن العمل به واجب ، ودون صحة ذلك حرط القتاد ؛ وإنما يجوز أن يبين من حصة أخرى^(٢) إذا تساوى في الحجة ووقوع العمل ، فأما مع تأنيهما فلا يجوز التخيير فيهما ، وإذا كان ورثة النبي صلى الله عليه وسلم متمسكين بالآثار ، فلا بد من إرجاع عنتهم في هذه العبادة بأن يوقفهم على الحكم ، ويشارفهم به ، وبلقيه إلى من يقيم الحجة عليهم بنقله ، وكل ذلك لم يكن .

فأما قوله : أنعموا من صدقه في الرواية أم لا يجوزون ذلك ؟ فالجواب إنا لا نحوره ، لأن كتاب الله أصدق منه ، وهو يدفع روايته ويطلبها ؛ فأما اعتراضه على قولنا : إن إطلاق الميراث لا يكون إلا في الأموال بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْقِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾^(٣) . وقولهم : ما وريث الأنبياء من الآباء شيئا أفضل من أدب حسن ، وقولهم : العلماء ورثة الأنبياء ، فمحيب ، لأن كل ما ذكر مقيد غير مطلق ، وإنما قلنا إن مطلق لفظ الميراث من غير قرينة ولا تقييد بعيد فظاهره ميراث الأموال ، فبعد ما ذكره وطرحه لا يحوي على تماثل .

فأما استدلاله على أن سليمان ورث داود عنه دون ماله بقوله : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِنْ طِيقِ الطَّيْرِ وَأَوْثِنًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُمُ الْفَصْلُ الْمُبِينُ ﴾^(٤) وأن المراد أنه

(١) الثاني : « فكل » . (٢) الثاني : « من حصة دون حصة » .

(٣) سورة طه ٣٢ .

(٤) سورة النمل ١٦ .

وَرِثَ الْعِلْمَ وَالْفَضْلَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْقَوْلِ تَعْنُقٌ بِالْأَوَّلِ ، فَلَسَ بِشَيْءٍ يَدْعُوهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُ وَرِثَ إِنَّا نَظَاهِرُ وَالْعِلْمُ بِهَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْأَسْقَدَالِ ، فَلَسَ يَحْتَاجُ إِذَا دَلَّتِ الدَّلَالَةُ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ عَلَى مَعْنَى الْخَارِ أَنْ يَنْتَصِرَ ^(١) بِهَا عَلَيْهِ ، بَلْ يَحْتَاجُ أَنْ يَجْعَلَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ إِذَا لَمْ يَجْمَعْ مِنْ ذَلِكَ مَا مَعَ ؛ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ أَنْ يَرِيدَ مِيرَاثَ الْمَالِ حَاصَّةً ، ثُمَّ يَقُولُ مَعَ ذَلِكَ : ﴿ إِنَّا عَلَّمْنَا مَسْطُوقَ الْقَيْرِ ﴾ ، وَيُشِيرُ ، « الْفَصْلُ الْمُبِين » إِلَى الْعِلْمِ وَالْمَالِ جَمِيعًا ، فَهُوَ بِالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فَصْلٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمَا ؛ وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَوْنَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يَحْتَمِلُ الْمَالَ كَمَا يَحْتَمِلُ الْعِلْمَ ، فَلَسَ بِحَالٍ مَا طَهَهُ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ فِي قَعَّةٍ زَكَرِيَّا : إِنَّهُ خَفَ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَنْدَرِسَ ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَإِنْ كَانُوا لَا يَجْهَرُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ ، وَإِنَّمَا خَافَ أَنْ يَضِيعَ الْعِلْمُ ، فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيًّا يَقُومُ بِالَّذِينَ مَقَامَهُ ؛ فَخَدَّيْتُمَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَإِنْ كَانُوا لَا يَجْهَرُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَلَا يَسْجَلُونَ بِهَا ، فَأَتَاهُمْ يَحْتَمِدُونَ فِي مَنَعَ الْمُفْسِدِينَ مِنَ الْأَتْمَاعِ بِهَا عَلَى الْفَسَادِ ، وَلَا يَمُدُّ ذَلِكَ بِحِلٍّ وَلَا حَرْمًا ^(٢) ، بَلْ فَصَلًا وَدِينًا ؛ وَلَسَ يَخُودُ مِنْ زَكَرِيَّا أَنْ يَخَافَ عَلَى الْعِلْمِ الْأُنْدَاسَ وَالْعِصْيَانَ ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى مُقْتَضَى حِفْظِ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الْحُجَّةُ عَلَى الْعِبَادِ ، وَبِهِ تَرَاخَ عِلْمُهُمْ فِي مَصَالِحِهِمْ ، فَكَيْفَ يَخَافُ مَا لَا يَخَافُ مِنْ مِثْلِهِ !

فَإِنْ قِيلَ : فَهِيَ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا ذَكَرْتُمْ مِنْ أَنَّ زَكَرِيَّا كَانَ يَأْمَنُ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَنْدَرِسَ ؛ أَلَيْسَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَجُورًا أَنْ ^(٣) يَحْفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَنْهُ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ ، كَمَا يَجُوزُ حِفْظُهُ بِشَرِيبِ أَجْنَبِيٍّ ! فَاكْتَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ حَوْثُهُ ؛ إِنَّمَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ هَمَّهُ أَلَّا يَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَلَا يَقُومُوا فِيهِ مَقَامَهُ ، فَسَأَلَ اللَّهُ وَلَدًا يَجْمَعُ فِيهِ هَذِهِ الْعُلُومَ حَتَّى لَا يَخْرُجَ الْعِلْمُ عَنْ بَيْتِهِ ، وَيَشْتَدَّ إِلَى غَيْرِ قَوْمِهِ ، فَيَنْحَقُّ بِذَلِكَ وَصْمَةٌ !

(١) ١ : الشافعي : « ينتصرها » . (٢) ب : « بحلٍّ وحرماً » .

(٣) الشافعي : « لأن » .

قلنا : أما إذا رتب السؤال هذا الترتيب ، « لحواب عنه ما أجيبا به صاحب الكتاب ، وهو أن الخوف الذي أشاروا إليه ليس من ضرر ديني ، وإنما هو من ضرر دنيوي ، والأشياء إنما بُعثوا لتحمل المصائر الدنيوية ، ومشارفهم في الثواب إنما رادت على كل المنار لهذا الوجه ، ومن كانت حاله هذه الحال ، فإظهار من خوفه إذا لم يعلم وجهه بعينه أن يكون محمولا على مصائر الدين ، لأنها هي جهة خوفهم ، والقرض في بثهم تحمّل ما سواها من المصائر ، فإذا قال النبي صلى الله عليه وآله : « أما حائف » ، فلم يُعلم جهة خوفه على التفصيل ، يحب أن يصرف خوفه بالظاهر إلى مصائر الدين دون الدنيا ، لأن أحوالهم وبثهم ^(١) يقتضي ذلك ، فإذا كتبوا اعتدوا من نصيب الزهد في الدنيا وأسامها ، والتعفف عن منافصها ، والرغبة في الآخرة ، والتمرد ^(٢) بالعمل لها ، لكن يحمل على ما يظهر لنا من خوفه الذي لا يعلم وجهه بعينه على ما هو أشبه وأتق بحاله ، ونضعه إلى الآخرة دون الدنيا ، وإذا كان هذا واجبا فيصير ذكرناه فهو في الأشياء عليهم السلام أوجب ^(٣) .

قلت : يعني ألا يمول المترص : فيلحقه بذلك وصمة ، فيجعل الخوف من هذه الوصمة ، بل يقول : إنه خاف ألا يُملح نوعه ولا يتعمقوا العلم ، لما رأى من الأمارات الدالة على ذلك ، فالخوف على هذا الترتيب يتعلق بأمر ديني لا دنيوي ، فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدا يرث عنه علمه ، أي يكون عالما بالدينيات كما آما عالم بها . وهذا السؤال متعلق بأمر ديني لا دنيوي . وعلى هذا يدفع ما ذكره المرتضى : على أنه لا يجوز إطلاق القول بأن الأنبياء بُعثوا لتحمل المصائر الدنيوية ، ولا القول : انصرص في بثهم تحمّل ما سوى المصائر الدنيوية من المصائر ؛ فإنهم ما بُعثوا لذلك ، ولا المرض في بثهم ذلك ، وإنما بُعثوا لأمر آخر . وقد تحصل المصائر في أداء الشرع رسماً وتبعاً ، لا على أنها العرض ، ولا داخلية

(١) الشاق : « بثهم » . (٢) د : « والتعود » . (٣) الدقاق ٢٣٢ .

في النرض ، وعلى أن قول المرتضى : لا يجوز أن يحاف زكريّا من تدبيل الدين وتغييره ،
لأنه محفوظ من الله ، فكيف يحاف ما لا يحاف من مثله ؛ غير مستمر على أصوله !
لأن المكلفين الآن قد حُرِّموا بنية الإسم عنده الصلوة الكثيرة الوصلة بالشرعيات كالحدود
وصلاة الجمعة والأعياد ، وهو وأصحابه يقولون في ذلك إن اللوم على المكلفين ؛ لأنهم
قد حرّموا أنفسهم اللطف ، فهلا حاز أن يحاف زكريّا من تبديل الدين وتغييره ،
وإفساد الأحكام الشرعية ! لأنه إنما يح على الله تعالى التسليم بالرسول إلى المكلفين
فإذا أفسدوا هم الأديان وبدلوا لم يح عليه أن يحطها عليهم ، لأنهم هم الذين حرّموا
أنفسهم اللطف .

واعلم أنه قد فرئ : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾^(١) ؛ وقيل : إنها قراءة
ربن العابدین وابیه محمد بن علی أسافر عليهما السلام وعثمان بن عفان . وقُروا
على وجهين :

أحدها أن يكون « ورأى » بمعنى خافى وسدى ، أى خفت الموالى وتحرّوا عن إقامة
الدين ، تقول : قد خفّ بنو فلان ، أى قلّ عددهم ، فسأل زكريّا ربه تقويتهم ومطاهرتهم
بولى برزقه .

وثانيهما أن يكون « ورأى » بمعنى قدّامى ، أى خفت الموالى وأما حتى ودّرّحوا
وانقرضوا ، ولم يبق منهم من به اعتصاد ؛ وعلى هذه القراءة لا يبق متعلق بلفظة الخوف .
وقد فسر قوم قوله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ ﴾ ، أى خفت الدين يُلَوْن الأمر من
بعدى ، لأن المولى يستعمل في الموالى ، وجمعه موالٍ ، أى خفت أن يلى بعد موتى أجراء
ودّساء يُفسدون شيئاً من الدين ، فأررقتى ولداً تُعِم عليه بالنبوة والعلم ، كما أعمت

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١ : ٧٧ .

على ، واجعل الدين محفوظاً [به]^(١) ؛ وهذا التأويل غير منكّر ، وفيه أيضاً دفعٌ لكلام المرتضى .

قال المرتضى : وأما تعلق صاحب الكتاب بـ أن الميراث محمول على العلم بقوله : ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَتَّقُونَ ﴾ ؛ لأنه لا يرث أموال آل يعقوب في الحقيقة وإنما يرث ذلك عبره ، فمعيد من الصواب ؛ لأن ولد زكريّا يرث ، القرابة من آل يعقوب أموالهم ، على أنه لم يقل : « يرث آل يعقوب » ، بل قال : ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَتَّقُونَ ﴾ ، تنبيهاً^(٢) بذلك على أنه يرث^(٣) من كان أحق بميراثه في القرابة^(٤) .

فأما طعنه على من تأوّل الخبر بأنه عليه السلام لا يورث ، ما تركه للصدقة بقوله : إن أحداً من الصحابة لم يتأوله على هذا الوجه ، فهذا التأويل الذي ذكرناه أحد ما قاله أصحابنا في هذا الخبر ، فمن أين له إجماع الصحابة على خلافه ؟ وإن أحداً لم يتأوله على هذا الوجه .

فإن قال : لو كان ذلك لطهر واشتهر ، ولو نسب أبو بكر عليه ، فقد مضى من الكلام فيها يمنع من الموافقة على هذا المعنى ما فيه كفاية .

قلت : لم يكن ذلك اليوم - أعني يوم حصور فاطمة عليها السلام ، وقولها لأبي بكر ما قالت - يوم تقية وخوف ، وكيف يكون يوم تقية وهي تقول له - وهو الخليفة : يا ابن أبي قحافة ، أترث أباك ولا أترث أبي ! ونقول له أيضاً : لقد حدث شيئاً قريباً فكان ينبغي إذا لم يؤثر أمير المؤمنين عليه السلام أن يصرّ لأنى بكر معنى الخبر أن يعلم فاطمة عليها

(١) نكته من د . (٢) د : « منها » .

(٣) د ، ا ، د : « يورث » . (٤) الثاني ٢٣٢ .

السلام تفسيره ، فتقول لأبي بكر : أنت عاهدت بما ظنمت ، إنما قال أبي : ما تركناه صدقة ، فإنه لا يُورث .

واعلم أن هذا التأويل كاد يكون مدفوعاً بالضرورة ، لأن من نظر في الأحاديث التي ذكرناها وما حرت عليه الحال لم يطلأه عما قطعنا .

قال المرتضى : وقوله إنه لا يكون بد ذلك تخصيصاً للأنبياء ولا مزية : ليس بصحيح ، وقد قيل في الجواب عن هذا : إن النبي صلى الله عليه وآله يجوز أن يريد أن ما ننوي فيه الصدقة ، ونفرد بها من غير أن نخرجها عن أدينا لا تناله ورثتنا . وهذا تخصيص للأنبياء ومزية ظاهرة^(١) .

قلت : هذه مخالفة لمذهب الكلام ، بحاله اللفظ^(٢) عن وضعه ، وبين قوله : ما ننوي فيه الصدقة ، وهو بعد في ملكنا ليس بموروث ؛ وقوله : ما نحلفه صدقة ليس بموروث فرق عظيم ، فلا يجوز أن يراد أحد المصنفين ، تنبسط التقييد لبعض الآخر ، لأنه إلباس وتعمية . وأيضا ، فإن العلماء ذكروا خصائص الرسول في الشرعيات عن أمته وعدوها ، نحو حل الزيادة في الكاح على أربع ، ونحو الكاح بلفظ الحبة هي قول فرقة من المسلمين ، ونحو تحريم أكل البصل والثوم عليه ، وإباحة شرب دمه ، وغير ذلك ، ولم يذكروا في خصائصه أنه إذا كان قد نوى أن يتصدق بشيء فإنه لا يسأله ورثته ، لو قدر ما أنه يورث الأموال ، ولا الشيعة قبل المرتضى ذكرت ذلك ، ولا رأينا في كتب من كتبهم ، وهو مسبوق بإجماع طائفته عليه ، وإجماعهم عندهم حجة .

قال المرتضى : فأما قوله : إن قوله عليه السلام : ما تركناه صدقة ، جملة من الكلام

(١) الشافعي ٢٣٢ . (٢) ١ ، ٢ : د : د : لفظ .

مستقلة بنفسها ، فصحيح إذا كانت لفظة « ما » مرفوعة على الابتداء ، ولم تكن منصوبةً بوقوع الفعل عليها ، وكانت لفظة « صدقة » أيضا مرفوعة عبر منصوبة ، وفي هذا وقع النزاع ، فكيف يدعى أنها جملة مستقلة بنفسها ! وأقوى ما يمكن أن نذكره أن نقول : الرواية حامت بلفظ « صدقة » بالرفع ، وعلى ما تأولتموه لا تكون إلا منصوبة ، والحوادث عن ذلك أنا لا نسلم الرواية بالرفع ، ولم نحر عادة الرواة لمصط ما جرى هذا المجرى من الإعراب ، والأشبهاء يقع في مثله ، فمن حقق منهم وصرح بالرواية بالرفع يحوز أن يكون أشبه عليه طعنا مرفوعة ، وهي منصوبة ^(١) .

قلت : وهذا أيضا خلاف الطاهر ، وفتح الباب فيه يؤدي إلى إفساد الاحتجاج بكثير من الأخبار .

قال : وأما حكايته عن أبي علي أن أبا بكر لم يدفع إلى أمير المؤمنين عليه السلام السيف والمعدة والمهمة على حمة الإرث ، وقوله : كيف يحوز ذلك مع الحر الذي رواه ! وكيف حصصه بذلك دون المم الذي هو المصيبة ! لما رآه راد على التعجب ، ومما يحى منه عجبنا ، ولم يثبت عصمة أبي بكر فينتفى عن أماله الشافص ^(٢) .

قلت : لا يشك أحد في أن أبا بكر كل عاقلا ، وإن شك قوم في ذلك فالعقل في يوم واحد لا يدفع فاملةً عليها السلام عن الإرث ويقول : إن أباك قال لي : إني لا أودث ثم يورث في ذلك اليوم شخصا آخر من مال ذلك المتوفى الذي حكى عنه أنه لا يورث وليس أتناء هذا الشافص عن أماله موقوفا على المصبة ، بل على العقل .

قال المرتضى : وقوله يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وآله نَحْلَهُ إِيَّاهُ وتركه أبو بكر في يده - لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَقْوِيَةِ الدِّينِ - وَتَصَدِّقُ سَلَهُ ؛ وَكَلَّ مَا ذَكَرَهُ جِزْءٌ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ أَسْبَابُ النُّحْلَةِ وَاشْهَادُ بَيِّنَاتٍ ، وَالْحُجَّةُ عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَتَعَرَّفَهُ ، وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ تَدَّعَى فَاطِمَةُ قَدْكَ رَحْمَةً ، وَتَسْتَشْهَدَ عَلَى قَوْلِهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرَهُ ، فَلَا يُعْنَى إِلَى قَوْلِهَا ، وَيَتْرَكُ لِسَيْفِ الْبِعْلَةِ وَالْعِمَامَةِ فِي يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَبِيلِ انْخِلَاعِ بَيِّنَةٍ ظَهَرَتْ ، وَلَا شَهَادَةٍ قَامَتْ ^(١) !

قلت : لعلَّ أبا بكر سمع الرسول صلى الله عليه وآله وهو ينحَلُّ ذَلِكَ عَلَيَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَذَلِكَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى الْبَيِّنَةِ وَالشَّهَادَةِ ، فَقَدْ رَوَى أَنَّهُ أَعْطَاهُ حَاتِمَهُ وَسَيْفَهُ فِي مَرَضِهِ وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرٌ ، وَأَمَّا الْبِعْلَةُ فَقَدْ كَانَتْ عِنْدَهُ إِيَّاهَا فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى مَا وَرَدَتْ فِي الزَّوَايِدِ ؛ وَأَمَّا الْعِمَامَةُ فَسَلَبَ الْمَيِّتَ ، وَكَذَلِكَ الْقَمْبُورُ وَالْحَجَرَةُ ^(٢) وَالْحَدَاءُ ، فَلَمَّا دَانَ أَنْ يَأْخُذَ ذَلِكَ وَلَدَ الْمَيِّتِ ؛ وَلَا يَبَارِعُ فِيهِ لِأَنَّهُ خَارِجٌ ، أَوْ كَخَارِجٍ عَنِ التَّرَكَّةِ ، فَلَمَّا غُيِّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَتْ ابْنَتُهُ نَيْيَاهُ اتَّقَى مَاتَ فِيهَا ، وَهَذِهِ عَادَةُ الدِّسِّ ، عَلَى أَنَّمَا قَدْ ذَكَرْنَا فِي الْعَصَلِ الْأَوَّلِ كَيْفَ دَفَعَ إِلَيْهِ آلَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَدَّاهُ وَدَابَّتَهُ ، وَالطَّاهِرُ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ اجْتِهَادًا لِمَصْلَحَةِ رَأْيَاهَا ؛ وَلِلْإِمَامِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ .

قال المرتضى : عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَحِبُّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَمَسَّ ذَلِكَ ، وَيَذْكُرَ وَجْهَهُ بِمِيسَةٍ ، لَمَّا تَارَعَ الْعَنَاسَ فِيهِ ، فَلَا وَقْتُ لَذِكْرِ الْوُجْهِ فِي ذَلِكَ أَوَّلَى مِنْ هَذَا الْوَقْتِ ^(٣) .

قلت : لَمْ يَنْزِعِ الْعَنَاسَ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ ، لَا فِي الْمَعْلَةِ وَالْعِمَامَةِ وَنَحْوِهَا ، وَلَا فِي غَيْرِ

(١) الشافعي ٢٣٢ ، ٢٣٣ . (٢) حيزه الإزار : محققه .

(٣) الشافعي ص ٢٣٣ .

ذلك ، وإنما نازع عليًا في أيام هجره ، وقد ذكرنا كيفية المنازعة ، وفيهاذا كانت .

قال المرتضى رضي الله عنه في الردة والقصيب : إن كل محلة ، أو على الوجه الآخر ، يجرى مجرى ما ذكرناه في وجوب الظهور والاستشهاد ، ولما رى أصحابنا - يعني المعتزلة - يطالبون أنفسهم في هذه المواضع بما يطالبون بما عثله إذا ادعى حوفاً وأسباباً وعذلاً مجوزة ، لأنهم لا يقنعون مما بما يجوز ويمكن ؛ بل يوحون فيما يدعيه الظهور والاستشهاد ، وإذا كان هذا عليهم نسوة أو تناسوه^(١) .

قلت : أما القصيب فهو السيف الذي نعتله رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في مرصه ، وليس بدى المقار ، بل هو سيف آخر ؛ وأما الردة فإنه وهبها كعب بن زهير ، ثم صار هذا السيف وهب الردة إلى الخلفاء ، بعد تنقلات كثيرة مدكورة في كتب التاريخ .

قال المرتضى : فأما قوله : فإن أزواج النبي صلى الله عليه وآله إنما طعن الميراث لأنهن لم يعرفن رواية أبي بكر للخبر ، وكذلك إنما نازع علي عليه السلام بعد موت فاطمة عليها السلام في الميراث لهذا الوجه ، فمن أقبح ما يقال في هذا الباب وأبعد عن الصواب ، وكيف لا يعرف أمير المؤمنين عليه السلام رواية أبي بكر ، وبها دفعت زوجته عن الميراث ! وهل مثل ذلك المقام الذي قامه ، وما رواه أبو بكر في دفعها بحق على من هو في أقاصي البلاد ، فصلا عن هو في المدينة حاضر شاهد براعي^(٢) الأخبار ، ويعنى بها إن هذا لخروج في السكابة عن الحد ! وكيف ينحى على الأرواح ذلك حتى يطلسه مرة بعد أخرى ، ويكون عثمان الرسول لمن ، والمصالب عهن ، وعثمان على زعمهم أحد من شهد

(١) الشال من ٢٣٣ . (٢) والشال : يعني الأخبار وبراعيا . (٣) د : د من .

أن النبي صلى الله عليه وآله لا يُورث ؛ وقد سمعنا على كل حال أن بنت النبي صلى الله عليه وآله لم تورث ماله ولا بد أن يكن قد سائن عن السب في دفعها ، قد كرهن الحرة ، فكيف يقال : إنهن لم يعرفنه ^(١) !

قلت : الصحيح أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يسازع بعد موت فاطمة في الميراث ، وإنما سازع في الولاية لئلا يتركها من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجري بينه وبين الناس في ذلك ما هو مشهور ، وأما أرواح النبي صلى الله عليه وآله فسانت أنهن سازعن في ميراثه ، ولا أن عثمان كان المرسل لهن ، والمطال عهن ، إلا في روايه شاذة ، والأزواج لما عرفن أن فاطمة عليها السلام قد دُفنت عن الميراث أمكن ، ولم يكن قد نازعن ، وإنما اكتفى بفرهن ، وحديث قدك وحضور فاطمة عند أبي بكر كان بعد عشرة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والصحيح أنه لم يطق أحد بعد ذلك من الناس من ذكر أو أنى بعد عود فاطمة عليها السلام من ذلك المجلس بكلمة واحدة في الميراث .

قال المرتضى : فإن قيل : فإذا كان أبو بكر قد حكم بالخطأ في دفع فاطمة عليها السلام عن الميراث ، واحتج بحجة لا حجة فيه ، فما بال الأمة أقرته على هذا الحكم ، ولم تكبر عليه ، وفي رصاها وإسماها دليل على صوابه ^(٢) !

قلت : قد مضى أن ترك التكبر لا يكون دليل الرضا إلا في هذا الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضا ، وذكرنا في ذلك قولاً شافياً ، وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ في كتاب « العباسية » عن هذا السؤال جواباً حسن المعنى واللفظ ، نحن

(١) الثامن من ٢٣٣ .

(٢) الثاني من ٢٣٣ .

نذكره على وجهه ، ليقابل بينه وبين كلامه في الثمانية وغيرها (١) .

قلت : ما كناه الرضى رحمه الله في غير هذا الموضع أصلا ، بل كان ساخطا عليه ، وكناه في هذا الموضع ، وأستحاد قوله ؛ لأنه موافق عرضه ، فبجنان الله ، ما أشد حب الناس لعقائدهم !

قال : قال أبو عثمان : وقد روى أناس أن الدليل على صدق حديثها - يعني أبا بكر وعمر - في منع الميراث ورواية صاحبهما ، ترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر عليهما . ثم قال : قد يقال لهم : لو كان ترك الكبر دليلا على صدقهما ، ليجوز ترك الكبر على المتكلمين والمعتجزين عليهما ، والمطالبين لها ، دليلا على صدق دعواهم ، أو استحسان مقالهم ، ولا سيما وقد طالت المباحة ، وكثرت المراحمة والملاحاة ، وظهرت الشكيات ، واشتدت الموحدة . وقد بلغ ذلك من فاطمة عليها السلام ، حتى إنها أوصت ألا يصلى عليها أو نكر ، ولقد كانت قالت له حين أنه طالعه بحقها ، وعجنجة لرقطها : من يترك يا أبا بكر إدامت ؟ قال : أهلى ووكدى ؛ قالت : فما نألى لا نرى النبي صلى الله عليه وآله أفتا منها ميراثها وبحسبها حقها وأعتل عليها وجلع (٢) في أمرها ، وعابت التهضم (٣) ، وأيست من الدرع ، ووحدت نشوة الصف وقلة النصر ، قالت : والله لأدعون الله عليك ، قال : والله لأدعون الله لك ؛ قالت : والله لا أكلمك أبدا ، قال : والله لا أهرلك أبدا . فإن يكن ترك التكبر على أئى نكر دليلا على صواب معها ؛ إن في ترك التكبر على فاطمة عليها السلام دليلا على صواب طيبها ! وأدنى ما كان يحب عليهم في ذلك ترميمها ما حجت ، وتذكيرها ما سئت ، وصرفها عن الخصم ورفع قدرها عن الداء (٤) ، وأن تقول ههنا (٥) ، أو تجوز عادلا ، أو تقطع وأصلا ؛ فإذا لم نجد أمسكروا على الخصمين جميعا فقد تكافأت

(١) الشافى ٢٣٣ - (٢) جلع في أمرها : جلع به وكاشها .

(٣) التهضم : الضم ، وى : « الضم » . (٤) الداء : الضحى .

(٥) الهجر : الفسخ من الكلام .

الأمر ، واستوت الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم الله من الموارث أولى بنا وبكم ، وأوجب علينا وعليكم .

قال : فإن قالوا : كيف تظن به ظنهم وانتمدّى عليها ! وكلما اردادت عليه غبطة ارداد لها ليتنا ورقة ، حيث تقول له : والله لا أكلمك أبداً ، فيقول : والله لا أهرّك أبداً ، ثم تقول : والله لأدعوك الله عيث ، فيقول : والله لأدعوك الله لك ، ثم يحتمل منها هذا الكلام النايظ ، والقول الشديد في دار الخلافة ، وبحضرة قريش والصحابة ، مع حجة الخلافة إلى الهاء والتبره ، وما يحل لها من الرقة والهيبة ! ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتدرا متقربا ، كلام المظم لحقها ، الكبر لقمها ، والصائن لوحها ، التحنن عليها : ما أحدى أمر على منك فراء ، ولا أحب إلى منك عني ، ولكني مميت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول : « يا معاشر الأنبياء لا تورت ، ما تركناه فهو صدقة » ! قيل لهم : ليس ذلك بدليل على ابراء من نظم ، والسلامة من الخور ، وقد يطلع من مكر الظالم ودهاء الاكر إذا كان أربابا ، وللتخصومة ممتدا ، أن يظهر كلام الظالم ، ودلة المنتصف^(١) وحذب^(٢) الواسق ، ومقة^(٣) المحر . وكيف جعلتم ترك الكبر حجة قاطعة ، ودلالة واضحة ، وقد زعمتم أن عمر بن الخطاب على مبره . مُتَعَتَانِ كَانَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : متعة النساء ، ومتعة الحج ، أو أمهتي عنهما ، وأعقب عنهما ؛ فما وحدثم أحدا أسكر قوله ، ولا استنشع محرّح بهيه ، ولا حطاه في معناه ، ولا تعجب منه ، ولا استفهمه ! وكيف تقصون بترك الكبر وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أن أسبى صلى الله عليه وسلم قال : « الأئمة من قريش » ؛ ثم قال في شكاته : لو كان سالم حيا ما تخالفتني فيه شك ، حين^(٤) أظهر شكّي في استحقاق كل واحد من الستة الدين

(١) المنتصف : المستوي حقه . (٢) وحذب الواسق ؛ أي واتقاء الناظر .

(٣) المقة : التودد والمحب . (٤) الثاني : « حتى » .

جعلهم سُورَى ، وسالمٌ عَبْدٌ لامرأَةٍ من الأنصار ، وهي اعتقته ، وحزتُ ميراثه ، ثم لم يسكر ذلك من قوله مسكر ، ولا قبل إنسان يمين قوله ، ولا تعجب منه ، وإنما يكون ترك الكير على مَنْ لا رعية ولا رهنة عنده دليلاً على صدق قوله ، وصواب عمله ، فأما ترك الكير على من يملك الصمة والرخصة ، والأمر والنهي ، والقتل والاستحياء ، والحس والإطلاق ، فليس بحجة تشفي ، ولا دلالة تضيء .

قال : وقال آخرون : بل الدليل على صدق قولها ، وصواب عملها ، إمساك الصحابة عن خلعها ، والخروج عليها ، وهم الذين رَمَوْا على عثمان في أيسر من جحد التريل ، وردّ النصوص^(١) ، ولو كان كما تقولون وما تصبون ، ما كل سبيل الأئمة فيهما إلا كسبيلهم فيه ، وعثمان كان أعرّ نعرًا ، وأشرف رهط ، وأكثر عددا وثرية ، وأقوى عُدّة .

هذا : إيهما لم يحدد التريل ، ولم يفكرا النصوص ، ولكلّهما بعد إقرارها بحكم المراث وما عليه الظاهر من الشريعة أدعيا رواية ، وتحدثنا محدث لم يكن عملاً كونه ، ولا ممتنعاً في حجح العقول بحيث ، وشهد لها عليه من علته مثل علقتهما فيه . ولعلّ بعضهم كان يرى تصديق الرجل إذا كل عدلاً في رهطه ، فأمونا في ظاهره ، ولم يكن فل ذلك عرفه بلعجزة^(٢) ، ولا حوت عليه عُدّة ، فيكون تصديقه له على حجة حسن الظن ، وتعديل الشاهد ؛ ولأنّه لم يكن كثيرٌ منهم يعرف حقائق ألحجج ، وألدى يقطع شهادته على العيب ، وكان ذلك شبهة على أكثرهم ، فذلك قلّ الكير وتواكل الناس ، فاشبه الأمر ، فصار لا يتخلص إلى معرفة حقّ دنك من باطله إلا اسالم المتقدم ، أو المؤيد المرشد ، ولأنّه لم يكن لثمان في صدور العوامّ وقلوب السّنة والطعام ما كلن لهما من المحنة والهيبة ، ولأنّهما كانا أقلّ استشارا مالى ، وتمصلاً بمالي الله منه ، وبين شأن الناس إهمال السلطان ما وفرّ عليهم أموالهم ، ولم يستأثر بحراصهم ، ولم يعطل ثنورهم . ولأنّ ألدى صنع أبو بكر

(١) د : د النصوص . (٢) الصرة : الاسماء في المعاصي والفيجور .

من منع العترة حقها ، والعمومة ميراثها ، قد كان موافقا لحلة فريش وكراة العرب ، ولأن عثمان أيضا كان مضروفا في نفسه ، مستحما بقدره ، لا يمنع ضيفا ، ولا يقطع عدوا ؛ ولقد وثب ناس على عثمان بالشم والدف والشييع والكبر ، لأموه لو أتى أصما قها وبلغ أقصاها لما أجترأوا على أغتيابه ، فصلا على مبادأتهم لإعراء به ومواجمته ، كما أعظ غيبة بن حصن له فقال له : أما إنه لو كان عمر لقمعتك ومعتك ؛ فقال غيبة : إن عمر كان حيرا لي منك ، أرهبي فائقاني .

ثم قال : والمعب آنا وحدنا جمع من حاتف في المراث على اختلافهم في التشبه والقدر والوعيد يرد كل صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب إسنادا ، وأصح رجالا ، وأحسن اتصالا ؛ حتى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبي صلى الله عليه وسلم سخروا الكتاب ، وحصوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما ردوه ، وأكذبوا قائله ، وذلك أن كل إنسان منهم إنما يجرى إلى هواه ، ويصدق ما وافق رصاه .
هذا آخر كلام الجاحظ^(١) .



ثم قال المرتضى رضي الله عنه : فإن قيل : ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال بترك التكبير ، وقوله : كما لم يكرأ على أبي بكر ، فلم يكرأ أيضا على فاطمة عليها السلام ولا على غيرها من الطالبين بالإرث ، كالأزواج وغيرهن معارضة صحيحة ، وذلك أن تكبير أبي بكر لذلك ، ودفعها والاحتجاج عيها ، ويكفيهم ويفيهم عن تكلف تكبير آخر ، ولم يكرأ على أبي بكر ما رواه مكر فيستغنوا بإسكاره^(٢) .

فدا : أول ما يُطرح هذا السؤال أن أكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد

(١) نقله في الشافعي ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

أحتجاجها من التظلم والتألم، والتعسف والتكيت، وقولها على ما رُوي: والله لأدعون الله عليك، ولا أكلّمك أبداً، وما جرى هذا المجرى، فقد كان يحب أن يكبره غيره، ومن المكر الغصب على السبب. وبعد، فإن كل إنكار أنى بكر مقصداً ومنياً عن إنكار غيره من المسلمين فإنكار فاطمة حكمه، ومقامها على التظلم منه. فمن عن كبر غيرها؛ وهذا واضح^(١).

المصل الثالث

في أن فدك هل صحّ كونها بعتة رسول الله صلى الله عليه وآله
لفاطمة عليها السلام أم لا؟

نذكر في هذا الفصل ما حكاه المرتضى عن قاضي القضاة في "المعي"، وما أعترض به عليه، ثم نذكر ما عندنا في ذلك.

قال المرتضى حاكياً عن قاضي القضاة: ومما عظمت الشيعة القول في أمر فدك، قالوا: وقد روى أبو سعيد الخدري أنه لما أُرِلَتْ: ﴿وَأَتَا الْقُرْآنُ حَقَّهُ﴾^(٢)، أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فدك، ثم من عمر بن عبد العزيز مثل ذلك، فردّها على ولدها. قالوا: ولا شك أن أبا بكر أعصها؛ إن لم يصحّ كل الذي رُوي في هذا الباب، وقد كان الأجل أن يعميم التكريم ثم تركوا منها فصلاً عن الدين، ثم ذكروا أنها استشهدت أمير المؤمنين عليه السلام وأمّ أيمن، فلم يضلّ شهادتهما، هذا مع تركه أرواح النبي صلى الله عليه وآله في حجرهن، ولم يجعلها صدقة، ومصدقين في ذلك أن ذلك لمن ولم يصدقها.

(١) الثاقب ٢٣٤.

(٢) سورة الإسراء ٢٦.

قال : والجواب عن ذلك أن أكثر ما يروون في هذا الباب غير صحيح ؛ ولنا منكر صحة ما روى من ادّعاءها فذلك ، فأما أنها كانت في يدها فغير مسلم ، بل إن كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها ، فإذا كانت في جملة تركة فالظاهر أنها ميراث ، وإذا كان كذلك فغير حائر لأبي بكر قول دَعَوَاهَا ، لأنه لا خلاف في أن العمل على الدَّعْوَى لا يجوز ، وإنما يعمل على مثل ذلك إذا علمت صحته ، شاهدة ، أو ماحرى محرّاه ، أو حصلت بينة أو إقرار ، ثم إن البينة لا بد منها ، وإن أمير المؤمنين عليه السلام لما خصمه اليهودى حاكمه ، وأن أم سلمة التي يطلق على فضلها لو ادّعت بخلاف ما قُيِّدَت دعواها .

ثم قال : ولو كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الوالي ، ولم يعلم صحة هذه الدعوى ، ما الذي كان يجب أن يعمل ؟ فإن قلتم : بطل الدعوى ، فالشرع بخلاف ذلك ، وإن قلتم : يلتزم البينة ، فهو الذي فعله أبو بكر .

ثم قال : وأما قول أبي بكر : رحل مع الرجل ، وامرأة مع المرأة ، فهو الذي يوجب الدين ، ولم يشك أن أشاهد في ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام ، بل الرواية الموقولة أنه شهد لها مولى رسول الله صلى الله عليه وآله مع أم أيمن .

قال : وليس لأحد أن يقول : فلو ادّعت ولا بينة معها ؟ لأنه لا يمتنع أن تحوّر أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين ، أو تحوّر عند شهادة من شهد لها أن تذكر غيره فيشهد ، وهذا هو الموجب على متمسك الحق ، ولا عيب عليها في ذلك ، ولا على أبي بكر في التماس البينة ، وإن لم يحكم لها لما يتم ولم يكن لها خصم ، لأن التركة صدقة على ما ذكرنا ، وكل لا يمكن أن يمول في ذلك على يمين أو سكول ، ولم يكن في الأمر إلا ما فعله ، قال : وقد أنكر أبو علي ما قاله السائر من أنها لما رُدَّت في دعوى السُّحلة ادّعتة إرثاً ، وقال : بل كان طلست الإرث قبل ذلك ، فما سمعت منه الحرك كفت وادّعت السُّحلة^(١) .

قال : فأما فِعل عمر بن عبد العزيز فلم يشت أنه رده على سبيل النحلة ، بل فعل في ذلك ما عمله عمر بن الخطاب بأن أقره في يد أمير المؤمنين عليه السلام ليصرف علاتها في الموضع التي كان يجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، فقام بذلك مدة ، ثم ردها إلى عمر في آخر سنته ، وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز ؛ ولو ثبت أنه فعل بخلاف ما فعل السلف لكان هو المحجوج بعملهم وقولهم . وأحد ما يفوتى ما ذكرناه أن الأمر لما انتهى إلى أمير المؤمنين عليه السلام ترك ذلك على ما كان ، ولم يجعله ميراثا لولد فاطمة ، وهذا يبين أن الشاهد كان غيره ، لأنه لو كان هو الشاهد لكان الأقرب أن يحكم بملكه ؛ على أن الناس اختلفوا في الهبة إذا لم تقبض ، فعد بعضهم تستحق العقد ؛ وعد بعضهم أنها إذا لم تقبض يصير وجودها كعدمها ، فلا يتمتع من هذا الوجه أن يمنع أمر المؤمنين عليه السلام من ردها ، وإن صح عنه عقد الهبة ، وهذا هو الظاهر ، لأن التسليم لو كان وقع لظهر أنه كان في يدها ، ولكان ذلك كافيا في الاستحقاق ، فثبت حُجْر أرواح النبي صلى الله عليه وآله فإنما تركت في أيديهم لأنها كانت لهم ، ونص لكتاب يشهد بذلك ، وقوله : ﴿ وقرآن في بيوتكن ﴾ ^(١) . وروى في الأحبار أن النبي صلى الله عليه وآله قسم ما كان له من المحجر على سائه وبناته . ويثبت صحة ذلك أنه لو كان ميراثا أو صدقة لكان أمير المؤمنين عليه السلام لما أفصى الأمر إليه ينيره .

قال : وليس لأحد أن يقول : إنا لم يميز ذلك لأن الملك قد صار له ، فترجع به ، وذلك أن الذي يحصل له ليس إلا ربع ميراث فاطمة عليها السلام ، وهو الثمن من ميراث رسول صلى الله عليه وآله ، فعد كان يجب أن ينتصف لأولاد الناس وأولاد فاطمة منهم في باب المحجر ، ويأخذ هذا الحق منهم ، فتركه ذلك بدل على صحة ما قلناه ، وليس يمكنهم بعد ذلك إلا التعلق بالتقية ^(٢) ، وقد سبق الكلام فيها .

(١) سورة الأحزاب ٣٣ . (٢) التبية : الحيلة .

قال : ومما يذكرونه أن فاطمة عليها السلام نقضها على أبي بكر ومهر أوست
ألا يصلّي عليها ، وأن تدفن سرّاً معها ، فدفنت ليلاً ، وهذا كما ادّعوا رواية رَوَوْها
عن جعفر بن محمد عليهما السلام وغيره ، أن عمر ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط ،
وضرب الزبير بالسيف ، وأن عمر قصد منزله وفيه عليّ عليه السلام والزبير والمقداد وجماعة
ممن تحلف عن أبي بكر وهم محتشمون هناك ، فقال لها : ما أحدثَ بمدّ أبيك أحبّ إليّ منك ،
وايمُ الله لنّ اجتماع هؤلاء اسر عندك سحر فن عليهم ! فنفعت القوم من الاجتماع .

قال : ونحن لا نصدّق هذه الروايات ولا نحورّها . وأما أمر الصلاة فقد روى أن
أبا بكر هو الذي صلى على فاطمة عليها السلام ، وكبر عليها أرمّاً ، وهذا أحد ما استدللّ به
كثير من الفقهاء في التكبر على الميت ، ولا يصحّ أيضاً أنها دفنت ليلاً ، وإن صحّ ذلك
فقد دُفن رسولُ الله صلى الله عليه وآله ليلاً ، ودُفن عمرُ ابنه ليلاً ، وقد كان أصحابُ
رسول الله صلى الله عليه وآله يدهشون بالهزار ويدعنون بالليل ، فإلى هذا مما يظنّ ،
بل الأقرب في النساء أن دفنهنّ ليلاً أسنن وأولى بالسنة .

ثم حكى عن أبي عليّ مكذبة ما روى من الصرب بالسوط ؛ قال : والروى عن
جعفر بن محمد عليه السلام أنه كان يتولاها ، ويأتى القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على
رسول الله صلى الله عليه وآله ، روى ذلك عباد بن ضبيب ، وشعبة بن الحجاج ، ومهديّ
ابن هلال ، والدراورديّ ، وغيرهم ، وقد روى عن أبيه محمد بن عليّ عليه السلام
وعن عليّ بن الحسين مثل ذلك ، فكيف يصحّ ما ادّعوه ! وهل هذه الرواية إلا كروايتهم
على أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو إسرائيل والحسن ميكائيل والحسين جبرائيل
وفاطمة ملك الموت ، وآمة أمّ النبي صلى الله عليه وآله ليلة القدر ! فإن صدّقوا ذلك أيضاً
فيل لهم : فعمربن الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك الموت ! وإن قالوا : لا يصدق
ذلك ، فقد جؤدوا ردّ هذه الروايات ، وصحّ أنه لا يجوز التعويل على هذا الخبر

وإنما يتعلق بذلك مَنْ غَرَضَهُ الإلحاد كاللورق ، وابن الزاويدي ، لأنَّ غرضهم القدح في الإسلام .

وحكى عن أبي علي أنه قال : ولم يدار عصبها إن ثبت كانه عصب رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث قال : « من أعصبها فقد أعصى » ، أولى من أن يقال : فمن أعصب أبا بكر وعمر فقد نافق وطرق الدين ، لأنه روى عنه عليه السلام قال : « حثُّ أبي بكر وعمر إيمان ، وبغضهما نفاق » ! ومن يورد مثل هذا فقصده الطعن في الإسلام ، وأن يتوهم الناس أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله «فقوا مع مشاهده الأعلام ليضعفوا دلالة العلم في النفوس» .

قال : وأما حديث الإحراق فلم يصح فلم يكن طعنًا على عمر ، لأن له أن يهدد من امتنع من المباينة لإرادة للحلاف على المسلمين لكنه عبر ثبات . انتهى كلام قاضي القضاة (١) .

قال المروسي : نحن منتدي مدلل على أن فاطمة عليها السلام ما ادعت من محل هذك إلا ما كانت مصيبة فيه ، وأن عائشة ومطالها بالبيعة متمست ، عادل عن الصواب ، لأنها لا تحتاج إلى شهادة وبيبة ، ثم سقط على ما ذكره على التفصيل ، فتسلكم عليه .

أما الذي يدل على ما ذكرناه فهو أنها كانت معصومة من الغلط ، فأمونا منها فضل القبيح ، ومن هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه إلى شهادة وبيبة .

فإن قيل : دللوا على الأمرين ، قلنا : بيان الأول قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢) والآية تناول جماعة منهم فاطمة

(١) نقله المرتضى في الشافعي من ٢٣٤ ، ٢٣٥ . (٢) سورة الأحرار ٣٣ .

عليها السلام بما تواترت الأخبار في ذلك ، والإرادة هاهنا دلالة على وقوع الفعل للمراد .
 وأيضاً فيدلّ على ذلك قوله عليه السلام : « طمة بصة متى ، من آذاها فقد آدانى ،
 ومن آدانى فقد آذى الله عزّ وجلّ » ، وهذا يدلّ على عصمتها ؛ لأنها لو كانت ممن
 تغاف للدنوب لم يكن من يؤدبها مؤدباً له على كلّ حال ، بل كان متى فعل المستحقّ
 من دنوبها أو إقامة الحدّ عليها ، إن كلّ العمل يقتضيه سارّاً له ومطعماً ، على أن لا يحتاج
 أن ننته هذا الموضع على الدلالة على عصمتها ، بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها فيما
 ادّعت ، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين ، لأنّ أحداً لا يشكّ أنها لم تدّع ما ادّعت به
 كاذبة ، وليس بعد ألا تكون كاذبة إلّا أن تكون صادقة ؛ وإنما اختلفوا في هل يجب مع
 العلم بصدقها تسليم ما ادّعت به من بينة أم لا يجب ذلك ، قال : الذى يدلّ على انفصل الشاى
 أن البينة إنّما تراد لبيان ما اطلق صدق المدّعى ، ألا ترى أن العدالة معتبرة في الشهادات
 لما كانت مؤثّرة في عبّية الظنّ له ذكرناه ، ولهذا حارّ أن يحكم الحاكم بعلفه من غير شهادة
 لأنّ علفه أقوى من الشهادة ، ولهذا كان الإقرار أقوى من البينة ، من حيث كان أغلب
 في تأثير علّة الظنّ ، وإذا قدّم الإقرار على الشهادة لقوّة الظنّ عنده ، فأولى أن يُقدّم العلم
 على الجميع ، وإذا لم يحتجّ مع الإقرار إلى شهادة لسقوط حكم الصعيف مع القوى لا يحتاج
 أيضاً مع العلم إلى ما يؤثّر الظنّ من البيّات وشهادات .

والذى يدلّ على صحّة ما ذكرناه أيّ أنّه لا خلاف بين أهل النقل في أن أعرابياً
 نارع السبّ صلى الله عليه وآله في ناقة ، فقال عليه السلام : « هذه لى ؟ وقد خرجت إليك
 من غنمها » ، فقال الأعرابى : من يشهدك بذلك ؟ فقال حريمة بن ثابت : أما أنشهد بذلك ؟ فقال
 النبىّ صلى الله عليه وآله : « من أين علمت وما حضرت ذلك ؟ » قال : لا ، ولكن علمت
 ذلك من حيث علمت أنّك رسول الله ، هذا : « قد أحزّت شهادتك » ، وحملتُها شهادتين ؛
 فسُمّيَ ذا الشهادتين .

وهذه القصة شبيهة بقصة فاطمة عليها السلام ، لأن خزيمة اكتفى في العلم بأن النافذة له صلى الله عليه وآله ، وشهد بذلك من حيث علم أنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا يقول إلا حقا ، وأمضى النبي صلى الله عليه وآله ذلك من حيث لم يحضر الأبياع وتسليم الثمن ، فقد كان يحس على من علم أن فاطمة عليها السلام لا تقول إلا حقا ألا يستطهر عليها نطلب شهادة أو بيعة ؛ هذا وقد روى أن أبا بكر لما شهد أمير المؤمنين عليه السلام كتب بتسليم^(١) فذكر إليها ، فأعرض عمر فضيخته ، وخرق ما كتبه .

روى إبراهيم بن السعيد الثقفي ، عن إبراهيم بن ميمون ، قال : حدثنا عيسى بن عبد الله ابن عماد بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، عن أبيه ، عن حماد بن عمار عن علي عليه السلام ، قال : جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر وقالت ، إن أبي أعطاني فذلك ، وعلي وأُمّ أيمن يشهدان ، فقال : ما كنت لتقول على أميك إلا الحق قد أعطيتكِها ، ودعا بصحيفة من آدم فكتب لها فيها ، فخرحت فليت عمر ، فقال : من أين حثت يا فاطمة ؟ قالت : حثت من عند أبي بكر ، أحرثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فذلك ، وأن عليا وأُمّ أيمن يشهدان لي بذلك ، فأعطيتها ، وكتب لي^(٢) بها ؛ فأخذ عمر منها الكتاب ، ثم رجع إلى أبي بكر ، فقال : أعطيت فاطمة فذلك ، وكتبت بها لها ؟ قال : نعم ، فقال : إن عليا يحرث إلى معه ، وأُمّ أيمن امرأة ؛ ونص في الكتاب فحماه وخرقه .

وقد روى هذا المعنى من طرق مختلفة ، على وجوه مختلفة ، فمن أراد الوقوف عليها ، واستقصاها أخذها من مواضعها .

وليس لهم أن يقولوا : إنها أجبار آحاد ، لأنها وإن كانت كذلك ، فأقل أحوالها أن توح بالطن ، وتمسح من القطع على خلاف معانيها . وليس لهم أن يقولوا : كيف يسلم إليها

(١) ب : « سلم » ؛ والصواب ما أثبتته من « د وثي » . (٢) الثاني : « وكتبها لي » .

فَدَكَ وهو يروى عن الرسول أن ما خلفه صدقة ، وذلك لأنه لا تنافي بين الأمرين ، لأنه إنما سلمها على ما وردت به الرواية على سبيل التحل^(١) ، فلما وقعت المطالبة بالميراث روى الخبر في معنى الميراث ، فلا اختلاف بين الأمرين .

فَإِذَا إنكار صاحب الكتاب لكون ذلك في يدها ، فإرأيناه أَعْتَمَدَ في إنكار ذلك على حجة ، بل قال : لو كان ذلك في يدها لكان الظاهر أنها لها^(٢) . والأمر على ما قال ، فمن أين أنه لم يخرج عن يدها على وجه يقتضي الظاهر خلافه ! وقد رُوي من طرق مختلفة غير طريق أي سعيد الذي ذكره صاحب الكتاب أنه لما رُل قوله تعالى : ﴿ وَأَتِ دَا أَلْقُرَاقِ حَقَّهُ ﴾^(٣) دعا النبي صلى الله عليه وآله فطمعة عليها السلام فأعطاهما فذاك ! وإذا كل ذلك مرويًا فلا معنى لدفعه بغير حجة .

وقوله : لا خلاف أن العمل على الدعوى لا يجوز ، صحيح ، وقد بينا أن قولها كل معلوماً بحته ، وإنا نقول : بما يعمل على ذلك متى علم بحته بشهادة أو ما يجوز مجراها ، أو حصلت بينة أو إقرار ، فيقال له : إما علمت مشاهدة فلم يكن هناك ، وإما بينة فقد كانت على الحقيقة ، لأن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام من أكر الديات وأعدلها ، ولكن على مذهبك أنه لم تكن هناك بينة ، فمن أين رخصت أنه لم يكن هناك علم ! وإن لم يكن من مشاهدة فقد أدخلت ذلك في حجة الأقسام .

فإن قال : لأن قولها مجرد لا يكون حجة للمسلم ؛ قيل له : لم قلت ذلك ؟ أو ليس قد دللنا على أنها معصومة ، وأن الخطأ مأمورٌ عليها أنهم لو لم يكن كذلك لكان قولها في تلك القضية معلوماً بحته على كل حال ، لأنها لو لم تكن مصيبة لكانت مبطللة ماصية فيما ادعته ، إذ شبهة لا تدخل في مثله ؛ وقد أجمعت الأمة على أنها لم يظهر منها بعد

(١) إ. د. : « النحلة » . (٢) والثاني : « أنه » . (٣) سورة الإسراء ٢٦ .

رسول الله صلى الله عليه وآله معصية بلا شبهة وارتياح ؛ بل أجمعوا على أنها لم تدع إلا الصحيح ، وإن اختلفوا ؛ فمن قائل يقول : ما يمتها عظمى* ، وآخر يقول : هو أيضا مصيب ، لفقد البينة وإن علم صدقها .

وأما قوله : إنه لو حاكم غيره لطول دينه ، فقد تقدم في هذا المعنى ما يكفي ، وقصة حزيمة بن ثابت وقبول شهادته تطل هذا الكلام .

وأما قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام حاكم يهوديا على الوحه الواحد في سائر الناس ، فقد روي ذلك ، إلا أن أمير المؤمنين (١) لم يعمل من ذلك ما كان يجب عليه أن يعمل (٢) ، وإنما تبرع به ، وأستظهر بإقامة الحججة فيه ؛ وقد أخطأ من طأله دينه كائنا من كان . فإما اعتراضه بأن سلمة فلم يثبت من عصمته ما ثبت من عصمة منة عليها السلام ، فذلك احتاجت في دعواها إلى دية . فإما إنكاره وأدعاؤه أنه لم يثبت أن الشاهد في ذلك كان أمير المؤمنين ، فلم يرد في ذلك إلا مجرد الدعوى و [(٣) الإنكار ، والأخبار مستقيمة] بأنه عليه السلام شهد لها ، فدفع ذلك بالبرهان (٤) لا يمتها عظمى ! وقوله : إن الشاهد لها مولى رسول الله صلى الله عليه وآله هو المنكر الذي ليس بمعروف .

وأما قوله : إنها جورت أن يحكم أبو بكر « شاهد واليمين فذاريك » مع قوله : فيها بعد : « إن التركة صدقة ، ولا حصم فيها » ، فتدحر اليمين في مثلها ؛ أفترى أن فاطمة لم تكن تعلم من الشريعة هذا المبدأ الذي نه صاحب كتاب عيه ! ولولم تعلمه ما كان أمير المؤمنين عليه السلام وهو أعلم الناس بالشريعة يوافقها عليه .

وقوله : إنها جورت عند شهادة من شهد لها أن يتذكر عيرم فيشهد باطل ، لأن مثلها لا يقرض لأطمة والتهمة ، ويقرض قوله للرد ، وقد كان يجب أن تعلم من يشهد لها

(١ - ١) الثاني : « لم يعمل ذلك وهو واجب عليه » .

(٢) من الثاني . (٣) الثاني : « بإقراح » .

ممن لا يشهد حتى تكون دعواها على الوجه الذي يجب منه القبول والإمضاء ، ومن هو
دونها في الرتبة والحلالة والعتيانية من أفتاء الناس لا يتعرض لمثل هذه الخطوة ويتورطها ،
للتجوز الذي لا أصل له ولا أمل له عليه .

فأما إنكار أبي عليّ لأن يكون النخل قبل ادعاء اليراث وعكسه الأمر فيه ، فأقول
مافيه أنا لا نعرف له غرضاً صحيحاً في إنكار ذلك ، لأنّ كون أحد الأمرين قبل الآخر
لا يصحّ له مذهباً ؛ فلا يُفَسِّد على مخالفه مذهباً .

ثم إنّ الأمر في أنّ الكلام في النخل كان المتقدم ظاهراً ، والروايات كلّها به واردة ؛
وكيف يجوز أن تنبذ بطلب لليراث فيما تدعيه بيمينه نخلًا أو ليس هذا يوجب أن
تكون قد طالبت بحقها من وجه لا تستحقّه منه مع الاختيار ؛ وكيف يجوز ذلك واليراث
يُشْرَكُ فيها غيرها ، والنخل تنفرد به ؛ ولا ينقلب مثل ذلك علينا من حيث طالبت
باليراث بمدا النخل ؛ لأنّها في الابتداء طالبت بالنخل ، وهو الوجه الذي تستحقّ فذلك
منه ، فلما دُفِعت عنه طالبت ضرورةً باليراث ؛ لأنّ للمدّفع عن حقّه أن يتوصّل إلى تناوله
بكلّ وجه وسبب ، وهذا بخلاف قول أبي عليّ ، لأنّه أضاف إليها ادعاء الحقّ من وجه
لا تستحقّه منه ، وهي مختارة .

وأما إنكاره أن يكون عمر بن عبد العزيز ردّ فذلك على وجه النخل ، وادّعاؤه أنه فعل
في ذلك ما فعله عمر بن الخطاب من إقرارها في يد أمير المؤمنين عليه السلام ، ليصرف غلاتها
في وجوها ، فأقول مافيه أنا لا نحتجّ عليه بعمل عمر بن عبد العزيز على أيّ وجه وقع ، لأنّ
فعله ليس بحجّة ، ولو أردنا الاحتجاج بهذا الجنس من الحجج لذكرنا فعل المؤمنين ، فإنه
ردّ فذلك بعد أن جلس مجلساً مشهوراً حكم فيه بين خصمين نصيبهما ، أحدهما فاطمة ، والآخر
لأبي بكر ، وردّها بعد قيام الحجّة ووضوح الأمر .

ومع ذلك فإنه قد أنكر من فعل عمر بن عبد العزيز ما هو معروف مشهور بلا خلاف بين أهل النقل فيه ، وقد روى محمد بن زكريا التلّابي عن شيوخه ، عن أبي المقدم هشام ابن زياد مولى آل عثمان ، قال : لما وليّ عمر بن عبد العزيز ردّ فدك على ولد فاطمة ، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم يأمره بذلك ، فكتب إليه : إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان ، وآل فلان وفلان ، فلي من أرد منهم ؟ فكتب إليه : أما بعد ، فإنّي لو كتبت إليك أمرك أن تدع شاة لكتبت إلى : أجماء أم قرنا ،^(١) ؟ أو كتبت إليك أن تدع بقرة لسألتني : ما لوئها ؟ فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام ؛ والسلام .

قال أبو المقدم : فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز وطبوه فيه ، وقالوا له : هتت فعل الشيخين ، وخرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة ، فلما طبوه على فعله قال : إنكم حملتم وعدت ، ونسيت ودكوت ، إن أبا بكر محمد بن عمرو ابن حزم حدثني من أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « فاطمة بضعة مني يسخطها ما يسخطني ، ويؤذيها ما أرضاها » ، وإن فدك كان صافية على عهد أبي بكر وعمر ، ثم صار أمرها إلى مروان ، فوهبها لعبد العزيز أبي ، فورثها أنا وإخواني عنه ، فسألتهم أن يبيعوني حصّتهم منها ، فن بائع وواهب ، حتى استحصمت لي ، فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة . قالوا : فإن أبيت إلّا هذا فأمسك الأصل ، واقسم العلة ، ففعل .

وأما ما ذكره من ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدك لما أفضى الأمر إليه ؛ واستدلّاه بذلك على أنه لم يكن الشاهد فيها ، فلو جرح في تركه عليه السلام ردّ فدك هو الوجه في إقراره

(١) أجماء : للنساء ، والقرناء : ذات القرن .

أحكام القوم وكعه عن تقضها وتغييرها، وقد بينا ذلك فيما سبق، وذكرنا أنه كان في انتهاء الأمر إليه في بقية من التفتية قوية .

فأما استدلاله على أن حُجَرَ أزواج النبي صلى الله عليه وآله كانت لمن بقوله تعالى : ﴿ وَقرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾^(١)، فمن عجيب الاستدلال، لأن هذه الإضافة لا تقتضي الملك، بل العادة جارية فيها أن تستعمل من حمة السكنى، ولهذا يقال : هذا بيت فلان ومسكنه، ولا يراد بذلك الملك، وقد قال تعالى : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِأَحْسَنِ مَبِينَةٍ ﴾^(٢)، ولا شبهة في أنه تعالى أراد منازل الرجال التي يسكنون فيها زوجاتهم، ولم يُرد بهذه الإضافة للملك .

فأما ما رواه من أن رسول الله صلى الله عليه وآله قسم حُجَرَهُ على نسائه وبناته، فمن أين له إذا كان الخبر صحيحاً أن هذه القسمة على وجه التملك دون الإسكان والإزالة ولو كان قد ملكهن ذلك لوجب أن يكون ظاهراً مشهوراً .

فأما الوجه في ترك أمير المؤمنين لما صار الأمر إليه في يده منارعة الأزواج في هذه الحُجَر فهو ما تقدم وتكرر .

وأما قوله : إن أبا بكر هو الذي صلى على فاطمة وكبر أربعا، وإن كثيرا من الفقهاء يستدلون به في التكبير على الميت - وهو شيء ما مُصِحَّ إلا منه، وإن كان تلقاه عن غيرهم فمن يجرى مجراه في العصبية، وإلا فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسيرة حالية من ذلك، ولم يحتل أهل النقل في أن عليا عليه السلام هو الذي صلى على فاطمة، إلا رواية نادرة شاذة وردت بأن العباس رحمه الله صلى الله عليه وآله .

وروى الواقدي بإساده في تاريخه، عن الزهري؛ قال : سألت ابن عباس :

متى دفنتم فاطمة عليها السلام ؟ قال : دفناها بليل بعد هدأة ؛ قال : قلت : فمن صلى عليها ؟ قال : علي .

وروى الطبري عن الحارث بن أبي أسامة ، عن المدائني ، عن أبي زكريا العجلاني أن فاطمة عليها السلام نُحِل لها نعش قبل وفاتها ، فطُرت إليه ، فقالت : سترتموني سترَ كما الله !

قال أبو جعفر محمد بن جرير : وثبت في ذلك أنها زُيِّب ، لأن فاطمة دُفنت ليلا ، ولم يحضرها إلا علي والعباس والقناد والزبير .

وروى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه ، عن الزهري ؛ قال حدثني عروة بن الزبير أن عائشة أخرجته أن فاطمة^(١) ماتت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها علي ليلا ، وصلى عليها ، وذكر في كتابه هذا أن عليا والحسن والحسين عليهما السلام دفنوها ليلا ، وغيروا قبورها .

وروى سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن عبدة ، عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن فاطمة دُفنت ليلا .

وروى جدد الله بن أبي شيبه ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن معمر ، عن الزهري مثل ذلك .

وقال البلاذري في تاريخه : إن فاطمة سلبها السلام لم تُر متبسة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها .

والأمر في هذا أوضح وأشهر من أن يُطلب في الاستشهاد عليه ، وندكر الروايات فيه .

(١) الثاني : « فاطمة بنت رسول الله » .

فَمَا قَوْلُهُ : وَلَا يَصِحُّ أَنَّهَا دَفِنَتْ لَيْلًا وَإِنْ صَحَّ فَقَدْ دُفِنَ فَلَانٌ وَفَلَانٌ لَيْلًا ؛ فَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ دَفْنَهَا لَيْلًا فِي الْمَسْئَةِ أَظْهَرَ مِنَ الشَّمْسِ ، وَأَنَّ مُنْكَرَ ذَلِكَ كَالِدَفَاعِ لِلشَّاهِدَاتِ ، وَلَمْ يَحْمِلْ دَفْنَهَا لَيْلًا بِمَجْرَدِهِ هُوَ الْحُجَّةُ لِقَالَ : لَقَدْ دُفِنَ فَلَانٌ وَفَلَانٌ لَيْلًا ، بَلْ يَقَعُ الْاِحْتِجَاجُ بِذَلِكَ عَلَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ الْمُسْتَفِيزَةُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي هِيَ كَالْتَوَاتُرِ ؛ أَنَّهَا أَوْصَتْ بِأَنْ تَدْفَنَ لَيْلًا حَتَّى لَا يَصِلَ الرِّجَالُانَ عَلَيْهَا ، وَصَرَّحَتْ بِذَلِكَ وَعَهَدَتْ فِيهِ عَهْدًا بَعْدَ أَنْ كَانَا ^(١) اسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا فِي سَمَرَضِهَا لِيَمُودَاهَا ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْذَنَ لَهَا ، فَلَمَّا طَالَتْ عَلَيْهِمَا الْمُدَافَعَةُ رَعِيًّا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَهَا ، وَجَمَلَاهَا حُجَّةً إِلَيْهِ ، وَكَلَّمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ ، وَأَلْحَ عَلَيْهَا ، فَأَذِنَتْ لَهُ فِي الدُّخُولِ ، ثُمَّ أَعْرَضَتْ عَنْهُمَا عِنْدَ دُخُولِهَا وَلَمْ تَكَلِّمَهُمَا ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ صَدَقَتْ مَا أَرَدْتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَهَلْ أَنْتَ صَانِعٌ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَالَتْ : فَإِنِّي أَنُشَدُّكَ اللَّهَ أَلَّا يُصَلِّيَا عَلَى جِزَازَتِي ، وَلَا يَقْرَءَا عَلَى قَبْرِي !

وَرَوَى أَنَّهُ عَفَى قَبْرَهَا ^(٢) وَعَلَّمَ عَلَيْهِ ^(٣) ، وَرَشَّ أَرْبَعِينَ قَبْرًا فِي الْبَقِيعِ ، وَلَمْ يَرِشْ قَبْرَهَا حَتَّى لَا يُبْهَتَدَى إِلَيْهِ ، وَأَسْهَمَا عَاتِبَاءَ عَلَى تَرْكِ إِعْلَامِهِمَا بِشَأْنِهَا ، وَإِحْصَارِهَا الْمَسَلَّةَ عَلَيْهَا ، مِنْ هَاهُنَا احْتِجَاجُنَا بِالذَّفْنِ لَيْلًا ، وَلَوْ كَانَ لَيْسَ غَيْرُ الذَّفْنِ بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ وَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُجَّةٌ .

وَأَمَّا حِكَايَتُهُ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ إِسْكَارَ ضَرْبِ الرَّحْلِ لَهَا . وَقَوْلُهُ : إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَأَبَاءَ وَجَدَهُ كَانُوا يَتَوَلَّوْنَهُمَا ، فَكَيْفَ لَا يَنْكَرُ أَبُو عَلِيٍّ ذَلِكَ ، وَأَعْتَقَادَهُ فِيهِمَا اعْتِقَادَهُ ! وَقَدْ كُنَّا نَطْلُبُ أَنْ مَحَافِيزِنَا يَضْمَنُوا أَنْ يُسَبُّوا إِلَى أُمَّتِنَا الْكَفَّ عَنْ الْقَوْمِ ، وَالْإِمْسَاكِ ، وَمَا ظَنَّنَا أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَنْ يُسَبُّوا إِلَيْهِمُ الثَّنَاءُ وَالْوَلَاءُ ،

(١) ب : وَكَانَ . (٢ - ٣) ساقط من النسخ .

وقد علم كل أحد أن أصحاب هؤلاء السادة المحتضين بهم ، قد رووا عنهم ضد ما روى
شعبة بن الحجاج وفلان وفلان وقولهم : هم أول من طلعنا حقنا ، وحمل الناس على رقابنا ،
وقولهم : أنهما أصليا يانائنا ، وأصطحبنا بسبيلنا ، وجلسا مجلسا نحن أحق به منهما ،
إلى غير ذلك من فنون التطلم والشكاية ، وهو طويل منسج ، ومن أراد استقصاء ذلك
فلينظر في كتاب « المعرفة » لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الشافعي ، فإنه قد ذكر عن
« جل من أهل البيت بالأسايد النيرة ما لا زيادة عليه ، ثم توسع ما ذكره شعبة طارا أن
يحمل على التقية .

وأما ذكره إسماعيل وميكائيل ؛ فما كتبنا نظرنا أن مثله يذكر ذلك ، وهذا من أقوال
الغلاة الذين ضلوا في أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت ، وليسوا من الشيعة ولا من
المسلمين ، فأى عيب عليها فيما يقولونه ! ثم إن جماعة من مخالفيها قد عللوا في أنى نكر وعمر ،
ورواوا روايات مختلفة فيهما تحمى عمرى ما ذكره في الشناعة ، ولا يلزم العقلاء ودوى
الألباب من المخالفين عيب من ذلك .

وأما مبارزة ما روى في طاعة عبيد السلام بما روى في : « أن حبهما إيمان ،
وبفضهما نفاق » ، فالجواب الذى روياء لجمع عبيد ، والخبر الآخر مطعون فيه ، فكيف
يمارض ذلك بهذا !

وأما قوله : إنما قصد من يورد هذه الأخبار تصديق دلالة الأعلام في المعوس ، من
حيث أضاف النفاق إلى من شاهدها ؛ فتشيع في غير موضعه ، وأستناد إلى ما لا يجرى
نقا ، لأن من شاهد الأعلام لا يصممها ولا يوهن دليلها . ولا يصدق في كونها حجة ، لأن
الأعلام ليست ملحقة إلى العلم ، ولا موحدة لحصوله على كل حال ، وإنما تشر العلم لمن آمن
النظر فيها من الوجه الذى تدل منه ، فمن عدل عن ذلك لسوء اختياره لا يكون

عدولهُ مؤثراً في دلالتها ، فكم قد عدل من الغلاء وخوى الأحلام الراجعة والألباب الصحيحة عن تأمل هذه الأعلام وإصابة الحق منها ! ولم يكن ذلك عندنا وعند صاحب الكتاب قادماً في دلالة الأعلام . على أن هذا القول يُوجب أن ينشأ الشك والتناقض عن كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وعاصره وشاهد أعلامه كآبي سفيان وابنه ، وعمرو ابن العاص ، وفلان وفلان ؛ ممن قد اشتهر بمواقفهم وظهر شكهم في الدين ولوتياهم باتفاق بيننا وبينه ؛ وإن كانت إضافة التناقض إلى هؤلاء لا تندح في دلالة الأعلام ، فكذلك القول في غيرهم .

فأما قوله : إن حديث الإحراق لم يصح ، ولو صح لساغ لعمر مثل ذلك ؛ فقد بينا أن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة .

وقوله : إنه يسوغ مثل ذلك ؛ فسكيف يسوغ إحراق بيت علي وفاطمة عليهما السلام ! وهل في ذلك عذر يصنى إليه أو يسمع ! وإنما يكون علي وأصحابه خارقين للإجماع ومخالفين للمسلمين ؛ لو كان الإجماع قد تقرر وثبت ، وليس بمتقرر ولا ثابت مع خلاف علي وحده ، فضلاً عن أن يوافقه على ذلك غيره . وبعد ، فلا فرق بين أن يُهدد بالإحراق لهذه الملة ، وبين أن يضرب فاطمة عليها السلام لمثلها ؛ فإن إحراق النازل أعظم من ضرب سوط أو سيطين ؛ فلا وجه لامتناع المخالف من حديث الضرب إذا كان عنده مثل هذا الاعتذار (١) !

قلت : أما الكلام في عصمة فاطمة عليها السلام فهو بمنزلة الكلام أشبه ، وللقول فيه موضع غير هذا .

وأما قول المرتضى : إذا كانت صادقة لم يبق حاجة إلى من يشهد لها ؛ فلنائل أن

يقول : لم قلت ذلك ؟ ولم زعمت أن الحاجة إلى الديانة إنما كانت لزيادة غلبة الظن ؟ ولم لا يجوز أن يكون الله تعالى يُعَدُّ بالبيئة لصحة يعلمها ؛ وإن كان المذبح لا يكذب ! أليس قد تعبد الله تعالى بالعدة و المعجوز التي قد أيسر من الحمل ؛ وإن كان أصل وضعها لاستبراء الرحم !

وأما قصة خزيمة بن ثات ؛ فيجوز أن يكون الله تعالى قد علم أن مصلحة المكلفين في تلك الصورة أن يكتفى بدعوى النبي صلى الله عليه وآله وحدها ؛ ويستغنى فيها عن الشهادة . ولا يمتنع أن يكون غير تلك الصورة محالاً لها ، وإن كان المذبح لا يكذب . ويبين ذلك أن مذهب المرتضى جواز ظهور حوارق العادات على أيدي الأئمة والصالحين ؛ ولو قدرنا أن واحداً من أهل الصلاح والخير ادعى دعوى ، وقال محصرة حسنة من الناس من حملهم القاضي : اللهم إن كنت صادقاً فأظهر عليّ معجزاً (حركة للمادة ؛ فظهرت عليه ، لعلنا أنه صادق ؛ ومع ذلك لا تقبل دعواه إلا بيينة .

وسألت على بن انصار مدرس المدرسة العربية بغداد ، فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم ، قلت : هم لم يدفع إليها أبو بكر فذلك وهي عنده صادقة ؟ فتسهم ، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسن مع ناموسه وحرمة وقلة دعائه ، قال : لو أعطاه اليوم فذلك بمجرّد دعواها لحامت إليه عداءً وادعت لروحها خلافة ، ودرجته عن مقامه ، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء ؛ لأنه يكون قد أسحل على نفسه أنها صادقة فيها تدعى كأننا ما كان من غير حاجة إلى بيينة ولا شهود ؛ وهذا كلام صحيح ؛ وإن كان أخرجه مخرج الدُّعابة والمزول .

فأما قول قاضي القضاة : لو كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها ، واعتراض المرتضى عليه بقوله : إنه لم يعتمد في إسكار ذلك على حجة ، بل قال : لو كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها ، والأمر على ما قال ؛ فمن أين أنها لم تخرج عن يدها على وجه ! كما أن الظاهر

يقتضى خلافه ؛ فإنه لم يُجِبْ عما ذكره قاضي القضاة ؛ لأن معنى قوله : إنها لو كانت في يدها ، أي متصرفاً فيها لكانت اليد حجة في الملكية ؛ لأن اليد والتصرف حجة لا محالة ، ولو كانت في يدها تتصرف فيها وفي ارتفاقها كما يتصرف الناس في ضياعهم وأموالهم لما احتاجت إلى الاحتجاج بآية الميراث ولا يدعوى النحل ؛ لأن اليد حجة ، فهلا قالت لأبي بكر : هذه الأرض في يدي ؛ ولا يجوز انتزاعها مني إلا بحجة ١ . وحيث كان يسقط احتياج أبي بكر بقوله : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » ، لأنها ما تكون قد أدعناها ميراثاً ليحتاج عليها بالخبر . وجرى أبي سعيد في قوله « فأعطها فذلك » ، يدل على الهبة لا على القبض والتصرف ؛ ولأنه يقال : أعطاني فلان كذا لم أقبضه ، ولو كان الإعطاء هو القبض والتصرف لكان هذا الكلام متناقضاً .

فأما معجب الرضوي من قول أبي علي : إن دعوى الإرث كانت متقدمة على دعوى النحل ، وقوله : إنا لا نعرف له غرضاً في ذلك ، فإنه لا يصح له بذلك مذهب ، ولا يبطل على مخالفته مذهب ؛ فإن المرتضى لم يقبل على مراد الشيخ أبي علي في ذلك ؛ وهذا شيء يرجع إلى أصول الفقه ، فإن أصحابنا استدلو على حوار تخصيص الكتاب بحبر الواحد بإجماع الصحابة ، لأنهم أجمعوا على تخصيص لوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ (١) برواية أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وآله : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » ؛ قالوا : والصحيح في الخبر أن فاطمة عليها السلام ضابت بعد ذلك بالنحل لا بالميراث ، فلماذا قال الشيخ أبو علي : إن دعوى الميراث تقدمت على دعوى النحل ، وذلك لأنه ثبت أن فاطمة انصرفت عن ذلك المجلس غير راضية ولا موافقة لأبي بكر ؛ فلو كانت دعوى الإرث متأخرة ، وانصرفت عن سخط لم يثبت الإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد ؛ أما إذا كانت دعوى الإرث متقدمة فلما روى لها الخبر أمكت وانتقلت إلى الرابع من جهة أخرى ، فإنه يصح حينئذ الاستدلال بالإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد .

فأما أنا فإن الأخبار عندي متعارضة ، يدل بعضها على أن دعوى الإرث متأخرة ، ويدل بعضها على أنها متقدمة ؛ وأنا في هذا لموضع متوقف .

وما ذكره المرتضى من أن الحال تقتضي أن تكون البداية بدعوى النخل فصحيح ، وأما إحقاق القبر وكنان الموت وعدم الصلاة وكل ما ذكره المرتضى فيه فهو الذي يظهر ويقوى عندي ، لأن الروايات به أكثر وأصح من غيرها ، وكذلك القول في موجدتها وغضبها ، فأما المنقول عن رجال أهل البيت فإنه يختلف ، فتارة وتارة ، وعلى كل حال فيل أهل البيت إلى ما فيه بصرة أبيهم وبيتهم .

وقد أحل قاضي القضاة بامطة حكاه عن الشيعة فلم يتكلم عليها وهي لفظة حيدة . قال : قد كل الأهل أن يمنهم التكرم مما ارتكبا منها فصلا عن الدين . وهذا الكلام لا جواب عنه ، ولقد كل التكرم ورعاية حق رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ عهده يقتضي أن نعوض الله شيء برضيها إن لم يستنزل المسلمون عن فذلك وتسلم إليها تطيماً لقلها . وقد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاوراة المسلمين إذا رأى المصلحة فيه ، وقد بعد المهد الآن يسا وبيهم ، ولا تعلم جميعه ما كان ، وإلى الله ترجع الأمور .

الأصل :

وَلَوْ شِئْتُ لَأَهْدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مَحَمَّى هَذَا الْمَسَلِ ، وَلَكِنْ هَذَا الْقَمَحُ ، وَكَسَارُجِرْ هَذَا الْقَرْ ، وَلَكِنْ هَيْمَاتَ أَنْ يَفِيَسِي هَوَايَ ، وَبِقُودِي حَشِي إِلَى تَحْيَرِ الْأَطْعِمَةِ - وَلَمَلَّ بِالْحَجَارِ أَوْ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ، وَلَا مَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ - أَوْ أَيْتَ مِطْطَانًا وَحَوْلِي نَطُونُ عَمَرَتِي ، وَأَكْدَّ حَرَّتِي ، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْفَائِلُ : وَحَسْبُكَ عَرًّا أَنْ تَبِيَتْ بِبَطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحِينُ إِلَى الْقِدِّ

أَفْتَحُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ
الدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونُ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ النَّمِيشِ ! فَمَا حُلِفْتُ لِيَسْقِلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ ،
كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ ؛ هَمَّهَا عَفْهَا ، أَوْ الْمُرْسَلَةِ ؛ شَفْهُهَا تَمَعُّهَا ، تَكَثَّرَ شُ مِنْ
أَغْلَافِهَا ، وَتَلَهَّوْا بِهَا بِرَادِئِهَا ، أَوْ أَتَرَكَ سُدًى ، أَوْ أَهْمَلْتُ عَاقِبَتَهَا ، أَوْ أَجَرْتُ حَتْلَ
الصَّلَالَةِ ، أَوْ أَغْنَيْفَ طَرِيقِ الْمَتَاهَةِ !

الْبَيْزُجُ :

قد روى : « ولو شئت لاهتدت إلى هذا العمل المسمى ، ولئب هذا البرّ المسمى ؛
فضربت هذا بذاك ؛ حتى يصبح وفودا ، ويستحکم معقودا » .
وروى : « ولعل بالمدينة بيتا ربنا متصور سمياً ، أليست مطامناً ، وحولى بطون عرقى ،
إذن يحضرني يوم القيامة ، وهم من ذكر وأنتى » .
وروى : « بطون عرقى » بإضافة « بطون » إلى « عرقى » .
والقمح : الحنطة .

والجشع : أشدّ الحرص .

والبطان : الذى لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل . فأما المعص : ولصام البطن ؛
وأما البطن ، فالعظيم البطن لا من الأكل ؛ وأما البطن ، فهو الذى لا يهتم إلا بطنه ؛
وأما البطون فالمليل البطن . ويطون عرقى : حائمة ، والبطنة : السكطة ؛ وذلك أن يمتلئ
الإنسان من الطعام امتلاءً شديداً ، وكان يقال : يقبى للإنسان أن يجمل وماء بطنه أثلاثاً ؛
فتلث للطعام ، وتلث للشراب ، وتلث للنفس .

والتقمم : أكل الشاة ما بين يديها عنقها أي بشفتها ؛ وكل ذي ظلف كالثور وغيره فهو ذو مقمة .

وتكثرش من أعلافها : غلا كرشه من العلف .

قوله : « أو أجرّ جبل الضلالة » منصوب بالعطف على « بشعلني » ، وكذلك « أترك » ويقال : أجررته رسته ، إذا أهملته .

والاعتساف : السلوك في غير طريق واضح .

والمناهة : الأرض يتاء فيها أي يتحير .

وفي قوله : « لو شئت لا هتديت » شبهة من قول عمر : لو شاء للأنا هذه الرّحط من صلائق وميناب ؛ وقد ذكرناه فيما تقدم .

وهذا البيت من أبيات مسبوقة إلى حاتم بن عبد الله الطائي الحوادي ، وأولها :

أيا اسة عبس الله وابنة مدلي	ويا اسة ذي الحدين والفرس الوردي ^(١)
إذا ما صنعت الزاد فالتقي له	أكيلا فإني لست آكله وحدي
قصيا بميدا أو قريبا فإني	أحب مذمت الأحاديث من بمدي ^(٢)
كفى بك عارا أن تبيت ببطمة	وحولك أكاد نحس إلى القدي ^(٣)
وإني لعبد الصيف ما دام مارلا	وما من جلالي غيرها شيمة العبد

(١) ديوان الحماسة بشرح الرزوقي ٤ : ١٩٦٨ .

(٢) الحماسة :

* أحأ طارقاً أو جاري بيت فإني *

(٣) لم يرد في رواية الحماسة .

الأصل :

وَكَاثِي بِقَائِدِكُمْ يَقُولُ : إِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ
الضَّعْفُ مَنِ قِتَالِ الْأَعْرَانِ ، وَمُنَاذَلَةِ الشُّجَمَانِ . أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ ^(١) الْبَرِّيَّةَ
أَصْلَبُ عُودًا ، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرْقَى حُلُودًا ، وَالنَّائِبَاتِ الْعِذِيَّةَ أَقْوَى وَقُودًا ،
وَأَبْطَأَ خُودًا .

وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضُّوءِ مِنَ الضُّوءِ ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْمَعْدِنِ ؛ وَاللَّهُ لَوْ تَطَاهَرَتْ
الْعَرَبُ عَلَى فِتْنَالِي لَمَّا وَلَيْتُ عَمَّا ، وَلَوْ أَمْسَكْتَ الْفَرَسَ ^(٢) مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعَتْ إِلَيْهَا ،
وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أَطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخِصِ الْمَعْكُوسِ ، وَالْجِسْمِ الْيَمْرُكُوسِ ،
حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْعَصِيدِ .



الشرح :

الشَّجَرَةُ الْبَرِّيَّةُ : التي تنبت في البرِّ الذي لا ماء فيه ، فهي أصْلَبُ عُودًا مِنَ الشَّجَرَةِ
التي تنبت في الأرض السَّيِّئَةِ ، وإليه وقعت الإشارة بقوله : « وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرْقَى
حُلُودًا » .

ثم قال : « وَالنَّائِبَاتِ الْعِذِيَّةِ » التي نبت عِذْيًا ، وَالْعِذْيُ ، بسكون الدال : الزرع
لا يستقيه إِلَّا ماء المطر ، وهو يكون أقلَّ أَحَدًا مِنَ الْمَاءِ مِنَ الْمَاءِ السَّافِي ، قال عليه السلام :
إِنَّهَا تَكُونُ أَقْوَى وَقُودًا مِمَّا يَشْرَبُ الْمَاءُ السَّامِحُ أَوْ الْمَاءُ النَّاصِحُ ، وَأَبْطَأَ خُودًا ؛ وذلك
لصلابة جِذْمِهَا .

ثم قال : « وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَالضُّوءِ مِنَ الضُّوءِ ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْمَعْدِنِ » ؟

(١) في د : الزرة . (٢) في د : والمرامح .

(٣) في أ ، د : القرمصة .

وذلك لأن الضوء الأول يكون علة في الضوء الثاني، ألا ترى أن الهواء المقابل للشمس يصير مضيئا من الشمس ! فهذا الضوء هو الضوء الأول .

ثم إنه يقابل وجه الأرض فيضيه وجه الأرض منه ، فالضوء الذي على وجه الأرض هو الضوء الثاني ، وما دام الضوء الأول ضعيفا فالضوء الثاني ضعيف ؛ فإذا ازداد الجو إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة ، لأن العلول يتبع العلة ، فشبّه عليه اسلام نفسه بالضوء الثاني ، وشبّه رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء الأول ، وشبّه منبع الأنوار سبحانه وحلت أسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الأول ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثاني . وما هنا مكتة ، وهي أن الضوء الثاني يكون أيضا علة لضوء ثالث ؛ وذلك أن الضوء الحاصل على وجه الأرض - وهو الضوء الثاني - إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريبا منه مكان مظلم ، فإن ذلك المكان يصير مضيئا بعد أن كان مظلم ، وإن كان لذلك المكان المظلم باب ، وكان داخل البيت يقابل ذلك الباب حدار كان ذلك الحدار أشد إضاءة من باقي البيت ، ثم ذلك الحدار إن كان مظلم يوجب إلى موضع آخر كان ما يحاذي ذلك البيت أشد إضاءة مما حواليه ، وهكذا لا تزال الأصواء^(١) يوجب بعضها بعضا على وجه الانعكاس بطريق المليّة ، وبشرط المقابلة ، ولا تزال تصف درجة درجة إلى أن تصمحل ويعود الأمر إلى الظلمة ؛ وهكذا عالم العلوم ؛ ولحكم النجوة من أمير المؤمنين عليه السلام لا تزال تصف كما انتقلت من قوم إلى قوم إلى أن يعود الإسلام عربيا كما بدأ بموجب الخبر النبوي الوارد في الصحاح .

وأما قوله : « والذراع من العضد » فلاّن الذراع مروع على العضد ، والعضد أصل ، ألا ترى أنه لا يمكن أن يكون ذراع إلا إذا كان عضد ، ويمكن أن يكون عضد لا ذراع له ، ولهذا قلّ الراجز لولته :

يا بَكْرَ بَكْرَيْنِ يَا خَلْبَ الْكَبْدِ أصبحت متى كذراع من عَصْدِ

(١) كذا في « د » ، « ١ » ، « ب » : « لا يزال الضوء » .

فشيبه عليه السلام بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالذراع الذي العضد أصله وأسنه والمراد من هذا التشبيه الإيابة عن شدة الامتزاج والاتحاد والقرب بينهما ؛ فإن الصوء الثاني شبيه بالصوء الأول ، والذراع متصل بمصدر اتصالاً بتياب ؛ وهذه البرلة قد أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وآله في مقامات كثيرة نحو قوله في قصة براءة : « قد أمرت أن لا يؤذى عني إلا أنا أو رجل مني » ، وقوله : « لتنهين يا بني ووليعة ، أو لأبشن إليكم رجلاً مني » ، أو قال : « عبدل نفسي » ، وقد سماه الكتاب العزيز « نفسه » فقال : ﴿ وَيسَاءَ ناصيَاكُمْ وَأَناُ نَفْسُكُمْ ﴾ ^(١) ، وقد قال له : « ملكت عتلت بلحمي ، ودمك مسوط بدي ، وشرك وشبري واحد » .

فإن قلت : أما قوله : « لو تظاهرت العرب على لما وليت عنها » ، فالدوم ، فإلا الفائدة في قوله : « ولو أمكت الفرسة من رقابها لاسرعت ^(٢) إليها » ؟ وهل هذا مما يخبر به الرؤساء ويمدونه متقية ؛ وإنما المقبة أن لو أمكت الفرسة تحلوز وعما !

قلت : عرضه أن يقرّر في نفوس أصحابه وهبهم من العرب أنه يحارب على حق ، وأن حربه لأهل الشام كالحهاد أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن من يجاهد الكفار يحب عليه أن يُغليظ عليهم ، ويستأصل شاتمهم ، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما حاد مني قريظة وطير لم يبق ولم يبق ، وحصد في يوم واحد رقاب ألف أسان صبراً في مقام واحد ، لما علم في ذلك من إمرار الدين وإدلال المشركين ، فالغزو له مقام والانتقام له مقام .

قوله : « وسأجهد في أن أظهر الأرض » ، الإشارة في هذا إلى معاوية ، سماء شخصاً معكوساً ، وحسباً معكوساً ، والمراد انعكاس عقيدته ، وأنها ليست عقيدة هدى ، بل هي معاكسة للحق والصواب ، وسماء معكوساً من قولهم : ارتكس في الضلال ، والركس

ردّ الشيء مقلوباً ، قال تعالى : ﴿ وَاقْلَبْ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ^(١) أى قلبهم وردّهم إلى كفرهم ، فلما كان تاركاً للمعطوة التى كلّ مولود يؤكدها عليها ، كان مرتكساً فى ضلاله ، وأصحاب التناسخ يفسّرون هذا بتفسير آخر ، قالوا : الحيوان على ضريين : منتصب ومنحنٍ ، فالمنتصب الإنسان ، والمنحنى ما كان رأسه منكوساً إلى جهة الأرض كالبهائم والسباع .

قالوا : وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢) .

قالوا : فأصحاب الشقاوة تنتقل أنفسهم عند الموت إلى الحيوان المكبّوب ، وأصحاب السعادة تنتقل أنفسهم إلى الحيوان المنتصب ، ولما كان معاوية عنده عليه السلام من أهل الشقاوة ، ساء منكوساً ومركوساً رماه إلى هذا المصير .

قوله : « حتى تخرج للدرة من بين حبّ الخصيد » ، أى حتى يتطهر الدين وأهله منه وذلك لأنّ الرّزّاع يحتهدون فى إخراج الدّرة والحجر والشوك والقوْشع ونحو ذلك من بين الرّرع كي تفسد منابته . فليسد الحبّ الذى يخرج منه ، فشبّه معاوية بالمدّر ومحوه من مُفسِدات الحبّ ، وشبّه الدّين بالحبّ الذى هو ثمرة الرّرع .

البسّنج :

ومن هذا الكتاب وهو آخره :

إِلَيْكَ عَتَى يَا دُنْيَا ، فَحَنَنْكَ عَلَى غَارِيكِ ، قَدْ انْسَلَّتْ مِنْ حَاوِيكِ ، وَأَفَلَتْ مِنْ حَبَائِكَ ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَائِحِكَ

أَيُّنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَزْتَهُمْ بِمَدَائِكِ اِ اُفْنِ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِزَخَارِفِكَ اِ
فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ ، وَمَضَامِينُ الْمُتَحُودِ .

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ شَخْصًا مَرْتِيًا ، وَقَالَبًا حَسِيًّا ، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ
غَرَزْتَهُمْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَأَمَرِ الْقَيْتِيهِمْ فِي الْمَهَاوِي ، وَمُلُوكِ أَسْلَمَتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ ،
وَأُورِدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ ، إِذْ لَا يَرُدُّ وَلَا مَدَرَا

هَيْمَاتَا اِ مَنْ وَطِئَ دَحْصَكَ زَلَقًا ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكَ غَرَقًا ، وَمَنْ أَزُورَ
عَنْ حَبَائِكَ وَفَقَّ ، وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يُبَالِي بِإِنْ شَاقَّ بِهِ مُنَآخُهُ ، وَالْأُنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ
حَنَ أَنْسِلَاحُهُ .



الْبَيْتُخ :

إِلَيْكَ عَنِّي ، أَيُّ اِبْعْدِي . وَحَبْلُكَ عَلَى غَرْبِكَ ، كِتَابَةٌ مِّنْ كُنَايَاتِ الْعَلَّاقِ ، أَيُّ اِذْهَبِي
حَيْثُ شِئْتَ ، لِأَنَّ النَّاقَةَ إِذَا أَتَى حَبْلُهَا عَلَى ظَرْبِهَا فَتَدْمِغُ لَهَا أَنْ تَرعى حَيْثُ شَاءَتْ ،
وَتَذْهَبُ أَيْنَ شَاءَتْ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَرُدُّهَا زَمَلُهَا ، فَوَإِذَا أَتَى حَبْلُهَا عَلَى ظَرْبِهَا فَتَقْدِرُ لَهَا هَلَتْ .

وَالنَّارِبُ : مَا بَيْنَ السَّنَامِ وَالْمُسْقِ . وَالْمِدَاحِضُ : الْمَرَاقِ .

وَقِيلَ : إِنْ فِي النُّسْخَةِ الَّتِي بِحَطِّ الرُّضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « غَرَزْتَهُمْ » بِالْيَاءِ ، وَكَذَلِكَ
« فَتَنْتَهُمْ » ، وَ « الْقَيْتِيهِمْ » ، وَ « أَسْلَمَتِهِمْ » ، وَ « أُورِدْتَهُمْ » ، وَالْأَحْسَنُ حَذْفُ الْيَاءِ ،
وَإِذَا كَانَتِ الرُّوَايَةُ وَرَدَتْ بِهَا فَعِيَ مِنْ إِشْبَاعِ الْكُسْرَةِ كَقَوْلِهِ :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَبَاءُ تَسْمِي بِمَا فَعَلْتَ لَبُونُ بَنِي زَيْدٍ

وَمَضَامِينُ الْمُتَحُودِ ، أَيُّ الَّذِينَ تَصَمَّنْتَهُمْ ، وَفِي الْحَدِيثِ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْمَضَامِينِ وَالْمَلَاغِيحِ ،
وَمِمَّا فِي أَصْلَابِ الْمُتَحُولِ وَبَطُونِ الْإِنَاثِ .

ثم قال : لو كنت أيتها الدنيا إساء محوسا ، كلواحد من البشر ، لأقت عليك الحدة كما فعلت بالناس .

ثم شرح أفعالها فقال : منهم من عررت ، ومنهم من ألقيت في مهاوى الضلال والكفر ، ومنهم من أتلفت وأهلكت .

ثم قال : ومن وطئ دحضك زلق ، مكان دحض أى مرقة .

ثم قال : لا يبالى من سلم منك بن ضاق مساه ، لا يبالى بالفقر ، ولا بالمرض ولا بالجوس والسجون وغير ذلك من أنواع المحن ! لأن هذا كله حقير لا اعتداد به في جنب السلامة من فتنة الدنيا .

قال : والدنيا عند من قد سلم منها كيوم قرب انتصاؤه وفناؤه .



الأصل :

أفرجى هلى أفرالله لا أذل لك فتستدلىنى ، ولا أسلس لك فتقودينى . وإيم الله
يحيى أستثنى فيها بمشيئة الله ، لأروى منى رباحة تهش منى إلى القرض إذا
قدرت عليه مظلوما ، وتقع بالملح مادوما ؛ ولأدعن مقلتى كمين ماء تصب ميعنها ،
مستقرغة دموعها . أتملى السائمة من رغبها فتدرك ، وتنبع الربيعة من حبها
فتريض ، وبأكل على من زاد فيمجع !

قرت إذا عينه إذا اقتدى بمد اسين المتطاوله بالسيمه المائلة ، والسائمة

المروية !

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضاها ، وهركت يحنها بؤسا ، وهجرت في

الليل فمضها ، حتى إذا غلب السكرى عليها افتترشت أرضها ، وتوسدت كعها .
 في معشر أشهر هيوتهم خوف معادهم ، وتنجافت عن مضاحيهم جنوبهم ،
 وهممت بذكري ربهم شياهم ، وقشمت بطول استغفارهم ذنوبهم ، ﴿ أولئك
 حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .
 فاتق الله يا بن حبيب ولتكنم أفراسك ؛ ليسكون من النار خلاصك .

السنج :

اعزى : ابدى ، يقال عزب الرجل بالفتح ، أى بقد . ولا أسلس لك بفتح اللام ، أى
 لا أمقاد لك ، سلس الرجل بالكسر يسلس فهو يسلس ، أى سهل قياده .
 ثم حلب ، واستثنى بالشيئة أدبا كما أدب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله
 ليروضه فله أى يدرتها بالحول ، والجورج هو أصل الرياضة عند الحكماء
 وأرباب الطريقة .

قال : « حتى أهش إلى القرص » ، أى إلى الرعب وأمع من الإدام بالملح .
 وضب معيها : فنى ملؤها .

ثم أسكر على نفسه فقال : أتشبع السائمة من رغيها - بكسر الزاء ، وهو الكلاء -
 والريصة - جماعة من الغنم أو البقر تربى و أما كنها . وأنا أيضا مثلها أشبع وأنام !
 لقد قرت عيني إذا حيث ^(١) أشابه البهائم بعد الجهاد والسبق والعبادة والعم والحد في
 السنين المتطاولة .

قوله : « وعركت بجنتها بؤسها » ، أى صبرت على بؤسها ، والمشقة التى تنالها . يقال :
 قد عرك فلان بجسه الأذى أى أغضى عنه ، وصبر عليه .

(١) في دواد .

قوله : « اقترشت أرضها » أى لم يكن لها فراش إلا الأرض .

« وتوسدت كفها » ، لم يكن لها وسادة إلا الكف .

« وتجاافت عن مضاجعهم جنوبهم » لفظ الكتاب العزيز « تَجَافَى جُنُوبُهُمْ » من المضاجع ^(١) .

ومهمت : نكمت كلاما خفيا .

وتقشمت ذنوبهم : زالت وذهبت كما يتقشع السحاب .

قوله : « وتسكف أفراسك » ، إنما هو نعت لابن حنيف أن يكف عن الأفراس ،

وإن كان اللفظ يقتضى أن تسكف الأفراس عن ابن حنيف . وقد رواها قوم بالنصب ،

قالوا : « فأتى الله يا ابن حنيف وتسكف أفراسك » ، ترجوها من النار خلاصك » ، والتاء

ها هنا للأمر عوض الياء ، وهى لغة لا بأس بها ، وقد قيل : إن رسول الله صلى الله عليه

وآله قرأ : « فبذلك فلتفرحوا » ^(٢) ، بالتاء .



مركز تحقيقات كتابی ویراثی

تم الجزء السادس عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

ويليه الجزء السابع عشر

فهرس الخطب *

- ٢٩ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة ٣
- ٣٠ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٦
- ٣١ - من وصية له عليه السلام للحسن ابنه ، كتبها إليه بمغازين عند
الفرار من صفين ٩ - ١٣٢
- ٣٢ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٣٢
- ٣٣ - من كتاب له عليه السلام إلى قم بن العباس وهو عامله على مكة ١٣٨
- ٣٤ - من كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من
عزله بالأشتر على مصر ١٤٢
- ٣٥ - من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد
ابن أبي بكر ١٤٥
- ٣٦ - من كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر
جيش ألقاه إلى بعض الأعداء ١٤٨
- ٣٧ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٥٣
- ٣٨ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر ١٥٦
- ٣٩ - من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص ١٦٠
- ٤٠ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ١٦٤
- ٤١ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله أيضا ١٦٧
- ٤٢ - من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة الخزومي ١٧٣

- ٤٣ - من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وكان
عامله على أردشير خروءة
١٧٥
- ٤٤ - من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أن معاوية
كتب إليه يريد خديمته واستلحاقه
١٧٧
- ٤٥ - من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة
٢٩٥-٢٠٥



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

فهرس الموضوعات *

٥٢- ٩	ترجة الحسن بن على وذكر بعض أخباره
٥٦، ٥٥	بعض ما قيل من الشر في الدهر وفله بالإنسان
٩٣- ٢١	أقوال حكيمة في وصف الدنيا وفناء الخلق
١٢٨، ١٢٧	بعض ما قيل من الشر في القبرة
١٣٠، ١٢٩	اعتزاز الفرزدق بقومه
١٣١، ١٣٠	وفود الوليد بن جابر على معاوية
١٣٢	ذكر بعض ما دار بين على ومعاوية من الكتب
١٤١، ١٤٠	ثم بن المباس وبعض أخباره
١٤٣، ١٤٢	محمد بن أبي بكر وبعض أخباره
١٧٤	اختلاف الرأي حول كتاب كتبه على إلى بعض عماله
١٧٤، ١٧٣	عمر بن أبي سلمة ونسبه وبعض أخباره
١٧٤	النعمان بن عجلان ونسبه وبعض أخباره
٢٠٤-١٧٩	نسب زياد بن أبيه وذكر بعض أخباره وكتبه
٢٠٦، ٢٠٥	عثمان بن حنيف ونسبه
	ذكر ما ورد من السير والأخبار في أمر فذك وفيه فصول :
٢٣٦-٢١٠	الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم
٢٣٨-٢٣٧	الفصل الثاني في النظر في أن النبي صلى الله عليه وسلم هل يورث أم لا ؟
٢٨٦-٢٦٨	الفصل الثالث في أن فذك هل صبح كونها نحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة أم لا